

مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة
خطاب
النقد الاجتماعي
بين الإمام علي
والنظرية الاجتماعية المعاصرة
غالب الناصر
خطاب النقد الاجتماعي
بين الإمام علي عليه السلام والنظرية
الاجتماعية المعاصرة
تأليف : غالب الناصر
القياس: ١٧x٢٤ عدد الصفحات: ٣١٢

خطاب النقد الاجتماعي

بين الإمام عليّ عليه السلام والنظرية الاجتماعية المعاصرة

غالب الناصر

٢٠١٨م – ١٤٣٩هـ

الكتاب: .... خطاب النقد الاجتماعي بين الإمام علي عليه السلام
والنظرية الاجتماعية المعاصرة

المؤلف: .... غالب الناصر

الطبعة: .... الأولى ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

التصميم والإخراج الفني

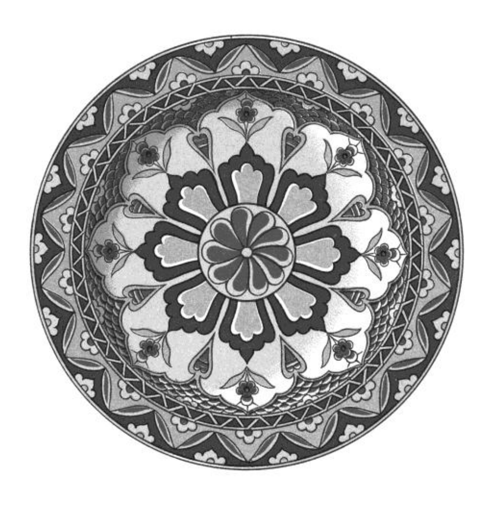
مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠

العراق - النجف الأشرف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٠١٠) لسنة ٢٠١٧م

العراق - النجف الأشرف





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً). صدق الله العلي العظيم

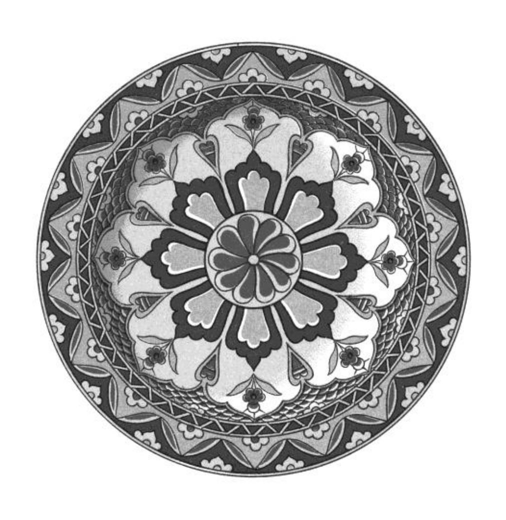
سورة النساء :٦٣

(إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ، لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ [1] .... لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ، بِسَيْفِي هذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا، عَلَى الْمُنَافِقِ، عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي ؛ وَذلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ - عليه السلام- أَنَّهُ قَالَ: لاَ يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ)[2].

---

[1] - نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام ، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى ، ج٢، ص : ١٨٥ .

٢ - المصدر نفسه، ج٣، ص : ١٤٩ .



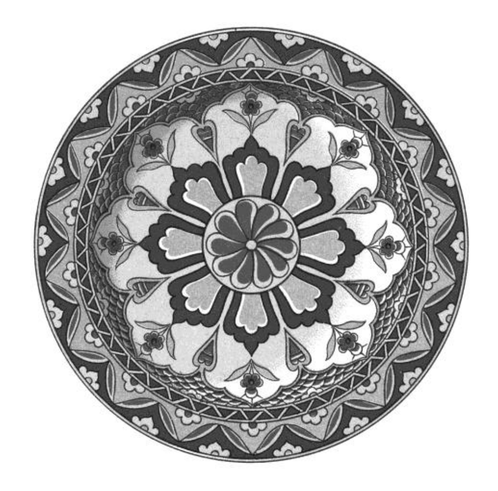
المحتويات

الفصل الاول : خطاب النقد الاجتماعي (التفكير النقدي)

الفصل الثاني :النقد والمجتمع :

الفصل الثالث : النقد وقوى التطرف والعنف .

الفصل الرابع : النقد والمستقبل .



المقدمة :

جاء إعداد هذه الدراسة في إطار استكمال مشروعي في الكتابة عن المحطات الأساسية التي أسهمت في تشكيل الأنموذج الاسلامي الاجتماعي، والمتكامل من خلال استمرارية صدور الخطاب الديني في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فببركة وجود الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، تكوّن لدينا تراث علمي كبير في الموضوعات الحياتية المختلفة، يمكن الافادة منه في البحث المعاصر عن هذه الموضوعات، واسلوبي في البحث هو استحضار ما صدر عن الأئمة في تراثهم الفكري والروائي، وما قالوه في هذه الموضوعات، وينضّم اليه كذلك، في هذه الدراسة، ما تم إنجازه من قبل الباحثين المتخصصين في هذه الموضوعات الحيوية في حياة المسلمين ، وذلك في ضوء المناهج والدراسات الحديثة والمعاصرة، بغض النظر عن انتماء هؤلاء الباحثين الديني أو السياسي أو غير ذلك من الانتماءات، من أجل تكوين صورة واضحة لهذه الموضوعات وبناء أنموذج ارشادي فكري وسلوكي في مجالاتها المحددة، ثم يمكن تطويره من قبل الباحثين الآخرين ، يتمثل المشروع في خمس محطات كبرى من تأريخ تكوين الإسلام ، وهي بإيجاز :

المحطة الأولى: وكانت محطتي الأولى : مع خطاب الوحي القرآني ، والسيرة النبوية المطهرة وذلك من خلال ثلاثة بحوث في السيرة النبوية ،

البحث الاول : وهو قراءة في حدود المعرفي والإيديولوجي في كتابة السيرة النبوية ، من خلال استيعاب الروافد التي قادت إلى تعميق الوعي بطرائق الإيديولوجيا في التغلغل في بناء المعرفة وتوظيفها أو حرفها عن وظائفها الأصلية ، وكيف تدخل هذه المعطيات الإيديولوجية على المعطيات المعرفية فتعيد صياغتها من جديد ، وبذلك تعمل على تلويث المعرفة الصحيحة وحرفها عن مسارها ، وكيف أمتد هذا التلويث من خلال الوضع والأكاذيب إلى سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، والبحث الثاني : تقديم قراءة تجديدية في فهم واقعة الهجرة في الإسلام، و التحولات الكبرى التي ترتبت على الهجرة النبوية الشريفة وكيف قدم لها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، من أسباب ومقدمات ، فتناولت المقدمات الكبرى التي أوصلت الدعوة الاسلامية إلى مرحلة الهجرة، ومن ثم النتائج الهائلة التي ترتبت على الهجرة النبوية من تبدلات بنيوية في السمات والخصائص طالت طبيعة الدعوة وطريقة الإداء والنص القرآني ، وعلى جميع المستويات، وتبدلات جدلية في تغير مسار الصراع والمعركة وبناء الدولة من خلال توحيد القبائل العربية ولم شملها تحت راية الاسلام ، وكيف تعكس هذه الهجرة أنموذجاً ارشادياً في مجال بناء الاستراتيجيات في التغير الاجتماعي واعادة بناء المجتمع والعلاقات الدولية ، والبحث الثالث : في مقاربة مفهوم الأسوة الحسنة في السيرة النبوية ، ومفهوم الأنموذج الإرشادي في ابعاده النظرية والتطبيقية .

والمحطة الثانية: وهي ما موجود في هذا الكتاب، الذي يعنى بجانب من سيرة الإمام علي عليه السلام وخلافته، وذلك من خلال البحث المقارن لخطاب النقد الاجتماعي بين الامام والنظرية الاجتماعية، وكيف مثّل هذا الخطاب الاجتماعي النوعي، نهضة في عالم التصحيح ، و الذي نتج عن التفكير النقدي عند الامام ، مما خلق ثورة صنعها الإمام (عليه السلام)، ضد المظاهر الاجتماعية السلبية في المجتمع، ونقد التناقضات، ومظاهر العنف والتخويف والتهديد، فقد ارتبط بهذا النمط من التفكير، وهو وسيلة النقد الاجتماعي، من أجل التغير، و وسائل أخرى، ونمط تفكيري آخر، وهو خطير للغاية، أي تطهير المجتمع الاسلامي من المنافقين من خلال رد العنف، بالعنف، وهو توظيف للحرب في الوصول إلى الغايات السامية والحفاظ على المستقبل ، إذ يجيء العنف كحلٍّ سياسي واجتماعي، لابد منه في ردع عنف المعتدين داخل المجتمع الاسلامي بالعنف المضاد، وذلك بعد فشل الردع بالنقد الكلامي أو الموعظة الحسنة والحوار المسؤول عن مستقبل الأمة والدين الاسلامي الجديد .

اما ما يخص استحضار النظرية الاجتماعية في هذه المحطة، ودراسة الخطاب النقدي عند المفكرين الاجتماعيين، والتربويين، إنما جاء بسبب، أن التفكير النقدي عند هؤلاء الباحثين والعلماء، ارتبط بالتفكير بالمجتمع وقضاياه، التي هي موضع اهتمام النظرية الاجتماعية، وانماط التنظير الاجتماعي ومناهجه ، والتي يجمعها بشكل عام، بعد فهم المجتمع، ضرورات الدفاع

عن، الوجود الاجتماعي، والحفاظ على قيم الحرية، والاستقرار، والنهوض، وكذلك النقد الاجتماعي والذي تزايد بشكل متواصل منذ عمليات النقد الثوري للاستغلال الرأسمالي للمجتمع، وحتى ظهور النظرية النقدية، ومدرسة فرانكفورت، والمواجهة الشرسة مع ما يعرف بسرديات الحداثة، وخرافة العقلانية، عقلانية صراعية واستغلالية هي من فجرت الحروب بلا هوادة هنا وهناك من انحاء المعمورة، طمعاً بالسيطرة والنهب لخيرات الشعوب .

وفي الطريق ذاته ، ومنذ أكثر من أربعة عشر قرناً، ارتبط التفكير النقدي عند الإمام بتفكيره بالمجتمع وقضاياه الأساسية، مما أنتج لنا خطاباً نقدياً، ومن هنا تهتم الدراسة بالمجتمع عند الطرفين، تارةً في الخطاب النقدي الاجتماعي عند الامام (عليه السلام) ، وأخرى في مكونات النظرية الاجتماعية ومحتواها ، الأمر الذي استدعى منا التعريف بهذه النظرية، وموضوعها، ووظائفها، والتعريف ببعض اتجاهاتها أو ذكر بعض روادها، وموقفها من موضوع التفكير النقدي، وأثر خطاب النقد الاجتماعي في التغير الاجتماعي والاصلاحي، وفي الثقافة، وفي ظهور العنف، وتداعيات النقد في المستقبل .

تبرز أهمية خطاب النقد الاجتماعي في الكشف عن الأنموذج الاسلامي في بناء المجتمع والعناية بقضاياه ، كما هو عند الإمام علي عليه السلام، وكيف أرتبط هذا الأنموذج، بالتفكير جدياً بالعنف، كوسيلة لابد منها لردع العنف

بالعنف، وذلك في معالجة القضايا التي لا تقبل الحسم من خلال اقتراح الحلول السلمية، وهكذا يترابط التفكيران : النقدي الاجتماعي، والتفكير بالردع العسكري، من خلال التفكير المستقبلي واستشراف هذا العنف المزدوج في المصير الاجتماعي .

من هنا نحتاج، للكشف عن أنموذج جامع، لعديد من المفاهيم الاسلامية، تلتقي فيه عناصر: النقد والعنف والمجتمع والمستقبل ، ويجمع العديد من الأحكام الشرعية في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و أيضاً جامعاً، للعديد من النظريات الاجتماعية والسيكولوجية والاقتصادية والثقافية والسياسية المفسرة والموجهة للسلوك، والتي يقرّها التنظير الاسلامي في رسم مسارات المجتمع، مما يجعلنا حقاً أمام ما يعرف في هذه المرحلة من تطور علم الفقه الاجتماعي : بفقه الأنموذج، أي أنموذج متكامل في الرؤية الاجتماعية الاسلامية، وأسلوبها في التفكير المترابط، الجامع، والكلي، ويكون صالحاً في التعميم ، وفي التوجيه والارشاد للمجتمعات المتطلعة للعدالة الواجبة بالقدر الممكن ، وتحقيق الاستقرار النسبي، وحفظ الكرامة الانسانية، بصون حقوق الانسان في المجتمع ومنها حق النقد، بالقدر المستطاع والامكانات المتاحة، وذلك في كل زمان ومكان، مع مراعاة الخصوصيات في ثقافات الشعوب الكبرى أو المجتمعات المحلية .

المحطة الثالثة : هي في المشروع الثوري الحسيني وخطاب التصدي للظالمين والمنحرفين ورفض الذل و الخضوع لمشروع الحكام الطواغيت، وقد انجزتُ جانباً كبيراً من هذه المحطة في كتاب : البناء الاجتماعي والثقافة الحسينية، ففي ذلك الكتاب تم بناء الأنموذج الثقافي عبر توصيف العناصر السائدة في الشعائر الحسينية وهي: الرؤية الكونية، والهوية، والذاكرة، والرمزية، والمحاكاة، وكيف يتم السعي من قبل الاعداء نحو تخريب هذا الأنموذج، وتشويه كل مفردة من هذا المفردات .

المحطة الرابعة هي : المشروع الفكري والنهضوي العلمي للإمام الصادق في تأسيس الخطاب العلمي والمعرفي والثقافي والتعليمي وذلك من أجل التغير والاصلاح الاجتماعي، وانقاذ المعرفة والعلم من التوجهات الاجتماعية والثقافية السائدة والاهواء، و التي تحرف العلم عن مساره نحو معرفة الحقيقة، ومن ثم فضح الأثر الايديولوجي على توجهات التشريعات و الاحكام في المجتمع الاسلامي .

والمحطة الخامسة: و هي: المحطة المستقبلية وسيكولوجية الدعاء و الانتظار الايجابي، وذلك من خلال البحث في الدعاء بتعجيل الظهور، والعمل الجاد والفعال و المثمر في طريق التمهيد لظهور لمولانا صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى له الفرج والتمكين في الارض .

لقد انجزتُ الكثير من البحوث، والدراسات، الاجتماعية والثقافية عن بعض هذه المحطات، كما في الاولى والثالثة والرابعة، من خلال محاضراتي عن الهجرة النبوية، وكذلك قدمتُ بعض الحوارات التي تم بثها في بعض القنوات الفضائية العراقية ، كما في الحوار الذي بثت في قناة العراقية في ذكرى الهجرة النبوية المباركة عند مطلع عام ١٤٣٩ ، و من الخطوات الجادة في هذا المجال ، ، نشرتُ كتابين، وهما : البناء الاجتماعي والثقافة الحسينية، والأنموذج في تجديد الخطاب الديني.

وفي هذا الكتاب الذي يركز على المحطة الثانية من مشروع تجديد الخطاب الديني المعاصر، وهي خلافة الإمام علي عليه السلام، إذ يتناول الكتاب خطاب النقد الاجتماعي ونصوص هذا النمط من الخطاب الذي يعنى بالنقد الاجتماعي ، وما يرتبط به من مشكلات المجتمع، وظاهرة العنف الذي يترتب على النقد أو يكون صيغة متقدمة من هذا النقد ، وكذلك هموم المستقبل الكامن في خطاب النقد الاجتماعي .

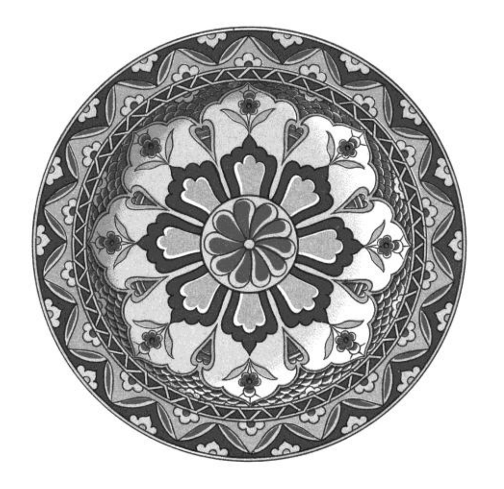
والكتاب في منهجه العام، هو تكريس لطريقتي في اعادة التفكير والتوجيه للتراث الحديثي، تلك الروايات العظيمة ، والوقائع التاريخية، مما وصلنا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وذلك من خلال اعتماد المقاربات الفلسفية، والنظرية، والنماذج الحديثة والمعاصرة في اعادة القراءة، وفي التفكير والبحث عن هذا التراث الروائي ، وذلك من أجل تقديم وعي أعمق بهذا التراث العملاق والثرّ في هذه المرحلة من حياة الأمة وما تتطلب

من التفكير بالتحديث، والذي لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال التحديث في التفكير والتجديد في طرائق البحث، إذ لا يمكن التفكير بالتحديث إلا بالتحديث في التفكير، أولاً .

هذا الكتاب محاولة، جديدة لقراءة التراث الفكري للإمام علي (عليه السلام)، والتاريخي الذي أرتبط بحياة الامام، وقد وقع الخيار على النقد الاجتماعي، والتفكير النقدي، الذي يكمن وراء هذا الخطاب، وذلك، كمنظور بحثي، أو أسلوب علمي، أو بناء أنموذج ارشادي في النقد الاجتماعي، يمكن من خلال هذا المنظور ، الاطلالة على قضايا المجتمع، و قضايا العنف، واشكالية المستقبل، وتحقيق قراءة تأويلة مكثفة في قضايا فرعية هامة في الثقافة، والتاريخ، والفقه، لاريب أنها ستكون زاوية نظر، سردية، حديثة ومعاصرة، وتضيء جانباً كبيراً من تلك الفترة المبكرة والتأسيسية من حياة الأمة الاسلامية ، كما تضيء الخطاب النقدي لدى الإمام علي عليه السلام كمؤسس للنقد الاجتماعي قبل أربعة عشر قرناً من بروز المصطلح وتأسيسه لهذا الاتجاه .

وفي جميع هذه المحطات ، إنما أحاول أن أنتقل من فقه النظرية إلى فقه الأنموذج ، الذي يواكب توسع مشكلات الواقع ، ومن ثم يؤمن حلاً لمشكلات أساسية في النظر الإسلامي للقضايا ، من قبيل أولاً : توحيد المعرفة الكلية بالجزئية ، كما في ربط الفقه الفردي بالفقه الاجتماعي ، وثانياً : إنهاء الانفكاك بين الجانب النظري والافتراضي وبين الواقع العملي ، بان

يكون النظر منسجم مع قضايا الواقع والمشكلات أولاً بأول ، وثالثاً : حل مشكلة الثابت والمتغير من خلال فقه الأنموذج الذي هو منفتح على المسائل المستحدثة بطبيعة تركيبه النظرية والعملية .



الفصل الأول
خطاب النقد الاجتماعي

- الموضوع والامتدادات والأهمية .
- التفكير والمنهج والخطاب النقدي .
- النهي عن المنكر وخطاب النقد والتفكير بالحرب .

المبحث الاول

الموضوع و الأهمية و الامتدادات

(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْـمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا، للهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟).الامام علي (عليه السلام)

- **الموضوع** :

يدور البحث في هذه الدراسة حول خطاب النقد الاجتماعي ، كما هو متمثل في النصوص النقدية الاجتماعية المعاصرة، وطريقة التفكير النقدي،

التي تهتم بقضايا المجتمع، وما نتج عن هذا المنظور في التفكير، وهو منظور ناقد يتألف من نصوص في النقد الاجتماعي، ومن ثم في الامتدادات المنطقية لهذا الموضوع والآثار المترتبة عليه في الواقع الاجتماعي وحركة التاريخ . إذ أنّ التفكير النقدي لا يجري في الفراغ، وإنما يتحلق حول مشكلات المجتمع الكبرى، ويتجلى أخيراً في فضاء اللغة، والتعبيرات الكلامية، والقوالب القولية الخالدة في الثقافة والمكونة للذاكرة الاسلامية .

لقد أنتقد المشركون من أهل مكة، نوع النظام الاجتماعي الذي جاء به الإسلام، وذلك لما ينطوي عليه من تبديل العادات والتقاليد، أو إقرار التشريعات الإسلامية والتعاليم غير المألوفة في أسلوب الحياة الجاهلية وثقافتها ، وفرض الالتزام بها، ثم غدا نقدهم هذا متحولاً إلى عنف متصاعد، وحروب خاضوها دفاعاً عن نظامهم الاجتماعي السائد، وعبادة الالهة، والمصالح الاقتصادية.

فيما أنتقد النص القرآني هذا المجتمع المتخلف، ووصفه بالمجتمع الجاهلي، ودعاهم إلى عبادة الله تعالى، وتصحيح تصوراتهم الفاسدة، وتحقيق العدالة الاجتماعية، فيما بينهم، وبث روح إرادة الخير العام في الأوساط الاجتماعية كافة، ورد على انتقاداتهم، واحدة، واحدة، ودعاهم إلى التفكير النقدي في الأشياء، وفي المقدمة منها التفكير النقدي لهذه الاصنام التي يعكفون على عبادتها ، والتي هي في الواقع ، لا تضر ولا تنفع صاحبها بشيء .

وكذلك الحال بالنسبة للنظرية الاجتماعية المعاصرة، فقد باتت هي الأكثر اهتماما بمظاهر النقد الاجتماعي، وطريقة التفكير النقدي، من الاهتمامات في السيسيولوجيا الكلاسيكية، والتي سنتعرف اليها في الفصل القادم بشكل أكبر، إذ أن النظرية الاجتماعية المعاصرة تتعامل مع موضوعات في المجتمع مطابقة لاهتمام الخطاب النقدي في الميدان الاجتماعي ، مثل: النقد الاجتماعي ووسائل اعادة البناء في المجتمع، أو أثر النقد الثقافي على الطبقات والقوى ووظائفها وتقاطع هذه الوظائف وتضاربها ، أو أثر النقد على العلاقات والظواهر الاجتماعي ، أو أثر النقد الاجتماعي على التغيير ، أو على خطاب الاصلاح الاجتماعي ، وهكذا .

هذا في إطار البحث الاجتماعي في الكليات ، وأما على مستوى البحث في جملة من الموضوعات الجزئية المرتبطة بالتفكير النقدي الاجتماعي، مثل : النهي عن المنكرات والمفاسد ، أو مكافحة الفساد الاداري في الوظائف العامة، أو تحول التفكير النقدي إلى مستويات التهديد بالعنف، أو الاقتتال، واشتعال الحرب، بين الأطراف المتخاصمة في الفضاء الاجتماعي، وغير ذلك من الموضوعات ذات الصلة، وذلك من خلال هذا البحث النظري الموسع .

ومن المؤكد أن هذه الدراسة تكتسب صفة السيسيولوجيا العامة لما لها من الشمولية ، بالإضافة إلى وجود المقاربة مع النظرية الاجتماعية في البحث، طالما أنه يتناول ظاهرة النقد الاجتماعي، بشكل مقارن، من حيث ١-

التفكير، و٢- المنهج، و٣- الخطاب، و طالما تتعرض الدراسة أيضاً للنصوص بالتحليل في ضوء الطريقة المقارنة، والاستشهاد بمكتسبات النظريات الاجتماعية في أكثر من مجتمع، وانجازاتها عند عديد المفكرين، وفي أكثر من مكان في العالم، وهذا هو شرط الخروج من النظرية الاجتماعية إلى مجال النظرية السوسيولوجية :

(النظرية الاجتماعية تهتم بدراسة ظاهرة اجتماعية واحدة، أو أكثر في مجتمع واحد، بينما أن النظرية السوسيولوجية تهتم بدراسة ظاهرة واحدة في أكثر من مجتمع)[١].

وإنما أخذنا النظرية الاجتماعية المعاصرة في موضوع البحث وعنوانه ، لعدم الحاجة الكبيرة إلى معطيات النظريات الاجتماعية الحديثة، متمثلة في الاتجاهات والتيارات الكلاسيكية، إذ يركز البحث في هذه الدراسة على التفكير الناقد في المجتمع ، وخطاب النقد الاجتماعي، واعادة البناء، والتفكير بالعنف والحرب ، والتفكير بالمستقبل، والخطط الاجتماعية في الخلاص المستقبلي، وهي موضوعات معاصرة، يقلّ البحث فيها بالنسبة للأدبيات الاجتماعية الكلاسيكية أو اهتماماتها في التناول، وهي بذلك أقرب إلى اهتمامات النظرية الاجتماعية المعاصرة وطبيعة موضوعاتها ، واهتمام مفكريها الأكثر دقة ممن سبقهم ، بحكم التقدم العلمي العام والتطور في

---

[١] - محمود محمد جاد، النظرية الاجتماعية، الاتجاهات والتيارات الكلاسيكية، دار الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٢ . ص ٢١ .

العالم ، وطريقتهم في تناول الموضوعات الاجتماعية بعد النصف الاول من القرن العشرين من تراجع دور الدولة في الربع الأخير من القرن ، وصولاً إلى تفجر ظاهرة الارهاب في المجتمعات [١] .

وبالرغم من أن الموضوع المبحوث هنا، خطاب النقد الاجتماعي عند الامام علي، وهو موضوع تراثي، وتاريخي، في المجتمع العربي، والاسلامي، الاول، وهو غير لافت للانتباه، لكن المقصود من هذه المعطيات التاريخية والتراثية، والمتمثلة بالنصوص النقدية في مجال النقد الاجتماعي، والتي صدرت عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عديد المواقف، والوقائع، والموضوعات، والحالات الاجتماعية التي تحتفي بها كتب الحديث والتاريخ، الهدف هو : بناء نموذج علمي، معاصر، تترابط فيه معطيات التفكير من منظور النقد، مع معطيات التفكير بالمجتمع من خلال مفردات النظرية الاجتماعية، وكذلك مع معطيات التفكير بالمستقبل، وهو تفكير استراتيجي، ويدخل فيه الاهتمام بالمصير الاجتماعي، فيما يتداخل مع البحث في التفكير النقدي، التفكير بالعنف، إذ يشكل العنف شكلاً من وسائل النقد الأكثر تغيراً وردعاً في الواقع الاجتماعي، مما يكسب الموضوع تداخلاً واضحاً، فلابد من أنموذج ارشادي موضح لهذه التداخلات والتشابكات في الفضاء الاجتماعي .

١ - فيليب كابان ، وجان فرانسوا، علم الاجتماع ، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية ، ترجمة : اياس حسن ، دار فرقد ، ط٢ ، ٢٠١٣ . ص : ٣٥٨ .

أما عن مدخلات الأنموذج فهي، تجمع بين نصوص من كتاب معاصرين، في مجالات التفكير النقدي الاجتماعي، وساحات هذا التفكير الكبرى، من قضايا المجتمع الاساسية، ومنها قضية العنف، والتفكير بالمستقبل، أو المصير الاجتماعي، إلى جانب الإفادة من خطاب الإمام علي عليه السلام، في مجال النقد الاجتماعي، وهي نصوص مشهورة عند العرب والمسلمين، وردت في عديد الكتابات، و قبل تدوين كتاب : نهج البلاغة، من قبل الشريف الرضي (٣٥٩ – ٤٠٦)، وكانت ومعروفة بشكل واسع النطاق، في الكتابات الادبية والتاريخية والدينية والسياسية وكتب الرجال والحديث، إذ بقيت هذه النصوص قيد التداول والترديد، على السنة الناس، كأنها تجري مجرى الأمثال، وحتى يوم الناس هذا، وعند كتابتي لهذا الكتاب، رأيت كثيراً من هذه النصوص موجودة في الكتب التي تعنى بتاريخ الامام عليّ عليه السلام، مثل، كتاب : الغارات، لإبراهيم الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣ هجري) وكذلك، كتاب : (وقعة صفين)، لنصر بن مزاحم المنقري، (ت: ٢١٢)، ومن ثمّ فإن ما ذكره بعض المغرضين والطائفيين من التشكيك في هذه الخطب والنصوص لا يلتفت اليه ، باعتبار أنه لا قيمة له ازاء ما يثبت صحة صدور هذه النصوص ووثاقة حملتها .

نصوص النقد الاجتماعي، كثيرة في تراث الإمام عليه السلام، إلى درجة أن من يقرأ كتاب : (وقعة صفين)، يلاحظ منذ الصفحات الاولى كيف بدأ المؤلف بنقل كلمات الامام في تقويم أهل الكوفة، وفي نقد جماعة التمرد في

البصرة، وكيف أغلقوا سبل الحوار جميعاً ، وقطعوا الطريق على المصالحة بعد التمرد، فكان لابد من الحرب [١].

وكذلك الشيء نفسه في كتاب : الغارات، لإبراهيم الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣ هجري)، حيث يلاحظ استهلال الكتاب والبداية، كانت في النقد الاجتماعي، وبراءة الامام عليه السلام من قبيلتي: غنيّ وباهلة [٢]، فهي ظاهرة ، جديرة بالجمع والدراسة واعادة البحث والاستكشاف، كنمط محدد من النصوص ذات الابعاد الكثيرة في البحث الاجتماعي والعلمي والادبي والسياسي ، التي تدور في شأن واحد، وهو النقد الاجتماعي بقصد الردع، و الاصلاح، والتغيير، ومن ثم تساعد هذه النصوص في بناء أنموذج ارشادي في مجال فقه النقد الاجتماعي، وهو ضروري في مجتمعاتنا التي يغيب عنها النقد الاجتماعي الجاد والعلمي، وصارت فيها الاولوية لزعماء الأحزاب، وأصحاب الثراء من التجار ، وزعماء القبائل، وأصحاب المناصب الادارية والدينية بغير استحقاق ، وقضاة الجور، وليس للمفكرين والعلماء من أهل الزهد والتقوى، كما كان عند السلف الصالح من أئمة أهل البيت، عليهم السلام .

---

[١] - نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص : ٥ .

[٢] - ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، الغارات تحقيق : عبد الزهرة الحسيني، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٩٨٧ . ص : ١١ .

يمكن أن يشكل هذا الأنموذج الاجتماعي، مثالاً لفقه الأنموذج الاجتماعي، الذي يعالج المشكلات الاجتماعية المعاصرة ، العامة منها، أو الخاصة في لجماعات المحدودة ، إذ يعدّ بذلك، فقه اجتماعي يتخطى المراحل الفقهية السابقة، من اكتشاف الاحكام، أو اكتشاف النظرية، الذي أسس له السيد الصدر، يتخطى ذلك إلى بناء النماذج الارشادية العامة، والتي تضم عديد النظريات من جهة، والاحكام والمفاهيم من جانب أخر، في محور واحد ، إذ أن الأنموذج الذي نتبناه في هذا البحث يمتد ليشمل قضايا، ومفاهيم، ونظريات، وأحكام، مترابطة فيما بينها ، في مجالات تتخطى الفقه التقليدي أو اكتشاف الإحكام الفردية، نحو الإفادة من معارف معاصرة ، وهي : المنطق التداولي ، والمناهج، والمجتمع، والنفس، والعنف، والاقتصاد، وتوزيع السلطة ، وبناء الدولة ، ومن هنا تطرح مسألة امتدادات هذه الموضوع إلى الموضوعات الأخرى على بساط البحث .

- **الامتدادات** :

إنّ مراجعة نصوص النقد الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام، توحي وبشكل أولي، إلى انتساب هذه النصوص النقدية وموضوعاتها، إلى خطاب النقد العام للأوضاع الاجتماعية والعلاقات غير الصحيحة على وجه الخصوص ، ومن ثم فإنها تندرج حتماً في حقل التفكير الناقد أولاً، الأمر الذي يستدعي تفكيك هذا التفكير من الناحية المنطقية، وعلاقة التفكير

الناقد، ومن ثم مجمل خطاب النقد، بعلم المنطق، وصناعة الجدل والمغالطات، التي يتضمنها خطاب الطرف الذي يطاله نقد الناقدين وخطاب الرافضين لهذه الأكاذيب .

إذ يستهدف التفكير الناقد في المجتمع الاسلامي، منذ البدء الكشف عن المغالطات في التفكير المنحرف عن مسلمات الرسالة الاسلامية، أو مقتضيات الفطرة، والطبيعة الانسانية، وقوانين العقل العملي، وكيف تختفي خلف المغالطات المطروحة في الفضاء الاجتماعي، التطلعات غير المشروعة للتسلط على المجتمع ، أو الهيمنة على القرار المالي والتجاري للمجتمع، أو التحريف للفكر وللثقافة، وذلك من خلال محاولات التضليل بالأغاليط والبلاغة المزخرفة، والاستدلالات الخاطئة، مما يعطي مجمل الموضوع أهمية الارتباط بالبلاغة، والمنطق، وألاعيب اللغة ، أي البحث في التداوليات (الحجاج) ، وما يرتبط بها من البحث في علم استعمال اللغة في التفكير النقدي الاجتماعي، ولأني لا أريد أن اثقل الأنموذج بهذه التفصيلات في مجال استعمال اللغة التي تستدعي استحضار علم المنطق، أو علم اللسانيات، والتداوليات، والبلاغة، فسوف لن أفرد لها بحثاً مستقلاً في هذا الكتاب، للتخلص من التعقيد .

يمتد التفكير الناقد في المجتمع أصلاً، للاهتمام بالقضايا والمشكلات في فضاء المجتمع، فينتج عن هذا النقد، ما يعرف اليوم بالمنهج النقدي الاجتماعي، والمنهج هو الذي يقف وراء صياغة هذا الخطاب ونوع

الاستراتيجية التي يعتمدها في النقد الاجتماعي والأولويات التي يختارها من بين عديد الاستراتيجيات واختيار الاهداف في الدفاع عن قضايا المجتمع وتقريع المخالفين، الأمر الذي يجعل من الضروري البحث في نوع الاستراتيجية النقدية التي تقف وراء تجليات الخطاب النقدي، في هذا النص أو ذاك كمنهج، مثل استراتيجية دعم التغير الايجابي المستدام من خلال النقد التكاسل والتراجع والاحباط، أو استراتيجية تفكيك التصورات الخاطئة ونقد السلوكيات المنحرفة، من خلال نقد الأفكار الجاهلية والممارسات المستندة اليها من مظاهر التقاعس والاحباط، ولاسيما مع وجود التهديد الوجودي، لمجمل الفضاء الاجتماعي :

ومن المعروف، أن المجتمع يشكل الحاضنة الواسعة لممارسات النقد الاجتماعي، كظاهرة اجتماعية . إذ لا يجري التفكير النقدي في الفراغ كما ذكرنا، بل هو يتغلغل في تفكيك جميع القضايا الاجتماعية، من الأفراد، والأسر، والعلاقات، والمؤسسات الاجتماعية، والمناصب والتدرجات، والتشريعات والقوانين والاحكام التي تمس المجتمع، وكذلك الظواهر الاجتماعية وتفسيرها، والكشف عن أسرارها، حيث يرتبط هذا الخطاب، بموضوعات المجتمع الكبرى، الأكثر حيوية في العلوم الاجتماعية الحديثة والمعاصرة، مثل : موضوع الفئات الاجتماعية وأنماط الترتيب والتدرج الاجتماعي، أو موضوع : أزمة النخب الاجتماعية والقيادات، ودورها السلبي أو الايجابي في البناء الاجتماعي، أو موضوع : استشعار المسؤولية

الاجتماعية كضامن للحفاظ على المبادئ والقيم الاجتماعية والاخلاقية وتفعيلها في العلاقات، الأمر الذي يجعل من محتوى خطاب النقد الاجتماعي على تماس مع مفردات النظرية الاجتماعية .

يمكن القول، إن محتوى خطاب النقد الاجتماعي قادر على اثراء البحث الاجتماعي النظري، وفي جميع مفاصل النظرية الاجتماعية، بالخبرات السابقة، وبالتجربة التاريخية، وبما يمكن هذه النظرية، من تكوين صورة واضحة عن المجتمع المبحوث، سواء في الحقب التاريخية القديمة كما هو الحال مع المجتمع الاسلامي في طور التكوين ، أم في مجال البحث في المجتمعات الحديثة والمعاصرة ، وتكوين صورة عن هذه المجتمعات، وكل ذلك، من خلال ما يرد في هذه النصوص النقدية من المعطيات في المجالات المجتمعية الكثيرة .

ومن اهتمامات هذا الخطاب، أنه يهتم بالحراك الاجتماعي والنشاط الاقتصادي الذي يتخفى على شكل صراعات طبقية ، وصراع المصالح في السلم، كما في الحرب . حيث يرتبط هذا الخطاب بالصراعات الفكرية التي تنظر للممارسات التطبيقية، هذه التنظيرات التي تبرر، وتسوغ، أو تسوق للدفاع عن المصالح الاقتصادية ومن ثم السياسية، والنزاع على تقاسم السلطة والنفوذ والهيمنة على المجتمع، وهذا النوع من المحتوى في الخطاب النقدي الاجتماعي، الذي يواكب الصراعات هو من يثري مفردات النظرية

الاجتماعية في ابعادها الصراعية وطريقة المنظرين الصراعيين في تفسير الظواهر الاجتماعية .

فمن الممكن أن يتحول الخطاب النقدي غير المسؤول إلى طريق ووسيلة من أجل الحفاظ على المصالح، ومن ثم الاشتباك و العنف، وظهور النقد المضاد في مقابل النقد الاجتماعي المصلحي، ومن ثم يأتي تطور واتساع وظهور العنف أنما هو في مقابل عنف الآخر، حتى الاشتباك، فهو نقد متسلسل، وكذلك عنف متناسل، تمارسه القيادات الرئيسة أو الفرعية عادة للوصول إلى أهدافها في السيطرة .

يسهم الخطاب النقدي الاجتماعي المستند لقوة الحجة والبصيرة في تعديل الوعي، فيما يكون الخطاب النقدي، عند المعتدي والذي يستبطن التهديد نوعاً من الاستنزاف المعنوي، يستهلك النفوس والامكانات، ويستنزف القوى الحيوية في الأمة ، وهكذا يرتبط الخطاب النقدي، والتفكير النقدي الاجتماعي ، كوسيلة للتصحيح، بمظاهر المقاومة أو العنف والاقتتال والحروب المستدامة ، وذلك نتيجة الثقافة الصراعية السائدة في المجتمع، والتفكير بالعنف لوقف المشكلات أو حلها، مما يجعل من الامتدادات الموضوعية والمنهجية للخطاب النقدي هو : أثر هذا الخطاب الحربي على تفشي مظاهر التباين الاجتماعي والتفكك .

أمّا عن ارتباط، أو امتداد هذا البحث باتجاه اداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كوظيفة عبادية، اجتماعية، يعنى بها علم الفقه، والبحث الفقهي ، فالتدقيق في حيثيات هذه النصوص وارتباطاتها، البنيوية مع الثقافة العامة، تحكى على شكل قصص في التاريخ، أو روايات مرتبطة بالسؤال عن التكليف الشرعي، أو سرديات العلماء في الاستدلال الفقهي ومقاصدهم، وهي مجالات بحثية كبيرة تتطلب معرفة بالمصادر المعتمدة في التشريع والاستنباط، وكيف تنتهي إلى مجموعة من الشروط على اداء التكليف وحصر للموارد، وكلام عن حاكمية النظام الاسلامي على الحياة العامة والخاصة .

خطاب النقد الاجتماعي، كما هو عند الامام علي عليه السلام، لا يأتي من الفراغ النظري أو عدم التوافر على الرؤية الكونية ، ومن ثم التشريعية، بل على العكس من ذلك تماماً، هو تجسيد لنوع من المعرفة ولمصادرها القرآنية، والاوامر الالهية، والتوجيهات النبوية أو الأوامر السابقة من النبي صلى الله عليه واله وسلم، إذ تشكل هذه الروافد مصادر معرفية لهذا النقد الاجتماعي ، وخطاب الرفض والاستنكار المرتبط به، هو نوع من النهي عن المنكر، واظهار الاستياء، أو الاستنكار، أو الرفض للواقع، بحسب الامكان والقدرة على التغيير والاصلاح واعادة البناء، مما يفتح باب الارتباط بالفقه والتشريع الاسلامي .

من امتدادات النقد الاجتماعي الارتباط بعلم المناهج، وطرائق التفكير، ومنها طرائق التفكير : التاريخية ، والبنيوية، والوظيفية، حيث ترتبط هذه المناهج بالخطاب الاجتماعي النقدي ، وهي تستفيد من معطيات هذا الخطاب في بناء معرفتها الاجتماعية ، لكن يبقى النقد ومنه النقد الاجتماعي ، رغم هذه الملابسات والارتباطات ، يبقى لدى الناقد، منهج قائم بنفسه، رغم جميع التداخلات الكثيرة في البحث مع طرائق التفكير السائدة في هذه المناهج جميعاً من تاريخية أو بنيوية أو استراتيجية ، وله سمات وخصائص يتفرد بها ، ولا يذوب في الوظائف التي تقررها هذه المناهج الكبرى .

يستند التفكير الناقد إلى غاية التصحيح، ومن ثم فهو يفكر بشكل مغاير لطريقة التفكير البنيوي، أو المنهج البنيوي، في التوصيف المحايد، عند رصد المكونات والأجزاء، والوظائف في هذا المنهج ، وكذلك هو مغاير لمنهج التفكير التاريخي، الجدلي، الاستقرائي، وعمليات التحقيب، من أجل ضبط التسلسلات في الحوادث والأفكار ، وتفاعلاتها وكيف تتحول الأمور من حال إلى حال .

هذا الاختلاف هو ما يُكسب طريقة التفكير النقدي ولاسيما في المجال الاجتماعي، خصوصيات كبرى من خلال استحضار التفكير بالتغير والاصلاح، والنظر بوسائل العنف أو التفكير بالمصير والمستقبل، مما يستدعي

التحرك للتغير، وتحقيق الفعل التاريخي، الذي تهتم به فلسفة التاريخ، وهذا باب كبير في هذا الموضوع .

وهنالك ارتباطات أخرى لهذا البحث، في التفكير الناقد، وما ينتج عنه من خطاب النقد الاجتماعي، ولاسيما عند المقارنة مع مكونات علم الاجتماع، ومفردات النظرية الاجتماعية، مثل الارتباط بالتاريخ، و منطق التوثيق في روايات التراث ، وستتضح الكثير من هذه الخيوط التي تربط البحوث بعضها ببعض مما يشكل حقاً أنموذجاً ارشادياً في ابعاده النظرية والتطبيقية للتحرك بين هذه الموضوعات المتشابكة عن وعي وبصيرة في المداخل والمخارج، (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢)[١].

وهكذا يتضح حجم الارتباط الكبير لهذا الموضوع، وهو خطاب النقد الاجتماعي، وتجليات هذا الخطاب في نصوص النقد الاجتماعي، ولاسيما تلك الصادرة من الامام المعصوم : علي بن أبي طالب عليه السلام، بالموضوعات الأخرى والمناهج ، وأثر هذا الترابط على اعطاء صورة جلية، وواضحة عن بنية الفكر الاسلامي في حقول مثل: الرؤى العقدية والكونية، وكذلك الاخلاقية، وبيان الأنموذج الشرعي الذي يوجه العلاقات الاجتماعية في الاسلام، كأنموذج ارشادي كبير وجامع للمفاهيم،

---

[١] – سورة تبارك : الآية : ٢٢ .

والنظريات، والأحكام، والتعاليم، والأخلاقيات، و من ثم العمل على توفير الضامنات النظرية والعملية كافة في المجالات: المعرفية، والمعيارية، والتنفيذي، ومن ثم في مجالات البناء الاجتماعي وتحقيق النظام الاسلامي المترابط في المكونات والوظائف وطريقة النمو والتطور المتكاملة بشكل عضوي، غير مشوه في نمو الأجزاء .

- **أهداف الدراسة وأهميتها** :

في مجتمع لا يستسيغ كثيرون فيه طريقة التفكير النقدي، ولا يلتفت إلى أهمية النقد الاجتماعي، أو آثاره المستقبلية على مجمل الحياة الاجتماعية، أو يتحول خطاب النقد الاجتماعي إلى فرصة للشتم، أو التكفير الديني أو التفسيق، يكون من الضروري التفكير والعمل على اعادة التفكير بهذا الموضوع، والبحث العلمي فيه في ضوء الموروث القرآني أو الروائي الرصين، واستحضار المنجز العلمي العالمي في هذا المجال الحيوي، وما توصل اليه علماء الاجتماع ورواد الابداع في طرح النظريات الاجتماعية، على مختلف توجهاتهم، المحافظة، والمعاصرة .

تستهدف الدراسة إذن، تقديم قراءة للمشهد الكبير الذي يترتب على جمع الاحاديث الشريفة، والنصوص، والكلمات، في مجال النقد الاجتماعي، والمأثورة عن الامام علي عليه السلام، والتي تمثل تجربة معرفية تستمد مصادرها من القرآن وتراث الانبياء، إلى جانب عديد الخبرات العقلية التي

انجزها مفكرون، أثروا علم الاجتماع الحديث والمعاصر، بدراسة الظواهر الاجتماعية، ومنها ظاهرة التفكير النقدي في المجتمع، وتجليات هذا التفكير في صورة الخطاب النقدي الاجتماعي .

فعندما يوضع هذا التراث النقدي، والبلاغي، والحجاجي، على صعيد واحد، إلى جانب مفردات علم الاجتماع، يمكن أن نحصل على صورة واضحة عن الموضوع، أو يقدما رؤية أنموذجية، بل أنموذج ارشادي في عالم النقد الاجتماعي، وطريقة التفكير النقدي في مشكلات الناس ومستقبلهم،، وما يرتبط بهذا النمط من التفكير، من قضايا حيوية تتعلق بالمجتمع وحياة الآخرين ، ومن ذلك أيضاً التفكير بالعنف الذي لا يفارق حياة هذه المجتمعات منذ فجر التاريخ، ومن ثم امكانية استشراف المستقبل الذي يمكن أن يترتب على الاوضاع الراهنة، ومن المؤكد أن الارتقاء بقراءة هذا التراث وما فيه من الخطاب النقدي الاجتماعي، وذلك من أجل بناء أنموذج ارشادي، هو هدف اساسي من أهداف هذه الدراسة، وطبيعة منهجها في الجمع بين القديم والمعاصر، من أجل استحداث ما عبرت عنه سابقاً ، بفقه الأنموذج في المجال الاجتماعي ، وهو أنموذج ارشادي يجمع بين التفكير النظري والتطبيق العملي ، مصادره هي المصادر المتعارفة من القرآن والسنة والعقل .

من هنا سيجري، في هذا البحث، تمحيص الامكانات المتوفرة في خطاب النقد الاجتماعي وطريقته في التفكير، ولاسيما عندما يكون الهدف منه

التصحيح وإعادة البناء الاجتماعي، و ذلك من خلال رافديّة خطاب النقد الاجتماعي المكثف والمتواصل، كأسلوب أو منطق في تحريك الاذهان عند الناس ، وكمنهج قادر على ترسيخ انماط جديدة، ومختلفة من الوعي الاجتماعي، بالوظائف، وبأسباب الصراعات، ومن القدرة فيه على تجذير العمل التغييري في المجتمع .

وكذلك رصد أثر هذا الخطاب النقدي في تصاعد العنف أو في الردع عنه، أيضاً في المجتمع، ذلك بأن خطاب النقد الاجتماعي، عادة، هو تعبير عن روح معرفية مضادة، أو ممانعة، و لها مصادرها المعرفية، وروافدها في المعلومات والحجج ، المميزة لها من غيرها في فهم الواقع، والتعامل مع القوى الفاعلة فيه من خلال تأنيبها، وتفنيد مزاعمها، وتسفيه ثقافتها المجتمعية غير السوية، وكيف تسمح قدرات الناقد الاجتماعي، في الدخول في المواجهات، والصراعات، البنيوية، والتاريخية، الممتدة عبر فضائي الزمان والمكان، والتأثير في حركة المجتمع، بما يجعل من الناقد الاجتماعي، المنصف، والعادل، فاعلاً اجتماعياً مميزاً .

وبذلك يكون من النتائج العرضية لهذه الدراسة، انارة العلاقة أو الارتباط بين المعرفة والأدبيات الشعرية عموماً، ومنها النقد الأدبي، الذي يمكن مقاربته بخطاب النقد الاجتماعي، وبين البحث في تكوين المجتمعات والثقافات وتاريخها، وما جرى عليها من التغيرات، ولاسيما بفعل التغيير

الثقافي أو الصراعات والعنف والاقتتال، وهي مفردات أساسية في النظرية الاجتماعية المعاصرة .

أمّا فيما يتعلق بأثر النصوص وحياتها على الواقع الاجتماعي، ومنها نصوص النقد الاجتماعي الخالدة، كما هو الحال مع خطب الإمام علي عليه السلام، وكلماته، فالعلاقة بين المتغيرات المجتمعية، والمعرفية، وتطور هذه المتغيرات من خلال جدلية النص والواقع والتفاعل بينهما ، أضحت من الأمور الواضحة بفضل المناهج العلمية الحديثة في البحث عن الأسس الاجتماعية للمعرفة، والتي تستجلي صورة هذه المجتمعات وتطورها والأحداث التي مرت بها، من هنا تأتي أهمية استحضار هذه المناهج للكشف عن أثر هذه النصوص الشريفة، وتفاعلاتها، عبر الاجيال في اعادة البناء والتغير في المجتمع وتكريس ثقافة النزاهة، والمقاومة، وبث الروح المثالية في النفوس .

من هنا، فالنصوص الواصلة الينا في مجال النقد الاجتماعي، كذخائر علمية، لا تقل عن النصوص الشعرية والأدبية، أو الوثائق التاريخية، والتي لا تسهم في الكشف عن مسارات الاحداث وتطورها عبر الاجيال فحسب، بل يمكنها الكشف عن حجم الترابط الكبير بين النص والواقع، أيضاً، حيث يجري التفاعل الثقافي بين النص والواقع .

ثم أنه، اغفال أثر هذه النصوص في استمرارية الاهتمام بالمجتمع، وبث الروح الدفاعية عن الفقراء، وعن المساكين، فلا يمكن دراسة أي المجتمع، بشكل خالص، من المؤثرات التي تنتج عن نصوص النقد الاجتماعي، والمهمة في تعديل الوعي باستمرار عند الناس، إذ يسهم التفكير النقدي، وما يفرزه من النصوص في اثراء الاهتمام بالمجتمع، ولم يكن تطور النظرية الاجتماعية في الغرب بمعزل عن الاطلاع على التجارب الاسلامية التي وصلت الغرب في عصر النهضة وازدهار الترجمة والاهتمام بعيون التراث الاسلامي .

ومن الواضح أن الجمع بين الدراسات الاجتماعية، وما يقدم علم الاجتماع من نظريات ومناهج عن المجتمع، وبين هذه النصوص التراثية، هو مما يثري البحث في جملة من الموضوعات الاجتماعية الحيوية التي تشكل مفردات أساسية في البحث الاجتماعي وفي جميع مراحل تطور المجتمع ، كالبحث في مظاهر التماسك الاجتماعي، أو التباين والاختلاف، وكذلك مظاهر استشعار المسؤولية، أو روح المواطنة في الحفاظ على الصالح العام، والسعي أو التعاون في خدمة الآخرين، فمن خلال دراسة النقد الاجتماعي، كنصوص وأدبيات تاريخية خالدة في التراث الإسلامي، ومن موطن الاهتمام هذه النصوص بقضايا المجتمع، ومشكلاته الكبرى تبرز الأهمية الفكرية لهذه النصوص في اعادة تثقيف الأفراد، بالنظر لما يمكن أن يترتب عليه من التعديل في الوعي، أي في حصول التغيير عند القارئ

والناس، ليس من خلال التوجه المباشر نحو الاقناع أو الحجاج، أو الجدل، بل بما يحصل من تعديل في الوعي نتيجة الفهم المترتب على هذا الجمع بين المتغيرات في فضاء واحد، لتكوين صورة واضحة، تضع المتلقي في إطار من التصورات الجديدة التي يقدمها هذا الجمع، الجدلي، والوظيفي، ولعل الإمام قصد هذا النمط من الوعي حين قال :

(أضرب بعض الرأي ببعض، يتولد منه الصواب) .

أهمية هذا الكتاب إذن، تبرز عندما نحاول التأسيس لعلم اجتماع النقد، في ضوء نصوص من النقد الاجتماعي الاسلامي، كعلم يجمع بين نصوص النقد الاجتماعي، والتفكير النقدي الكامن وراء هذه النصوص، وموضوعات علم الاجتماع التي تطرحها النظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة، كمذاهب اجتماعية، وكعلم يتضمن عديد النظريات والنماذج في تفسير الاحداث، أو حركة المتغيرات والظواهر ، أو سياسات في التغيير الاجتماعي والثقافي .

بمعنى تكون فيه دراسة نصوص النقد الاجتماعي، أثراءً كبيراً للنظرية الاجتماعية، ودعوة لإعادة النظر في الاولويات البحثية في مفرداتها، فهذه النصوص تشكل الكوة التي تنفتح لنا، والتي يمكن من خلالها، الإطلالة على الواقع المجتمعي ورسم صورته العلمية ، سواء كثقافة، أم قيادات متحكمة في مقاصله، الأساسية والفرعية ، أم ظواهر وعلاقات وظيفية، و

كذلك في مجال تشخيص الروابط التضامنية، ومن ثم اكتشاف بنية هذا المجتمع، وحركته التاريخية، وصراع الاستراتيجيات فيه، وهذه من أهم الأهداف البحثية في هذه المراحل من التاريخ .

لقد تعاظمت أهمية النقد الاجتماعي، وطريقته في التفكير، في المدة الأخيرة بشكل استثنائي، نتيجة القلق الكبير الذي تسبب به الفارق بين حلم التغيير نحو الأفضل الذي يطمح اليه المسلمون عامة والعرب خاصة، وبين الواقع الكارثي الذي يعيشونه مع العقد الاول من القرن الحادي والعشرين، حيث ازاد الاحساس بالهزائم وهيمنة قوى الاستبداد، مع ما يرافقها من الاتساع في المد الارهابي والطائفي والتخلف الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، ومن مراجعة بسيطة لما ينشر ويقال في الفضائيات، وفي مواقع التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية، يتكشف للباحث حجم، واتساع وعمق ظاهرة النقد الاجتماعي وما تؤسس له من العنف بين أبناء المجتمع الواحد في العالم العربي والإسلامي .

وتكمن الجّدوى البحثية الكبرى لهذا الخطاب، أيضاً، في تأسيس علم اجتماع النقد، وهو العلم الجامع بين نصوص النقد الاجتماعي من جهة، ومفردات النظرية الاجتماعية الباحثة في الموضوعات الاجتماعية، وذلك من أجل تحقيق الوعي الاجتماعي الكافي والمطلوب في تدشين الإصلاح الاجتماعي والتغيير الجذري ،وهذا العلم بلا ريب هو : فرع من فروع علم الاجتماع الثوري في المعرفة ، وله موضوع بحث، هو الخلل الكائن في

الكيان الاجتماعي، الذي يجب فيه التصحيح ، من خلال منهج علمي ، وهو النقد الاجتماعي، وله مصادر معرفية ، وهي النصوص والادبيات في مجال هذا النقد، من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية عن حركة التغيرات الاجتماعية والظواهر والمشكلات، وبالتالي رسم صورة واضحة عن المجتمع المبحوث عنه وتطوره والوقوف على المؤسسات الاجتماعية والثقافية، والأنظمة السائدة فيه.

ومن هنا يعرف ، أنّ لهذا العلم، مجموعة من الوظائف الفكرية، والعلمية، والثقافية الأخرى المعاصرة، والمتجددة، تأتي في إطار استراتيجية التغيير، والاصلاح، وتجديد الخطاب التربوي ، وإعادة البناء الاجتماعي، من خلال إعادة البناء الثقافي في المجتمع، وتصحيح مسارات الذاكرة في المجتمع بالنقد والتقويم ، التي تعرضت إلى التعبئة المضادة من قبل الحكام الطواغيت، المعادية للنهج القويم في فكر وثقافة أئمة أهل البيت (عيهم السلام) .

(لا بد للإسلام أن يقول كلمته، في معترك هذا الصراع المرير، ..... لا بد أن تكون الكلمة قوية عميقة، صريحة واضحة، كاملة شاملة، للكون، والحياة، والانسان، والمجتمع، والدولة والنظام)[١].

---

[١] - محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف، بيروت، ط٢، ١٩٩٨، ص : ٦.

ولعل أكبر وظيفة في هذا المجال هي البحث في أثر نوع المجتمع، أو تغييره، أو تطوره من خلال الخطاب النقدي، على طريقة المجتمع في اتباع منهج البحث العلمي في فهم الموضوعات ومناقشتها بموضوعية، ومن ثم على مدى ادراك الحقائق الكبرى في هذا الوجود ، الأمر الذي له تأثير بالغ ومباشر في صناعة الإنسان الحر، و السليم في نوايا القلب، والراشد عند تعامله مع الأخرين والمشكلات .

وبهذا يمكن استكشاف العلاقة بين الخطاب النقدي الاجتماعي، وصناعة المجتمع السليم، أو السويً ، فسلامة المجتمع هي الأساس في السلامة الفكرية و العلمية والبحثية والانفتاح على مناهج الدراسة جميعاً، بعيداً عن الاقصاء والتهميش، عند المجتمع المغلق، والذي يخنق البحث، ويشل التطوير، ويقمع الفكر، ويشوه الطبيعة الانسانية بفعل قوى الاستبداد الديني والفكري والسياسي والاقتصادي، التي لا تتورع عن استخدام العنف والقهر والاضطهاد في استعباد الناس واذلالها، وسوقها إلى العدوان على الأخرين والتخريب في الارض ، وبذلك تكون المشكلة الاجتماعية، ونوع النظام الاجتماعي الذي يحقق السعادة للبشرية ، واحدة من أكبر المشكلات الإنسانية عند ارادة الحل:

إن (مشكلة العالم التي تملأ فكر الانسانية اليوم، وتمس واقعها بالصميم هي مشكلة النظام الاجتماعي التي تتلخص في محاولة

إعطاء أصدق إجابة عن السؤال الآتي : ما هو النظام الذي يصلح وتسعد به في حياتها الاجتماعية ؟) [١] .

تنطلق هذه الدراسة في جانبها التطبيقي، إذن، من التناول المنهجي و العلمي، لخطاب النقد الاجتماعي، كما هو في خطب وكلمات الإمام علي عليه السلام، وذلك بالإفادة من التراث الكبير المروي عن الامام في هذا المجال الحيوي من مجالات التفاعل الاجتماعي بهدف تصحيح التصورات من أجل تحقيق التغيير والاصلاح، وسواء أكانت هذه النصوص واردة في كتاب نهج البلاغة أو غيره من كتب الحديث، ومقاربة هذا التراث بموضوعات علم الاجتماع الأساسية، كالشرعية، والمصداقية ، والحريات ، والضبط الاجتماعي والقانوني، والتدرج الطبقي، وحقوق الانسان، وكذلك آليات التغيير الثقافي من الاتصال، والاصلاح، والنقد، والتحفيز، والحوار، والاعتراف، والتفكير المستقبلي .

ويمكن تأكيد راهنية هذه الدراسة من خلال استشعار ضرورة استمرارية النقد الاجتماعي ولاسيما من خلال نصوص الامام علي عليه السلام، مع تزايد المشكلات في مجتمعاتنا المعاصرة، وتخريب العلاقات بين المكونات الاجتماعية، وما صارت تحفل به من الخراب والتدمير باسم الاسلام . والعنف والاجرام ولاسيما مع هذه التفجيرات التي تقع هنا وهناك في

١ - محمد باقر الصدر، فلسفتنا ، المصدر نفسه : ص١١ .

الجوامع والمدارس، الاسواق، والشوارع العامة، بين العزل من الناس والابرياء، ومظاهر النهب للثروات، وعدم المبالاة بمعاناة الفقراء والمعوزين، واستغلال المرأة والاطفال .

لقد صدر العديد من الدراسات عن المنهج الأخلاقي و التربوي، والتعليمي، عند الامام عليه السلام، مثل كتاب :اليمين واليسار في الاسلام، وكتب : منهج التربية عند الإمام علي عليه السلام، وكتاب : التربية والتعليم في نهج البلاغة، وكتاب : الإمام علي والقيم الإنسانية، وكتاب : آداب أمير المؤمنين، وكتاب : ثقافة النزاهة في نهج البلاغة، وغير ذلك من العناوين الكثيرة ، لكن عند مراجعة هذه الكتب يتبين بوضوح عدم اهتمامها بالتفكير النقدي أو الخطاب النقدي، أو المنهج النقدي عند الإمام عليه السلام، واقتصرت هذه الدراسات على الجانب البنيوي والوظيفي لتوجيهات الامام في الحقول المختلفة، وذكر وصاياه الثمينة في هذه المجالات كما في عهد الأشتر ، ومن ثم كانت عاجزة عن تشخيص هذه الروح النقدية العالية التي تصدح بها نصوص نهج البلاغة وابراز التفكير النقدي فيها، فضلاً عن المقارنة البحثية مع مفردات النظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة، التي اثرت الفكر الإنساني بالفلسفة النقدية نظرياً و عملياً .

وسيكون مسار البحث في هذه الدراسة، من خلال الوقوف على دراسة التفكير النقدي نفسه، كنمط من التفكير يرتبط بالطبيعة الإنسانية المفكرة في

الخير العام، وفي الحفاظ على الطبيعة الانسانية من المسخ والتحريف، ورفض مظاهر الظلم والعدوان التي يعج بها المجتمع الإنساني، وأنماط التسلط والاستئثار بالمغانم والممتلكات العامة والخيرات التي ينبغي أن توزع لتشمل الجميع بلا استثناء .

ينطلق البحث لربط التفكير النقدي بقضايا المجتمع، من خلال المقارنة مع آراء اصحاب النظرية الاجتماعية، ومقولات علم الاجتماع، وبالإفادة من نقاط الالتقاء، بين التفكير النقدي في المجال الاجتماعي، ومفردات النظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة، معابر الترابط الكبير بين علم الاجتماع والنصوص النقدية ، أي البحث في النصوص النقدية في المجال الاجتماعي، من جهة، والموضوعات الاجتماعية، كما هي في علم الاجتماع من جهة أخرى، فمن خلال بحث نقاط الاتصال، ثم التطرق إلى المناهج المناسبة لاستجلاء الحقائق في المجال الاجتماعي، والقادرة على تكوين الصورة الواضحة عن مسار الجدليات أو العلاقة التفاعلية بين المجتمع والعلم والنصوص الادبية للإمام، ولاسيما نصوص النقد الاجتماعي من الخطب والكلمات الخالدة، تتضح الأهمية القصوى لهذه النصوص في صناعة الذاكرة الاسلامية، وتثبيت الهوية عند المهتمين والمفكرين بالمجتمع والحفاظ على التحولات الكبرى فيه .

ومن تثبيت هذا الترابط الموضوعي والمناهجي بين الموضوعين، أي بين التفكير النقدي الذي لا يدور في الفراغ، بل بالمشكلات المجتمعية، تتضح

العلاقة بين النصوص النقدية الاجتماعية، وبين معطيات علم الاجتماع الحديث والمعاصر، و من اختيار المناهجيات المناسبة في هذا الإطار، تنطلق الدراسة للبحث في عديد المجالات الاجتماعية المعاصرة، التاريخية، والبنيوية، والوظيفية، والاستراتيجية سواء على مستوى دراسة الموضوعات الاجتماعية أم الاليات الثقافية .

كما تأتي أهمية الدراسة في هذا الزمن الذي تضاعف فيه العنف والارهاب، والتفكير بالاقتصاص من الابرياء في الساحات العامة والاسواق، من خلال التفجيرات، والقتل العشوائي، إذ يشكل التفكير النقدي الاجتماعي، الطريق لفهم هذه الظاهرة، التي تبدأ بالرفض الفكري، والاشكال على مظاهر معينة في الوسط العام، ومن تنتهي بممارسة الارهاب، والتكفير والعنف .

كما تشكل الدراسة إنارة في أهمية الدراسات المستقبلية، إذ من دواعي النقد الاجتماعي هي اغفال الناس وعدم الاهتمام بالمستقبل ، والعمل على التفكير به، واخترام مقتضيات تامين المستقبل، وضمان ديمومة العمل بقيم العادلة الاجتماعية، والاخلاق، والدفاع عن المصير أمام التحديات والعمل على وقف اسباب الخراب .

من هنا تشكل هذه الدراسة ، نموذجاً جامعاً بين أنماط من التفكير والاهتمامات، فمن التفكير النقدي الاجتماعي، وكيف يعمل على تقديم

مفهوم للمجتمع مغاير للتصورات الفلسفية، أو المذهبية، السائدة في مجال النظرية الاجتماعية ، وكذلك يعيد تقيم الأبعاد العلمية والنظريات الحديثة، في بحث الظواهر، وصولاً إلى تحقيق الوضوح في الجانب التطبيقي العملي في العمل الاجتماعي ورسم السياسات ، سواء بالإفادة من العمق التاريخي للمجتمع وثقافته وتطوره، أم من خلال وقائع الزمن الحاضر، والتي تستمد خصوصيتها من هذا التاريخ المثخن بالتراشق النقدي والاتهامات ، كما هو الحال مع المجتمع الاسلامي، ونزاعاته الطائفية، ومشكلاته الحضارية، أم في مجال التوقعات المستقبلية، وصناعة الاستراتيجيات، للخروج من التيه والارتهان للجهل والانغلاق، وبذلك يتسع مفهوم المجتمع، فلسفياً، وعلمياً، وعملياً، كمفهوم شامل، ومتحرك، ومستوعب لقضايا، المعرفة، والنقد وثقافة العنف والأمل .

ويمكن تلخيص جميع ما سبق من التفصيلات عن أهمية وأهداف هذه الدراسة ، وذلك في سعيها نحو بناء أنموذج إرشادي في مجال النقد الاجتماعي الاسلامي ، تلتقي فيه الابعاد الكلية بالجزئية في دراسة المجتمع ،أي دراسة الفرد ودراسة المجتمع ، وتترابط فيه معطيات النظرية مع معطيات الواقع في فهم حركة المجتمع ، و تستوعب فيه المسائل المستحدثة في مجال فقه المجتمع وطريقة تهذيب القوى والتصدي للتحديات التي تواجه الجماعة ككل من خلال استراتيجيات الاصلاح والتغيير ، وكذلك الافادة من التراث والمعاصرة معاً .

المبحث الثاني

التفكير والمنهج والخطاب في النقد الاجتماعي

توطئة :

ذكرنا كيف، تشكل النصوص المأثورة عن مولانا الامام علي عليه السلام في مجال النقد الاجتماعي، ومجال التقريع والاستنكار للسلوكيات المنحرفة عن جادة الصواب في القضايا الاجتماعية، والنهي عن المنكر، منابع ثرية ومصادر للتحليل الاجتماعي والتاريخي، في المجتمع الاسلامي الاول، وامكانية التعرف على السمات والخصائص الثقافية التي كان عليها هذا المجتمع من خلال تلك النصوص ،والتي أثرت في المراحل اللاحقة من حياة هذا المجتمع، في تشكيل الهوية الاجتماعية .

وكذلك تعدّ هذه النصوص، مداركُ معرفية، لفهم العنف المتصاعد في هذا المجتمع، والتفكير بالانتقام، أو استمرارية عادة التفكير بالثأر، والتي سعى الإسلام للقضاء عليها من خلال فرض سلطة القانون الالهي، التي خضع لها الرسول الأعظم صلى الله عليه واله، بنفسه، وكذلك هي مصدر لطريقة التفكير بالمستقبل، الذي كان على المسلمين التفكير به، لكن هذه النصوص، قبل ذلك كله هي مصدر معرفي كبير لدراسة التفكير النقدي ومدارات

التفكير النقدي الاجتماعي، أو ذلك النمط من التفكير في مشكلات المجتمع والعنف والمستقبل .

من هنا كان لابد أن تمتد الدراسة إلى تناول مصطلحات مثل : التفكير النقدي، والمنهج النقدي، والخطاب النقدي الاجتماعي، قبل أي بحث أو دراسة في هذه النصوص التراثية وفحصها من حيث المحتوى الاجتماعي النقدي، أو مقارنتها بنصوص النظرية الاجتماعية والنقدية المعاصرة ، حيث يشكل التفكير النقدي في المجتمع نمطاً من المنطق، ونسقاً من حركة الذهن، له وظائفه في الحياة الاجتماعية .

حيث يتحكم هذا النمط من التفكير، والحجاج، أو القدرة على كشف المغالطات، السائدة بين الناس، سواء في الحياة الفردية ، أم الاجتماعية ، وكيف يعمل هذا المنهج النقدي على مراقبة التحولات في العلاقات الاجتماعية، ومصيرها، والذي يؤثر في النتيجة على حركة الحضارة والتاريخ، والعلاقات بين الأمم في آخر المطاف، كما نلاحظ في هذا العصر من ازدهار التقنية، ولاسيما في ظل انتشار وسائل التواصل التي تعج بالنقد والتجريح، وفي ضوء هذه الاولوية سنتناول ثلاثة مصطلحات والمحتوى الموضوعي، الاجتماعي لها، باعتبار أننا بصدد الجمع بين نصوص الإمام علي عليه السلام ومفردات علم الاجتماع، كما تم تناولها في النظريات الاجتماعية الحديثة والمعاصرة، والمصطلحات هي:

١ - ظاهرة التفكير النقدي .

٢ - المنهج النقدي في مراقبة التحولات وحمايتها.

٣ - الخطاب النقدي .

التفكير النقدي :

التفكير النقدي : هو ذلك النمط من التفكير الذي يتأتى عن ملكة عقلية عند الانسان، تنبع من الشك الفطري في المعطيات المقدمة، أو قدرة يقينية على رؤية الحقائق، بخلاف السائد المشهور ، أو نتيجة الاطلاع على الواقع والحقيقة المتخفية وراء الظواهر من الكلمات والمواقف والاحداث، وامكانية تشخيصها أشكال الصدق، في الاستنتاجات، وأساليب الاستدلال، والاحتجاج، وتميزها عن الأكاذيب، والمغالطات، والتنبه إلى الطرق الملتوية في الاستدلال، والاستنباط، والجدل.

من هنا يظهر أن التفكير النقدي، مساهمة فكرية، تجمع بين القدرة التكوينية في الفطرة الإنسانية على الفحص و البحث والنظر، وبين المهارة المكتسبة من خلال الدراسة المنتظمة، والالمام بطرق التقويم، والابداع العلمي ، ومن ثم القدرة على الانجاز، في صناعة القيمة المضافة في مجال التشخيص للحالات من حولنا ، وفي تقدير المعالجات المطلوبة للخروج من

الأزمات ، وفي قراءة مجمل المشهد، كما في حالات التحولات والنمو والتطور ، ولاسيما في المجال الاجتماعي، وهو بذلك نظير القدرة الانسانية على التحسين و التقبيح، في المجال الاخلاقي وتشخيص قبح الظلم وحسن العدل، وقد جاء في التعريف الأكاديمي، للتفكير الناقد ما يقارب هذه التوصيفات، من خلال الوقوف في هذا التعريف على حالة رصد العلاقة بين المتغيرات وشمولها ، فيمكن القول أنه :

(نشاط عقلي هادف، يقوم على مهارات معرفية خاصة بالاستدلال والذي يؤدي بدوره إلى نتائج جديدة في التفسير، واخضاع المعلومات والبيانات لعملية الفرز والتحليل، وإدراك ما في هذه المعلومات، متمثلة في التقويم، فضلاً عن الدقة في فحص الوقائع وإدراك إطار العلاقة الصحيحة من دون تطرف في الرأي أو تأثير بالنواحي العاطفية والآراء التقليدية الشائعة) [١].

لكن ما ذكرناه من شمولية التفكير النقدي في بحث الامتدادات ، يجعل منه أوسع بكثير من هذا التعريف المدرسي، وعلى جميع التقادير، فان التفكير النقدي، ولاسيما في المجال الاجتماعي، يرتبط، بشكل عميق بالطبيعة الإنسانية وتطلعاتها، وخيارات الانسان، في الحياة الاجتماعية، في أن يتوافق

١ - محمد أنور ابراهيم، التفكير الناقد، وقضايا المجتمع، المكتبة الانكلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦ . ص : ٧٣ .

مع المجتمع من حوله، أو أن لا يتوافق مع الآراء، و المعتقدات، أو الأخلاقيات، أو السلوكيات، السائدة في المجتمع، أو يراد له التصديق بها أو التأثر والاذعان للقوى الحاكمة في الدولة، ومن ثم يفكر المرء، حينئذ، تفكيراً جدياً في ممارسة النقد، والاستنكار، و الاحتجاج على من حوله، أو تقديم الاستدلال المناسب لمواجهة الأخرين ، عندما يريد أن لا يكون مع هذه الآراء، أو التوجهات، أو حين يختار طريق الرفض والاستنكار وعدم القبول و الإذعان لهذا الواقع .

أما عن التعريف اللغوي للنقد في اللغة ، كما عن المعجم الوسيط، وغيره في مادة نقد : نقد الشيء، نقداً، نقره ليختبره، أو ليميز جيده من رديئه، ويقال نقد النثر، ونقد الشعر، أظهر ما فيهما من عيب أو حسن، ويقال أن فلان ينقد الناس، بعيبهم، وهو أيضاً، فن تمييز جيد الكلام من رديئه، وصحيحه من فاسده، وأما على مستوى المصطلح النقدي، فهو من المصطلحات السائرة في أكثر الحقول المعرفية، ويقصد بالنقد، فن تطبيق معايير معينة وبالتالي اصدار حكم، ويقوم الفعل النقدي على الأذواق والقيم، ولكنه يزعم لنفسه اعتماد قواعد ومناهج ، كما في النقد الأدبي، والنقد الصحفي، والنقد الايديولوجي، والنقد الفلسفي وغير ذلك .

ولعل هذا العنوان، أي النقد، بمعناه الاجتماعي، والباحث عن العلاقات الاجتماعية في الأزمنة الإسلامية الأولى، لم يظهر في صيغته العلمية ، إلا في الكتب والدراسات الحديثة والمعاصرة، ولاسيما في دراسات المستشرقين،

مثل دراسة التي أعدها كل من باتريشيا كرون، ومارتن هيندز، عن نقد أحد زعماء الخوارج، وهو أبو حمزة المختار بن عوف، الذي أنتقد في خطبة سياسية، وذات جوانب اجتماعية، في عام ١٢٩ هجري، جانباً من حكم الخلفاء، ثم وصف الأسرة الأموية : (ثم ولي مروان بن الحكم طريد، لعين رسول الله، وأبن لعينه، فاسق في بطنه وفرجه، ثم تداولها بنو مروان بعده، أهل بيت اللعنة، طرداء رسول الله ، وقدم الطلقاء، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا التابعين بإحسان، فأكلوا مال الله أكلاً، ولعبوا بدين الله لعباً، واتخذوا عباد الله عبيدا، يورث ذلك أكبرهم منهم الأصغر، فيا لها أمة ما أضيعها، وأضعفها ....ثم ولي يزيد بن عبد الملك، الفاسق، في دينه، المأبون في فرجه، الذي لم يأنس منه رشد، يأكل الحرام، ويشرب الخمر، ويلبس الحلة، قومت بألف دينار، قد ضربت فيها الأبشار، وهتكت فيها الاستار، وأخذت من غير حلها، حبابة عن يمينه، وسلامة عن يساره، تغنيانه، حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ، قد ثوبه، ثم التفت إلى إحداهما، قائلا : ألا أطير، ألا أطير، نعم، فطر إلى جهنم، إلى لعنة الله، وحريق ناره، واليم عذابه) [1].

وأمّا النقد الاجتماعي، في مفهوم النظرية الاجتماعية المعاصرة، فهو نمط جديد من النقد، ارتبط في كثير من الأحيان، بقراءة الجوانب الاجتماعية

---

١ – باتريشيا كرون، ومارتن هيندز، خليفة الله، السلطة الدينية في العصور الاسلامية الاولى، ترجمة : أحمد طلعت، دار جسور للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص : ٢٤٧ .

والايديولوجية في النصوص، ومنها النصوص، الادبية والفلسفية، أي استكشاف الابعاد الاجتماعية كالمصالح الطبقية، في الخطاب، فمثلاً يذهب الكاتب الاجتماعي، بيير ف. زيما (تولد براغ : ١٩٤٦) صاحب كتاب : (النقد الاجتماعي)، الى الربط بين علم النقد الاجتماعي وتوظيف اللغة الأدبية، والانتاج الادبي، لخدمة مصالح طبقة اجتماعية محددة مثل الرأسماليين ، أو خدمة الطبقة العمالية ومن ثم كشف عن محتوى : (اللغة الإيديولوجية التي تعبر بوضوح، وعلى المستويات المعجمية والدلالية والتركيبية، عن مصالح جماعية مخصوصة)[١] .

وأما بالنسبة للتفكير النقدي، عند الإمام علي عليه السلام، كما هو متجلي في هذه النصوص النقدية، التي يحفل بها تراث الإمام الروائي، فهو يجمع بين الخاصيتين : الخاصية الفطرية الذاتية، والخاصية التعليمية، كما تلقها من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فهو تلميذ القرآن الكريم، والناطق بهذا العلم الالهي :

(وَلَقَدْ كُنْتُ أَتّبِعُهُ اتّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَماً مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُني بِالإقْتِدَاءِ بِهِ .)[٢]، وقال عليه

---

١ - w w w. kutub.pdf. net

٢ - نهج البلاغة، ج٢، ص : ١٥٧ .

السلام أيضاً في صفة العقل والتفكير :(لاَ مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ،..... ولاَ عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ)[1] .

وفي إطار التفكير بنقد المجتمع ورفض ممارسات الناس في الواقع ، قد يتحول التفكير الناقد في المجال الاجتماعي إلى تفكير بالعنف والاقتتال، إذا لا يجد الناقد من محيص عن وسيلة العنف في ردع الطرف المعتدي على مجمل الفضاء المجتمعي ، أو أن هذا الاسلوب في الوصول إلى الاهداف والغايات التي سبق أن عبر عنها بالكلام والألفاظ من دون جدوى، صار لابد منه في تحقيق الاهداف، أو كان الخصم ممن لا يتورع عن التقدم نحو ممارسة العنف ضد الناقدين والرافضين له، يقول الإمام علي عليه السلام :

(وَاللهِ لاَ أَكُونُ كالضَّبُعِ : تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ [2]، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُها، وَلكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامعِ الْمُطِيعِ العَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي؛ فَوَ اللهِ مَا زِلتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هذَا)[3].

إذا، فالتفكير النقدي، وما ينتج عنه من حصائل فكرية، جزء مهم من الثقافة في أي مجتمع، وذلك لما فيه من تنبيه للوعي، والفات لانتباه السّاهي،

---

١ - المصدر نفسه، ج٣، ص : ١٥١

٢ - طُولِ اللَّدْمِ : نوع من الضرب أو الايقاع يؤدي إلى الغفوة .

٣ - نهج البلاغة : ج١، ص : ٤١ .

وتغيير للمسار الاجتماعي السائدة ، وتطوير للنماذج، وذلك بفعل ما يترتب عليه من التغييرات الاجتماعية و الثقافية والادبية والعلمية ، ومن هنا صار التفكير النقدي هو الجامع بين عناصر، ومنتجات فكرية وعلمية وثقافية كثيرة في المجتمع، منها ظاهرة النقد الاجتماعي، وظاهرة النقد الثقافي، وكذلك ظاهرة النقد الأدبي، وظاهرة النقد العلمي :

(إن التفكير النقدي والتحليل المنطقي، هو أكثر ما نحتاجه في مجتمعنا، ولابد من وجود سعي حثيث وبذل جهد كبير لتكريس طريقة التفكير هذه في مدارسنا وجامعاتنا بدلاً من طريقة التلقين والتجميع للمعلومات التي لا تجد طريقاً للدول إلا الذاكرة، والتي سرعان ما تجد طريقاً آخر للخروج من الذاكرة)[١].

وهكذا يصبح التفكير المنطقي من تجليات التفكير الناقد، وقد يتماهى التفكير الناقد مع التفكير المنطقي، من استحضار الحجج والادلة والبراهين لمواجهة الخصم، فهو شديد الصلة بموضوع الحجاج، وكذلك بأساليب الكشف عن المغالطات الكامنة في منطق الخصم، وفي اساليب استعمال اللغة المغالطية عنده، وبذلك فهو يشق طريقه عبر البلاغة، وعلم استعمال اللغة، والجدل والمناظرة، ومن وصيته(عليه السلام)، لابن عباس لَهُ لما بعثه للإحتجاج على الخوارج :

---

[١] - كريس هورنر، إمريس ويستاكوت، التفكير فلسفياً، ترجمة : ليلى الطويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١١، ص : ٧ .

(لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوه، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلكِنْ حاجّهُمْ بالسنّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً) [1].

واليوم، لقد اكتسب التفكير النقدي كل هذه الأهمية الاستثنائية، ولاسيما في السنوات الخيرة من القرن العشرين، وهو زمن تفكك الايديولوجيات، وسقوط الحجج التي سوقتها أو المبررات، ومن ثم سقوط الأنظمة الشمولية، وانكشاف الكثير من اللعب الدولية والمؤامرات التي تتخذ من الفكر غطاءً لمشروعيتها العالمية ، مما أسفر عن انتشار المناقشات العميقة لقضايا الاحتجاج والبلاغة من أجل التأثير، والنقد مثل : الصدق، والمعرفة، والرأي، وكيفية تحديد أنماط الحجج الشائعة وتقويمها، وكيفية استخراج المغالطات في بناء الحجج وتبيان المنطق الصحيح من الفاسد، من أجل توفير الضمانات للتفكير الصحيح والواضح والعقلاني، وصار من الواضح أن التفكير النقدي هو قادر على فرز الحجج والاستدلالات المنطقية من غيرها، وفي جميع الحقول المعرفية وتسويق الأفكار والنظريات والنماذج، والكشف عن الحبكة اللغوية في الوسائل التواصلية، وفي الاعلام:

(إن المفكرين الناقدين يهتمون بشكل أساسي بالحجج، وما إذا كانت تلك الحجج تنجح في أن تقدم لنا أسباباً وجيهة للفعل أو

---

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ١٣٦ .

للاعتقاد، لكن نحن في حاجة أيضاً لأن نتأمل المحاولات التي لا تعتمد على حجج في الاقناع، حتى نكون قادرين على تمييز تلك المحاولات عن الحجج، وهذا الأمر لا يتم دائماً بشكل مباشر، خاصة وأن العديد من محاولات الاقناع يشتمل على مزيج متنوع من التقنيات الحجاجية، واللاحجاجية ، حتى يجعل القراء يوافقون على وجهة النظر أو يقومون بفعل ما)[١].

من هنا نتعرف إلى عظمة النصوص التأسيسية، والتي قدمها الإمام علي عليه السلام، كمساهمة خالدة في مجال نشر ظاهرة النقد الاجتماعي ، تعمل على إرساء أسس التفكير النقدي في الإسلام، وهو تفكير ذو طبيعة قرآنية بالدرجة الأساس، فهو من طبيعة التفكير عند الانبياء، وقدرتهم على الفرز والتشخيص، وهي طبيعة نقدية، تشجب الواقع البائس للإنسانية وتستنكره ،و تدعو الأخرين إلى الوعي والتغيير والمشاركة في الاصلاح، والنقد، والاستنكار لكل أنواع الضلالات والمغالطات السائدة ، التي يعج بها الواقع الانساني، والتي تُقدّم عادة في شكل حجج واستدلالات، بلغة بليغة، تستهدف الإقناعَ والتأثيرَ في الناس، وجلبهم إلى بيت الطاعة، بيت الاستغلال، والاستعباد، برسم الطاعة للدين وتحقيق المصلحة للعامة ودفع الفتن، فيما هي في الواقع ، أنموذج صارخ للسقوط في الفتن والفساد

١ - تريسي بويل، وجاري كمب، التفكير النقدي، دليل مختصر، ترجمة : عصام زكريا جميل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص : ٢٢ .

والانحلال، من هنا يتطلب الأمر قدرة استثنائية على الفرز والتشخيص ومن ثم النقد لهذه السياسات :

(إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتابُ اللهِ، ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْـمُرْتَادِينَ؛ وَلَوْ أَنَّ الْحقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ البَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْـمُعَانِدِينَ؛ وَلكِن يُؤْخَذُ مِنْ هذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى) [١].

ويتضح من النص الشريف، كيف يمكن أن يتولى بعض الرجال على البعض الأخر من الاتباع، ويتم التأسيس لنوع من العلاقات الاجتماعية، أو أنماط من الولاية السياسية ، وذلك من خلال التضليل الفكري، وصناعة الحواضن الشيطانية في طريقة تفكيرها القائمة على صناعة المغالطات، التي لا تنطلي على الناقد الفذّ، فحقيقة المغالطات هي :، نماذج تفكرية، تترتب عليها، أبنية فكرية عديدة، قائمة على الخلط أو، الدس، او التعمية، وذلك بالإفادة من المقدمات المغشوشة، ووضعها بشكل خفي داخل في الاستدلال والاستنباط .

١ - نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ج١، ص : ٩٩ .

ومع وجود الاتباع، والقوى الاجتماعية المساندة ، التي يفكر بعضها بنقد البعض الآخر، بل وفي تكفيره أو ازاحته من الساحة والتنافس، يتحول المشهد من التراشق الكلامي والنقد اللفظي إلى التفكير بوسائل العنف، والتمرد، والتراشق بالحرب والاقتتال، الأمر الذي يكشف عن خطورة هذا الاسلوب في الحياة الاجتماعية والتحولات التي يمكن أن تتولد عنه في معالجة المشكلات الاجتماعية، من هنا لابد من البحث في المحتوى الفكري والثقافي وحدود المسؤولية الاجتماعية في النقد الاجتماعي .

في ضوء هذا المحتوى العميق بمسؤولية التفكير النقدي، يكشف الفعل النقدي التواصلي، الذي ينتج عن التفكير النقدي، عن قدرات ثقافية غير تقليدية في التكيف والمواجهة والمعرفة، والالمام الواسع بالتعددية الثقافية والاجتماعية، ذلك بأن المعرفة بالخصوصيات و التعددية ظاهرة ملازمة للكفاءة في الدخول في العوالم الاجتماعية المختلفة والثقافات، والتصرف في إطار هذه العوالم بشكل طبيعي، مع مجابهة التحديات في البيئة الخارجية، ونقاط الضعف في البيئة الداخلية، وصولاً إلى نقدها الجذري والأخلاقي وفضح التناقضات الثقافية المتجذرة فيها، أي من دون التهرب من هذه المواجهات أو الامتحانات أو الاختبارات، ومن ثم الخروج منها برؤية نقدية لكل ما هو غير مستساغ، وهذا ما نشاهده بوضوح في تجربة الامام علي عليه السلام، ولاسيما في خطابه النقدي في مجتمعات عاشت المواجهات الدامية، مثل مجتمعات: البصرة، والكوفة، والنهروان، والمدينة، ومكة، والشام، ومصر .

في التراث النقدي للإمام علي عليه السلام،و لاسيما في مجال النقد الاجتماعي، نجد عديد النصوص الحافلة بنماذج نقدية رائعة في التمثل الوظيفي لملكة التفكير الناقد، وطرائق اشتغالها في المجتمع، كما في رد التفكير النقدي المنحرف، فقد أراد أحد المتطلعين إلى تسنم موقع الخلافة والسلطة، أن ينتقص من الإمام عليه السلام، من خلال اعتماد التفكير الناقد، بالقول أنه حريص على الوصول إلى السلطة أو موقع الرئاسة الدنيوية والخلافة :

(وَقَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ يا بْنَ أَبِي طَالِب عَلَى هذَا الأَمْرِ لَحَرِيصٌ، فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ أَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْملاءِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!)١.

أو كما في استهداف التغيير الاجتماعي من خلال النقد الاجتماعي ، وهذه وظيفة أساسية من وظائف التفكير النقدي، ولعل جانباً من النص النقدي في خطبة الجهاد هو شكل نموذجي في هذا المجال :

(يَا بْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلى مَأْدُبَة، أَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ

---

١ - نهج البلاغة، ج٢، ص : ٨٤ .

الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَ الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ. أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ . فَوَ اللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً. بَلَى!، كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ)[1].

أو كما في رد النقد بالنقد السليم، والمعطيات التي تفضح الخصوم وتكشف عن طبيعة الخلط الموجود في كلماتهم، كما في الرسائل التي وجهها إلى معاوية بن ابي سفيان، وهي تتضمن الرد على مغالطاته الفكرية، وطريقته التضليلية في التفكير والتأثير في صناعة الأتباع .

(إِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهاً، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ، الإِسْلاَمِ كُلُّهُ

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ٧٠ .

لِرَسُولِ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) حِزْبَاً، وَذَكَرْتَ أَنّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ ! وَذلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ، فَلاَ عَلَيْكَ، وَلاَ الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ. وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْـمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ، وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَد: مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ، بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ، وَعِنْدِيَ السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ، بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّكَ، وَاللهِ، مَا عَلِمْتُ الأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْـمُقَارِبُ الْعَقْلِ، وَالأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوء عَلَيْكَ لاَ لَكَ، لاَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلاَ فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ !! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَام وَأَخْوَال ! حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ، وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ، عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّد(صلّى الله عليه وآله)، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوف مَا خَلاَ مِنْهَا الْوَغَى، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى. وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ،

أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ. وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ، فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ)[١].

ومن النص أعلاه يتضح حجم الفارق بين منطق الامام عليه السلام في النقد ومنطق معاوية ، فمنطق الامام هو منطق الاسلام في النقد ، وهو منطق الانبياء كما في نصوص القرآن الكريم ، ويوثق الامام هذا النقد من خلال الشواهد التاريخية والوقائع ، التي جزء من شواهد السيرة النبوية ومحطات الرسالة ، حيث قتل أعمام واخوال معاوية في حروب قادها الرسول الأعظم ، صلى الله عليه واله بنفسه ضد طغيان قريش .

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ١٢٣ .

المنهج النقدي
(والموقف من التحولات الاجتماعية)

العناية بالتفكير النقدي، والمنهج النقدي ، والخطاب الذي ينتج عنهما ، في مقابل أنماط التفكير الأخرى ، مثل البنيوي أو التاريخي ، يمثل أحد الأوجه الميزة للنظرية الاجتماعية المعاصرة في السمات والخصائص ، عن الفكر الاجتماعي الكلاسيكي، وفي ضوء ذلك ، صار التفكير النقدي الاجتماعي الواعي، والمسؤول، والذي يتحول إلى فعل تواصلي مع الآخرين، لابد له من منهج واضح في التعامل مع المجتمع ومشكلات هذا المجتمع، وذلك من خلال ما يدعى بالمنظور، أو الأسلوب أو الأساس الفكري في قيادة التوجهات النقدية وتحريك مفردات الخطاب النقدي، وإبراز هذا التعامل والتواصل مع المجتمع من موقع التقريع والنقد والتوجيه والاستنكار ، كخطاب منسجم، وغير متناقض في محتواه العام، وخط فكري موحد يجمع النصوص على مدار واحد، وذلك على خلفية رؤية كونية ثابتة من المبادئ أو القيم الموجه للمشروع ، أو الخطوط العريضة، والتي اختارها التفكير الناقد ، كاستراتيجية، والتي يدافع عنها من خلال الخطاب والتواصل مع المجتمع، وهو يرغب في استمرارها كخيار اجتماعي لتطور المجتمع والنهوض به من براثن الجهل والتخلف والنفاق وصد الخصوم والمعتدين، ولاريب أن هذا الأمر لا يفرض على الخطاب النقدي في المجال الاجتماعي من الخارج

نصوص الخطاب، أو تصديق سلوكيات الناقد، بل لابد أن يكون في منتهى الوضوح في هذه النصوص والسلوكيات، ومن هنا تم ترسيم عناصر الأسلوب أو المبادئ الكبرى في النظرية الاجتماعية البراغماتية، مثلاً بالشكل الآتي :

(الخطوط العريضة للعناصر الأساسية التي يتكون منها الأسلوب البراغماتي ولذلك سنؤكد على خمس مبادئ جوهرية مكونات ما نقترح تسميته : اللوحة الخلفية النظرية للأسلوب البراغماتي وهي : التناظر، والتعددية، والكفاءة، وقواعد الاتفاق، ومنظومة العاملين، ومن خلالها نقدم عرضاً حول الاقتصاد العام للنموذج من أجل فهم رهاناته)[١].

لا نريد في هذا البحث الدخول في هذه المصطلحات أو التفصيلات، أنما نؤكد على مبدأ الاسلوب، أو ما يعرف باللوحة الخلفية بشكل عام، إذ تكشف النصوص النقدية في التراث الحديثي للإمام علي عليه السلام عن أسلوب جامع، أو منظور موحد ، أو ما يعرف اليوم بالاستراتيجية في النقد، في مخاطبة الخصوم أو الأخرين، وفي القاء الحجج والاستدلال من

١ – محمد ناشي. مدخل إلى علم الاجتماع البراغماتي، تصدير: لوك بولطانسكي، ترجمة وتقديم: طواهري ميلود، دار روافد الثقافية في بيروت، وابن النديم للترجمة، الجزائر، ط١، عام ٢٠١٤م، ص : ٣٢ .

خلال المنهج النقدي، وسنعرض لثلاثة أنماط من النقد الاجتماعي، ترتبط جميعها بمنطق التحولات الذي يقودها الاسلام في الواقع الاجتماعي، والنقد الاجتماعي عند الامام عليه السلام، يحاول أن يكرس هذه التحولات القائمة على بناء الانسان، ورعاية العدالة الاجتماعية في المجتمع والتوازن الاقتصادي بين الفئات، ويجذرها، من خلال مجموعة من الاساليب، ولاريب أنها من أساليب القرآن الكريم في النقد الاجتماعي، الذي أسس له الأنبياء، في النقد والجدل والحجاج مع المخالفين :

(واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْـمَثُلاَتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ حَالَهُمْ، وَزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ فِيهِ بِهِمْ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ: مِنَ الاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا. وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ : مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الأَيْدِي) .[1]

[1] - نهج البلاغة : ج٢، ص : ١٥٠ .

١ - نقد الخصوم، والأعداء، وهم ممن يريدون البقاء على الوضع السابق رغم النجاح في تحقيق التحول، ويحاول هنا الخصم أن يحقق عبر المخاتلة والنفاق، والكذب ، واصطناع الأعذار ما لم يستطع تحقيقه من خلال المعارك السابقة، والجولات التي هزم فيها، فيأتي النقد على الأساس أو الأسلوب القائم التذكير بالمواقف السابقة لهؤلاء الخصوم من أصل مجيء الاسلام، والتذكير بمواقفهم السابقة في مكة، وكيف كان الرفض للدين الجديد هو الموجه لهم، ومن ثم استقراء مواقف الخصم في عدم الايمان بالتحولات الاجتماعية الكبرى التي جاء بها الاسلام .

٢ - نقد الأفراد أو الجماعات التي تعيش حالة الركون والركود العمى في سلوكها، و خضوعها الابدي إلى ما هو السائد والمتعارف، مما هو مخالف للمنهج العقدي الإسلامي أو الأخلاق الاسلامية، أو خلاف السلوك، والقانون الإسلامي ومقتضى الأدلة الشرعية، وهذه شريحة كبيرة مع الأسف من المكون الاجتماعي .

٣ - والشكل الأخير هو النقد الاجتماعي، باتجاه الدفع نحو العمل الجاد والصبر والمثابرة، والتضحية من أجل الاستمرار في تغيير الواقع، وانجاز الأهداف، ومن ثم تحقيق الإنهاء الكامل لحالة الجمود والركود التي تعيشها الناس بعيداً عن القيم الاسلامية، وسنتناول هذه المفردات من خلال البحوث الآتية .

أولاً : نقد رفض التحولات الاجتماعية أو معارضتها :

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، هو المعروف ببطل التحولات في التاريخ الإسلامي المبكر، والمساهم الاول في ظل قيادة الرسول (ص)، على العمل في انتشار الإسلام، في بلاد العرب، إذ وقف إلى جانب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في جميع المواقف والمنعطفات ، وفي الحروب والانتصارات التي مرت بها الدعوة إلى الإسلام، وكان أخاه وأبن عمه ونصيره الاول، حتى قال فيه النبي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولكن لا نبي من بعدي ، فكان أكثر الناس معرفة بهذا التاريخ من التحولات الفكرية و الاجتماعية، وهو الشاهد الاول بعد الرسول الكريم، على من تجبر وأنكر، ووقف بوجه هذه التحولات التي ارادها الله تبارك وتعالى في حياة البشرية .

من هنا، كان الإمام يستحضر هذا التاريخ، باستمرار هذا الدور المشرف له ولباقي أفراد الاسرة النبوية في نصرة الرسالة :

((فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذلِكَ الأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ،

فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ(صلّى الله عليه وآله)، إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِه فَوَقَى بِهِمْ أَصَحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْر، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُد، وَقُتِلَ جعفرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتَهُ أُخِّرَتْ. فَيَاعَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لاَ يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لاَ أَعْرِفُهُ، وَلاَ أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ، وَالْحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ.)[١].

وفي المقابل من هذا الدور البطولي للأسرة النبوية وفي الطليعة منها دور وأثر الإمام عليه السلام، كان يوجد الدور غير المشرف للأعداء، ولاسيما جزء كبير من قبيلة قريش، في مواجهة الرسالة، قبيلة قريش والقبائل المتحالفة معها ضد رسالة الاسلام ، وهي الأساس في تشكل قوى المعارضة، فيما بعد رحيل الرسول، أيضاً، و التي اضطلعت بالحرب على حكومة الامام في جميع المراحل .

---

[١] - نهج البلاغة، ج٣، ص : ٨

وكان الإمام يستدل بهذا السجل العدائي، على الواقع التاريخي والجدلي لخصوم الرسالة، وجهودهم في مواجهة النبي ﷺ، هذا الواقع القبلي، والذي يتخذ في كل مرة صيغ جديدة لمحاربة الرسالة، تارة من الخارج، من خلال الكفر الصريح بماء جاء به الرسول الكريم، وأخرى الرفض من الداخل الاسلامي، وذلك من خلال النفاق، والعبث بأمر الدين والانقلاب عليه، فيُذكّر الإمام الخصوم بتلك المواقف السابقة باستمرار، عند المواجهة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، في خطابه النقدي الذي يوجهه للخصوم، ولاسيما في الرسائل والكلمات التي وجهها لقريش أو معاوية، أو كما في هذه الرسالة الموجهة إلى عقيل بن أبي طالب، وذلك لكي لا تنطلي المغالطات على الناس البسطاء :

(فَدَعْ عَنْكَ قُرَيشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلاَلِ، وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي) [1].

استراتيجية التذكير بالمواقف السابقة، هي من تفضح الأعداء ، وتكشف عن استمرار سلوكهم العدواني ، هذه المواقف الرافضة للرسالة، وغير المؤمنة بالتحولات الاجتماعية التي ترتبت عليها، واستمرارية هذه المواقف

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص ٦١ .

في كل مرة، ومع أي موقف جديد، والتي تتسم بالعداء الصريح أو المبطن للإمام والرفض الصريح لخلافته ، هي في الواقع رفض ضمني للتحولات التي جاء بها الاسلام ، ولو تحت عناوين، أخرى مغايرة مثل طلب الثأر لمقتل عثمان بن عفان، والذي حذر منه الإمام، إذ حذر عليه السلام ، من وقوع مثل هذه الكارثة منذ تعرض الخليفة عثمان إلى النقد الاجتماعي من قبل الناس وسخطهم على السياسات الاقتصادية التي اتبعها ، كان النقد في البداية ، في حدود استعمال اللفظ ، لكن ثمتّ امكانية لانقلاب هذا النقد الاجتماعي إلى مرحلة العنف، كما حصل بالفعل، وكما توقع الامام ذلك، كانت مواقف الناس من الامام عليه السلام ، وفي الاحوال جميعاً ، ، ما هي في الحقيقة إلا استمرار للمواقف السابقة من الرسالة ذاتها ، ومن تحولاتها في المجال الاجتماعي والعلاقات ، وهذا المنظور نفسه يظهر بوضوح في الرسائل الموجهة إلى معاوية :

(أَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُس بَقِيَتْ، فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى النَّارِ، وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ والرِّجَالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَاف، فَكَذلِكَ نَحْنُ، وَلكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلاَ حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلاَ أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِي

طَالِبٍ، وَلاَ الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلاَ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلاَ الْـمُحِقُّ كَالْـمُبطِلِ، وَلاَ الْـمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَفِي أَيْدِينَا بعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ. وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هذهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْـمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ.)[1].

ويتضح من النص أعلاه، الاستراتيجية النقدية الاجتماعية ذاتها، أي الرفض المستدام من قبل فئات اجتماعية من قريش، وفي مقدمتهم الأمويين، والأسرة السفيانية، وعدم قبولهم للتحولات التي جاء بها الاسلام للعرب ، وأن أسرة الرسول الأعظم هم الطرف الأكثر اضطلاعاً وعملاً بهذه التحولات الكبرى، وهم المدافعون عنها في مواجهة من يرفض وقد أعلن الحرب على الإسلام وأهله .

ثم يظهر هذا المنظور، في رسالة أخرى، يؤكد فيها الإمام عليه السلام، اصرار أسرة الأمويين على البقاء على سوابق الشقاء، والتمادي في هذا المنهج الذي هلك فيه الأولون من هذه الأسرة غير الشريفة أو المشرفة في تاريخ العرب .

---

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ١٦ .

(ومَتَى، كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلاَةَ أَمْرِ الأُمَّةِ! بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزومِ سَوَابِقِ الشَّقَاء، وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمادِياً فِي غِرَّةِ الأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَةِ والسَّرِيرَةِ. وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ،ذلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي، مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً، وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ. وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمانَ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنتَ طَالِباً،)[1].

وفي النتيجة تحول الرفض الداخلي لبعض التحولات التي جاء بها الاسلام، سواء المعلن أم المبطن، فيما بعد مرحلة النبي الكريم صلى الله عليه واله، إلى تبني أوسع نطاقاً اجتماعياً، وذلك من قوى عنيفة، سبق لها أن قاتلت التجربة الاسلامية في مكة بشراسة، ثم صارت في المراحل اللاحقة، قادرة على تدمير التجربة التجديدية والتغيرية للإسلام من الداخل، واعادة الناس إلى الواقع الجاهلي، وذلك بواسطة من ساعدهم ومكنهم من الوصول إلى

---

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ١١ .

مواقع السلطة في الولايات الاسلامية، (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)١.

ثانياً : نقد البقاء على العادات المتحجرة في المجتمع و المخالفة للتحولات :

هذا شكل أخر من اشكال المساعدة في تخريب التجربة الاسلامية وإعاقة التحولات التي تستهدف تحقيقها في المجتمع، وهو البقاء على العادات والتقاليد السائدة في المجتمع من قبل شريحة المسلمين والمؤمنين وطبقتهم، وليس كما في الحالة الاولى حيث يأتي العداء للتحولات من قبل الكفار والمنافقين .

إن ما يقرره الخليفة من الاحكام والقرارات، هي بمثابة العادات والتقاليد الجديدة في المجتمع، وتصلح أن تكون هي الحاكم على تعاليم القرآن أو السنة النبوية الشريفة ، اذ جعل الناس من هذه الاحكام الجزافية ، مخصصة ومقيدة للكتاب والسنة، فهي اشكال من العادات والمستحسنات التي غدت حاكمة على النص القرآني، أو مخصصة ، أو على أقل تقدير تعدّ عندهم مقيدة، لما جاء به الاسلام، وهذا كان أحد اكبر الكوارث التي منيت بها هذه الأمة بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، حيث صارت

١ – سورة محمد / الآية : ١٩

التحولات الاسلامية الكبرى على المحك، الأمر الذي جعل مجمل الحركة الاسلامية في حالة من التباطئ في التطبيق، وفي وضع اجتماعي جديد منفتح على عودة التقليد والعادات والاطماع الجاهلية، ولاسيما في مجال ادارة المجتمع والشأن العام وبناء الدولة:

(إن علي بن أبي طالب هو الرجل الثاني للنبي، وهو الاستمرار الصلب العنيد للرسالة، لا الاستمرار الرخو المتميع لها، وهؤلاء كانوا مشدودين إلى أطماع وإلى مصالح، كان من المصلحة ان تستمر هذه الحركة، لكن كان من المصلحة ان لا تستمر بتلك الدرجة من الصلابة والجدية، بل ان تستمر بدرجة رخوة، هينة، لينة .... تستمر بشكل لين هين، بشكل ينفتح على مطامع أبي سفيان)[١].

ومن التطبيقات الجلية التي انتقدها الامام في هذا المجال قضايا انتهاكات الحريات أو لحقوق الإنسان، كما حصل مع الصحابي الكبير، أبي ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليه) ، وجميع أفراد الاسرة الكريمة، من الطرد من أرض المدينة المنورة، وتسييرهم نحو الصحراء القاحلة ، أو قتل قرية كاملة هي قرية الصحابي مالك نويرة، بتهمة الردة، لعدم تسليم الزكاة إلى حاكم لا يريد الاعتراف به اماما للمسلمين لأنه كان من المشركين في

[١] - محمد باقر الصدر، أهل البيت، تنوع أدوار و وحدة هدف، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص : ٨٤ .

الجاهلية، ومن ثم حصل انتهاك لحرمة جثامين القتلى، وانتهاك لإعراض الناس، ومنهم، انتهاك لحرمة و عرض الصحابي مالك نويرة .

ومن الشواهد التي ادانها الامام بالنقد الاجتماعي، أيضا، صرف الأموال التي كانت ترد على المسلمين، وكان يفترض أنها لجميع المسلمين، فعمد الخليفة إلى اعتماد نظام المنح، والهدايا الشخصية، من قبيل قطع الاراضي وتمليكها للأقارب والابناء، أو صرف المبالغ الطائلة في داخل الأسرة، أو اعتماد نظام التدرج في العطاء، فيما الأكثرية الساحقة هي في حالة من العوز ومكابدة الفقر :

(اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً!)[١] .

من هنا ينطلق، المنظور الأخر الذي نجده في النصوص النقدية الاجتماعية عند الإمام علي عليه السلام، وهو النقد الاجتماعي في التفصيلات، والأجزاء، والسلوكيات، التي تصدر هنا وهناك وهي مخالفة لمنطق التحولات الذي جاء بها الإسلام، من أجل إعادة بناء الحياة . فهو يشكل أسلوباً من النقد الاجتماعي لبقاء الناس على ما هم عليه من السلوكيات

---

[١] - نهج البلاغة : ج٢، ص : ١٢ .

المخالفة للإسلام الذي آمنوا به، والذي يفترض أن يشكل سلوكهم في الدقائق الاجتماعية كافة .

ومن الشواهد التفصيلية، على هذا النمط من النقد الاجتماعي، كلمة الامام التي وجه بها نقداً لاذعاً، لمن أدعى الأفضلية على الناس، من خلال الأسبقية في الاسلام، أو الاستجابة للدعوة، إذ أن ذلك شعور كاذب، واستجابة مزيفة لما هو سائد ومشهور من التفاضل الاجتماعي أو التدرج بين الناس في طبقات ومراتب، وذلك من خلال اتخاذ المعايير المادية أو المعنوية والحصول على المكاسب من جراء هذا التفاضل، جاء في شرح أبن أبي الحديد ، ونقله عنه أخرون :

(لكني لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم ثم التفت، عليه السلام، يمينا و شمالا فقال : ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار و فجروا الأنهار و ركبوا الخيول الفارهة و اتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عارا و شنارا إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه و أصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك و يستنكرون و يقولون حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا ألا و أيما رجل من المهاجرين و الأنصار من أصحاب رسول الله ص يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا عند الله و ثوابه و أجره على الله و أيما رجل استجاب لله و للرسول فصدق ملتنا و

دخل في ديننا و استقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام و حدوده فأنتم عباد الله و المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد و للمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء و أفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا و لا ثوابا و ما عند الله خير للأبرار و إذا كان غدا إن شاء الله فاغدوا علينا فإن عندنا مالا نقسمه فيكم و لا يتخلفن أحد منكم عربي و لا عجمي كان من أهل العطاء، أو لم يكن إلا حضر إذا كان مسلما حرا ، أقول قولي هذا، و أستغفر الله لي و لكم ثم نزل . قال شيخنا أبو جعفر و كان هذا أول ما أنكروه من كلامه (ع)، و أورثهم الضغن عليه و كرهوا إعطاءه و قسمه بالسوية فلما كان من الغد غدا و غدا الناس لقبض المال فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه ابدأ بالمهاجرين فنادهم)[1].

إذا هنالك عادت وتقاليد ازدهرت في داخل البناء الاسلامي الجديد ، واندست ما بين التحولات الكبرى، وافترض الناس أنها صحيحة ولا تخالف الاسلام في شيء، وهي ليست من الاسلام في شيء كما في هذا الوضع الاقتصادي القائم على أساس الافضلية في الانتماء للرسالة ، والاسبقية في الالتحاق بالإسلام، الذي يتنافى مع روح الاسلام الحقيقة القائمة على المساواة والعدالة في توزيع الريع العام .

---

[1] - اتمام نهج البلاغة، تقديم حسن عصفور، دار التفسير، قم، ط١، ص : ٣١٦ .

وفي هذا الاطار من النقد الاجتماعي، تتكرر النصوص وتتكاثر الصرخات في الشجب والاستنكار، ورفع الصوت في تذكير المسلمين بما يجب عليهم من حماية التحولات وضمان استمرارها من خلال الالتزام، والمثابرة على الطاعة لما جاء به القرآن والنبي :

(أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَد نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْـمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيِّةِ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هذِهِ الأُمَّةِ فِيما عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هذِهِ الأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْـمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ الْـمُوَالاَةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ: النَّارَ وَلاَ الْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ.)[1] .

[1] - نهج البلاغة، ج٢، ص : ١٥٤ .

وفي داخل جماعة الامام، كان هنالك من يحاول التحايل على القانون العام، والعبث الاجتماعي من خلال العلاقات الشخصية، والمشبوهة التي تمكنه من الافلات من الاستحقاقات العامة : القانونية والرسمية، أو الحساب والعقاب، الذي يستحقه في ضوء القانون ، وإلى ذلك يشير قوله عليه السلام :

(وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا ؛ كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ ! أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي! أَمُخْتَبِطٌ أَمْ ذُو جِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ! وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا، مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَى !، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ)[1] .

ومن المؤكد أن الإمام يسعى إلى استئصال تلكم العلاقات الشخصية والاجتماعية المضللة، والتي تعمل على النخر في الكيان الاجتماعي، وتمهد للكثيرين من الإفلات من الاستحقاقات العامة، أو تمهد للفساد الاداري،

---

١ – نهج البلاغة، ج٢، ص : ٢١٧ .

وتضلل القانون والعمل الحكومي، وذلك تحت مضلة العلاقات العشائرية والاخوية والفئوية، كما هو حال الكثير، بل جميع الاحزاب الاسلامية واتباعها في هذا الزمان :

(يَابْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلى مَأْدُبَةٍ، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.)[1].

ثالثاً : النقد باتجاه الدفع لتغيير الواقع الاجتماعي:

ومن أجل تجاوز الواقع الظلامي، للجاهلية، أو البقاء على تلكم العادات والتقاليد، أو التحالفات القبلية من أجل الحفاظ على الامتيازات، والجاه، والمصالح، كان لابد من الدفع باتجاه التغير، للخروج من مأزق الدولة المستبدة، كما حصل في أيام الخليفة عثمان بن عفان ، أو عندما وصل الإمام إلى السلطة وكان لابد من الاصلاح، واستعادة الحقوق والاراضي التي تمت توزيعها لصالح أفراد الاسرة الأموية، و كل ذلك إنما يأتي في اطار

---

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ٧٠ .

استراتيجيات الإمام، وأسلوبه في حماية التحولات الكبرى التي جاء بها الاسلام، على يد الرسول الأكرم ﷺ :

(كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ، وَالثِّيَابُ الْمتَدَاعِيَةُ ! كُلَّما حِيصَتْ مِنْ جَانِب تهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ، كُلَّما أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُل مِنْكُمْ بَابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ في جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا، الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصرتُمُوهُ؛ وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِل، إِنَّكُمْ وَاللهِ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ( )، وَلكِنِّي واللهِ لاَ أَرى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي. أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ ! لاَ تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، وَلاَ تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبطَالِكُمُ الْحَقَّ!)[1].

ومن الملاحظ أن أكثر الدارسين المعاصرين لبناء للدولة الإسلامية، في المراحل المختلفة قد وقع في فخ الخلط بين تجربة الإمام عليه السلام، وتجارب الخلفاء الراشدين، ولم يلتفت إلى أن الإمام كان يعيش دور المعارض، والمطالب بحقه في الحكم ، أو حينما يدعو للتغير، حينما طالبَ عثمانَ باستبعاد الحاشية الاموية، وكان يعيش الخشية أو التقية، في كثير من الاحيان،

[1] - نهج البلاغة :ج١، ص : ١١٧ .

لتجنب بطش التحالف القبلي، أو خوض أي مواجهة مع هذا التحالف القائم في فترة حكم الخلفاء، الثلاثة، الأوائل، فيما تحول الإمام إلى ضحية العنف الذي تمارسه الجماعات المسلحة حينما وصل إلى الحكم، ومن هنا نعرف أن تجربة الامام كانت مميزة عن تجارب الأخرين، سواء في المعارضة، أم في السلطة، فهو مستهدف بالعنف، والحرب، الكامن أو المعلن، مما يعني أنه يمثل حالة ثالثة من شكل الدولة، لا طريقة الخلفاء، ولا طريقة الجماعات المسلحة، وطلاب التوريث :

(تمثل الخلافة الراشدة في الفكر السياسي الإسلامي، ولدى جمهور المسلمين، نموذجاَ، سياسياً، تاماً، اتصف، بجميع صفات الكمال السياسي، وعلى جميع المستويات، إلى درجة لا تكاد، تجد أحداً من المتقدمين والمتأخرين، شكك في هذا الكمال)[١].

لكن بالعودة إلى خطاب النقد الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام، وكذلك عند اللجوء إلى معطيات النظريات الاجتماعية المعاصرة، القائمة على دراسة الفضاء الاجتماعي، كفضاء، حافل بالوظائف المختلفة، والصراعات العديدة بين القوى ، ويعج بالامتحانات والاختبارات، التي تكشف عن القدرات، والكفاءات، وحدود الالتزامات بقواعد الاتفاقات

١ - أ محمد جبرون، مفهوم الدولة الاسلامية، أزمة الاسس وحتمية الحداثة، المركز العربي للأبحاث والسياسات، بيروت، ط٢، ٢٠١٥، ص : ١٢٢ .

والعهود، لاسيما التي جاء بها الرسول الأعظم ﷺ، والزم المؤمنين بالبيعة لعلي عليه السلام، بالولاية في غدير خم، نجد أن عديد الاصحاب، قد أخل بجميع الالتزامات والتعهدات، وتم التعرض في عهد الخلفاء الثلاثة لبعض الاصحاب من لمنظومة العاملين مع النبي بالاحتقار والاذلال كما حصل لأبي ذر، وضرب عمار، وغيره من الاصحاب، كما هو معروف في التاريخ، ومن ثم جاءت نصوص الامام علي عليه السلام، وهي كثيرة في هذا الباب، و لتشكل خطاباً نقدياً متكاملاً في استهداف فترة الخلفاء بالنقد الاجتماعي والاستنكار لمثل هذا الأنموذج من الحكومات، و الأمر ذاته يتكرر بالنسبة لمطلب الأموين في الحكومة القائمة على العصبية القبلية كما هو معلوم من هذه النصوص .

ومن هنا تمثل هذه العناصر الثلاثة وهي كما أسلفنا : نقد رفض القوم من حول الامام ، للتحولات الاجتماعية أو معارضتها ، وكذلك نقد البقاء على العادات المتحجرة في المجتمع و المخالفة للتحولات ، وأخيراً ، النقد باتجاه الدفع لتغيير الواقع الاجتماعي ، هي أجزاء حيوية من الأنموذج الارشادي للنقد الاجتماعي في الاسلام ، وهي من السمات والخصائص الاساسية في النظرية الاجتماعية المعاصرة ، ولاسيما عند العلماء الذين يهتمون بدراسة المنظور أو برصد الاستراتيجية الاساس التي من خلالها يمكن اعادة النظر للتشكيلات الاجتماعية والعلاقات وللظواهر والمشكلات ، ومن ثم فهم الصيرورة الاجتماعية والتحولات .

الخطاب النقدي

(ومهام التأثير في الواقع الاجتماعي)

الاهتمام بالنقد الاجتماعي من خلال قراءة الخطاب، والتميز بين الخطاب ومجموعة النصوص التي تمثل عادة ، خصائص الخطاب الناقد وخلفياته الاجتماعية، والثقافية، وتستجيب للمصالح الخاصة بالقوى الاجتماعية التي تتبنى هذا الخطاب أو ذاك، وتنتج النصوص من بعد النصوص وتراكم الادبيات بعد الادبيات، لتعزيز حضور هذه القوى ، هذا الاهتمام هو شكل آخر من معالم تطور البحث الاجتماعي المعاصر، الذي تجاوز الاهتمامات التقليدية في النظريات الاجتماعية، من الاتجاهات والتيارات الكلاسيكية.

يتعلق البحث هنا ، بقدرة لغة النقد الاجتماعي، والتي هي حصائل فكرية للتفكير الناقد، وكذلك لاستراتيجيات اختيار المنهج في النقد ، على حصول التغير الاجتماعي، والمحافظة على التحولات الاجتماعية، وديمومة الوعي المقاوم للانحراف والفساد .

فالخطاب النقدي أو الادبيات الشعبية الاستنكارية، في مجال النقدي الاجتماعي، ظاهرة، لغوية، و تاريخية، واجتماعية، خالدة، في الكتابات القديمة وفي صحف الأنبياء، فهذا كتاب الإنجيل على سبيل المثال، يحفل

بألوان من النقد الاجتماعي للمجتمع اليهودي، والاستنكار لما يفعله رجال الدين باسم الرب من الاباطيل .

فخطاب النقد الاجتماعي، مظهر من مظاهر ذاكرة الشعوب، والاجيال، وآدابها، الشفهية أو المدونة، إذ تراقب الجماهير و الشعوب، واصحاب العقل والرأي فيها، عن كثب سلوكيات الحكام والأمراء، في السلطة أو الشخصيات ذات المواقع العامة والمتصدية للمواقع الاجتماعية أو القيادة، وترصد سلوكيات هذه الشخصيات وتوجه لهم النقد الاجتماعي، فتشجب تارة، أو تستنكر أخرى، أو تثور أحياناً، وتلجا إلى العنف لتغير الوضع، الفاسد والقائم على القهر، فتضطر إلى فتح الافاق بقوة السلاح من أجل التحرر والنهوض واستعادة الفرص في التحولات الايجابية، يقول الامام لمالك الاشتر في العهد المعروف، ويلفت انتباهه للنقد الاجتماعي الصادر من الناس، كظاهرة تاريخية واجتماعية لا يخلو منها مجتمع:

(ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالكُ، أَنِّي قدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَد قَدٍ جرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ.)[1].

[1] - نهج البلاغة : ج٣، ص : ٨٢ .

لقد أرتقى الخطاب النقدي الاجتماعي عند الامام (عليه السلام) إلى المسؤولية التاريخية، والاجتماعية، في التبليغ، وفي الردع، وفي البيان الرائع ، وكانت نصوص النقد الاجتماعي عند الإمام هي المثال الاروع في تاريخ المجتمع الاسلامي، إذا ما أُريد تشخيص الأنموذج المثالي في هذا الحقل المعرفي، أو هذا الصنف من الخطابات الاجتماعية ، وأثرها في صياغة الثقافة المقاومة للانحرافات . وكما قال الرسول الأكرم، من أن الامام سيكون هو الأمين على النص القرآني من بعده، وهكذا، استلهم الشعراء والأدباء هذا الخطاب عبر التاريخ، في الانتاج الشعري والادبي الرافض للباطل والفساد والانحراف، وقد أفرد الاستاذ الكبير جورج جرداق فصلاً مطولاً في كتاب : (الإمام علي صوت العدالة الانسانية)، لبيان الأثر الممتد من خطاب النقد الاجتماعي عند الإمام إلى خطابات الأدب العربي :

(دخل عليّ .. في الأدب العربي فأغناه، فأوسعها تلك القوى الثورية الزاخرة الهائلة التي مدّ بها الروح العربية على مدى التاريخ، فإذا بأدب الثورة على الفساد والظلم والنفاق، شعراً كان هذا الأدب أم نثراً، يلتفت إلى عليّ ويناديه، ويدعو باسمه، ويستلهم تمرده وثورته في معظم ما يهوي به على رقاب الظالمين من سياط الروح، فكما كان علي ّ ابن أبي طالب صيحة ينادي بها الثائرون على المظالم، كان كذلك صيحة في شعر هؤلاء

الثائرين، وكان علماً يلتفت به الساخطون على الاستغلال، كان كذلك أدبهم)[١] .

ومن مجموع التفكير النقدي عند الإمام علي عليه السلام، ومن المنهج النقدي، جاء خطاب الامام الذي أعتمده في النقد والتواصل مع المجتمع، وهذه اللغة المتألقة في صورها البلاغية، ذات الانسجام، والسبك الفني الجامع بين اصالة المحتوى القرآني وابداع الشكل اللفظي ، خطاب يغزو الذاكرة، ويستوطن في الفهم، ويغري بالمحاكاة .

الامام عليه السلام كان يراقب بكل دقة، وحذر، وأمانة، ومن موقع المسؤولية الالهية، والتاريخية، والاجتماعية، تلكم التحولات التي جاء بها الإسلام، والتي لابد من استمرارها في المجتمع الاسلامي، أو الطرق التي كان لابد من سلوكها مع ظهور المستجدات، في ضوء رسالة الوحي، وتوصيات النبي الأكرم، فهو الأمين على هذا الوحي، بعد رحيل الرسول الكريم، والذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله، وكان علي عليه السلام، بعيداً عن القوم من الاصحاب، ومشغولاً بخصف نعل النبي الأكرم (ص)، الذي أنقطع في اثناء خروج النبي مع عدد من الصحابة الكرام ، فقال لهم :

---

[١] - جورج جرداق ، موسوعة الإمام علي صوت العدالة الانسانية ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ج٥، ص : ١٩٦ .

(إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال : لا، ولكنه خاصف النعل ... فجئنا نبشره، قال : وكأنه قد سمعه) [١].

لقد كان الإمام يؤسس لخطاب مسؤول أمام الله والمجتمع، والتاريخ المستقبلي ، من خلال ظاهرة التفكير النقدي، وبخطاب النقد الاجتماعي في الاتجاهات كافة، الدينية منها، والفكرية، ونقد الواقع، ورد النقد بالنقد، وقرع الجدل بالحجة، ومن خلال إدارة عملية التحول والتغير في المجتمع الاسلامي التي لا ينبغي أن تتوقف ، والمحافظة عليها من الانحرافات الهائلة والصدمات الكبرى، من موقع العصمة، وفي ضوء الامكانات المتاحة، من المال والرجال، بحسب القدرة، والعمل بالواجب، وتوطين النفس على العطاء والتضحية، كان الامام يصنع خطاباً قادراً على اختراق الذاكرة في المجتمع، والخلود في الاجيال، خطاب قادر على بناء هوية الامة في المقاومة لكل اشكال الفساد والانحرافات، خطاباً تحاكيه الاجيال، خطاباً تتخذ الاجيال من نصوصه رموزاً للتعبير عن الثبات على المبدأ والاخلاق والصبر في استشعار المسؤولية في متابعة ونصرة حركة المجتمع نحو الكمال ،من خلال الاطاحة بالظالمين وصناعة التغير من خلال خطاب النقد الاجتماعي الخالد في الاذهان والقادر على تحريك الارادات الجماهيرية في كل مرة نحو التغير والانتصار :

---

[١] - أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢، ص : ٦٢٧ .

(بدأ الباحثون في شتى المجالات العلمية اليوم، يدركون طرائق ارتباط جوانب التغير في استعمال اللغة، بجوانب تغيير اجتماعية وثقافية أوسع نطاقاً، وبدؤوا من ثم يقدرون أهمية استخدام التحليل اللغوي، باعتباره منهجاً لدراسة التغير الاجتماعي .... إن أشكال التغيير في استعمال اللغة، تمثل جانباً مهماً من اشكال التغير الاجتماعي والثقافي على نطاق واسع، وهي مقولة يزداد إثبات صدقها كل يوم، لكنها تحتاج إلى مزيد من الشروح والمبررات، فمقولات الأهمية الاجتماعية للغة ليست جديدة، إذ أن النظرية الاجتماعية في العقود الأخيرة قد وطّدت ما تتمتع به اللغة من مكانة رئيسية في الحياة الاجتماعية)[١].

لقد نجح الإمام علي عليه السلام، نجاحاً مذهلاً في حماية التجربة والتحولات من أن تميل برمتها نحو الهاوية السّحيقة، والاندثار الكلي، والعودة إلى نقطة الصفر، وكل ذلك ببركة تأسيس خطاب النقد الاجتماعي، الذي واجه به العنف، والتمرد، والتحريف، ومن خلال هذا الخطاب، رسخ الوعي، في الأمة، وأطلق القدرات الايمانية نحو العمل الخلاق في إعادة البناء والتوازن للتحولات التي جاء بها النبي ووضعها على السكة الصحيحة من جديد، بعيداً عن الإرادات النكوصية ، وارادات

[١] - نورمان فيركلف، الخطاب والتغير الاجتماعي، ترجمة : محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص : ١٣ – ١٨ .

الابقاء على ما كأن من الانحرافات في التصورات الدينية، والفكرية، والاجتماعية، وسوء العادات والتقاليد الطاغوتية والفرعونية والاستكبارية، وتكبيل الحريات، ومصادرة الحقوق، والتنكر للضمانات التي من شأنها أن تعين الإنسان على مصاعب الحياة، هذه الانحرافات التي كانت توجهها النخب ذات التحالفات الواسعة والشبكات الخفية والتي تمنع من أي تغير اصلاحي :

(في بعض الأحيان لا يكون الفساد مسألة نفوذ بقدر ما هو مسألة سيطرة، فعندما يكون هناك مجموعات متشابكة من السياسيين الكبار ورجال الأعمال والبيروقراطيين، وضباط الجيش، والزعماء العرقيين، تتقاسم المزايا الفاسدة بين بعضها، فإنها تستطيع بناء شبكات وتحالفات تعزز من قوتها، وتبعد المعارضة، قد يكون هذا النوع من الفساد مربحاً للغاية، لكنه يستعمل أيضاً كاستراتيجية لعرقلة التغيرات السياسية)[١] .

لقد جاء الوحي القرآني، و قيم الاسلام، للقضاء على هذه المشكلات، والمعوقات، والتحديات، من خلال التحول عن قيم الجاهلية وتصوراتها، وتحالفاتها، التي كانت تحول دون نشر الدعوة الاسلامية، أو إعادة بناء المجتمع والدولة، وقد اعتمد النقد الاجتماعي الجذري من اجل تحقيق هذا

١ - مايكل جونستون، متلازمات الفساد، ترجمة : نايف الياسين، العبيكان ، الرياض، ط١، ٢٠٠٨، ص : ١٦١ .

التحول الكبير في التاريخ البشري، وكانت مسيرة الإمام عليه السلام هي الضامن الكبير لبقاء هذه التحولات بعد اكتمال التنزيل .

من خلال الخطاب النقدي، تمكن الإمام من قيادة الحشود نحو التصدي لمناهج الخصوم والمخالفين واستراتيجياتهم المبتكرة، في العمل المثابر للقضاء على البرنامج التغييري والاصلاحي الذي جاء به الوحي، الالهي، وذلك من هذا النمط من التفكير النقدي، الواعي، بالحجة، وبالدليل، والبرهان، الصادق، في المضي على الطريق الواضح في إدارة التحولات نحو البيان الكامل للرسالة : كتنزيل ومن ثم تأويل وتطبيق :

(وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً .... انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.) [١].

هذه الكلمات والنصوص التي اطلقها الامام (عليه السلام) في المواقف المختلفة والمناسبات الحرجة والحساسة في مجال النقد الاجتماعي، أثناء إدارة الصراع من أجل استمرارية التحول نحو قيم الاسلام، وتقريع المخالفين والمقصرين، والراغبين بإبقاء الحال كما هو عليه من الجاهلية والعادات

[١] - نهج البلاغة، ج١، ص : ١٨٩ .

والتقاليد، أو المتطلعين إلى السلطة والجاه والنفوذ من خلال توظيف الدين الجديد، هذه النصوص والكلمات، بطريقتها النقدية في التفكير، وفي منظورها الذي يردع عن الركون أو الاستسلام إلى اكراهات الواقع، أو النفس الأمارة بالسوء، أو المنطق المغالط، هي من شكلت ظاهرة الخطاب النقدي في المجتمع الاسلامي، وأرست لثقافة جديدة في العلاقات بين الفئات، وفي بناء الذاكرة الإسلامية، والهوية الايمانية، وأسهمت في تشكل نصوص بلاغية ذات تأثير عال في المجتمع،و رمزية خالدة، وتأسيسية في النقد الاجتماعي ، تحاكيها الأجيال بالترديد والإعادة والتمثل .

فذاكرة الأمة التاريخية تستحضر، وباستمرار، هذه الكلمات والرسائل والخطب والنصوص التي تضج بنقد الواقع الاجتماعي، وتشجب الفساد، والنكوص، والاستغلال، والتضليل، والتي تزامنت مع إدارة الامام الحكيمة والمذهلة للصراع العنيف، مع القوى الغاشمة في المجتمع الجديد، وذلك من أجل بناء أنموذج للتحولات الاجتماعية، قائم على استمرارية الحراك والتغيير والمطالبة بالإصلاح، مجتمع، ذو طبيعة، جدلية، لا يمكن أن يقر أو يركن إلى أسباب النكوص أو الانحلال، أو الإذعان المطلق لقوى الابقاء على ما كان، والتحجر والجمود .

كانت المعركة، هذه المرة، مع قوى أكثر حنكة ودهاء من القوى الجاهلية التي حاربت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ هذه القوى، اكتسبت الخبرة والدهاء، والمناعة من الأفكار نفسها ، و الثقافة، والمعارف القرآنية، والاستراتيجيات في

تفكيك خصومها ، فهي نظير الفيروسات التي تكتسب المناعة ضد الادوية، بفعل الصراعات الطويلة مع العلاج .

لقد دخلت هذه النصوص النقدية في عمق الذاكرة الاجتماعية الشعبية، ومنها تعرف الناس على أساليب الأعداء في محاربة الإسلام في المراحل المختلفة، وفي ضوئها كتب الكثير من النقد الاجتماعي الجديد، الذي يستحضر هذا النمط من التفكير والمنهج .

كما دخلت هذه النصوص عالم المحاكاة والتقليد واعادة الانتاج، في ضوء الشروط ذاتها التي انتجت الخطاب النقدي عند الامام، ومن شواهد ذلك ما قاله معاوية لبعض ناقديه من العراقيين:

(لقد لمضكم علي بن أبي طالب الجرأة على السلطان، وقليلاً ما تفطمون) .

كما ودخلت هذه النصوص في عمق الرمزية، والنموذج، أو المثال والمطالبة بالقدوة، وأخيراً شكلت هذه النصوص، شكلاً راسخاً من اشكال الهوية الاجتماعية لمجتمع المستضعفين، والفقراء، والمساكين، في مواجهة الطواغيت و المستكبرين، والمنحرفين، ودعاة السوء، وصار البحث المعاصر يستشهد بها على وجود المعارضة على النظم السياسية التي الحقت ضررا كبيراً بالمجتمع الاسلامي .

ومن الجدير بالذكر، أن البعض قد بحث في هذا الخطاب النقدي الاجتماعي، تحت عنوان حق المعارضة، أو حق الطعن على الحاكم، ومن ثم نظر للشروط المطلوبة في ممارسة هذا الحق :

(ان ممارسة الأمة لهذا الحق، ينبغي أن تكون محكومة شرعاً بقوانين اخلاقية، والا تكون بطريق التشهير، واظهار العيوب، بعيداً عن اسلوب الاصلاح، لان الهدف من النقد هو تغير الواقع، وليس التنفيس عن عقدة أو التسجيل لنقطة على الفريق الآخر)[١] .

وقد ذكر آخرون شروط النقد تحت عنوان، تفعيل النقد البناء، ضمن ضرورة مراقبة الحاكم، ومتابعة مسيرته، خطوة، خطوة، والتمسك بحرية النقد البناء والمعارضة، وضرورة أن يكون النقد، نزيهاً وهادفاً، ومن ثم يحرم النقد الهدام أو المغرض، فكل فعل أو قول، يصدر عن احد سواء كان حاكماً أم محكوماً، صغيراً أم كبيراً ، يجب أن يكون في اطار الشريعة والأخلاق الانسانية النبيلة، وخلص إلى القول :

(الشعب من حقه أن ينقد الحاكم والحكومة، وأن يمتلك شجاعة النقد وإبداء الرأي، ولكن ليس من حقه أن ينقد، نقداً هداماً يترك آثاراً سيئة،

---

[١] - ختام راهي مزهر، الإمام علي عليه السلام، وآفاق المعارضة، دار البصائر، بيروت، ط١، ٢٠١٣ . ص : ٢٢ .

على الناس والبلد، إذ كل نقد لا يقصد به وجه الله، وبيان الحقيقة واصلاح الشعب، وبعبارة أخرى أي نقد ليس فيه رضا الله، فهو نقد باطل، ويرفضه الاسلام)[١].

ومن الواضح أن هذه الاحكام التي تحتكم تارة إلى الحس الاخلاقي، وأخرى إلى الحكم الشرعي الفقهي، في بيان شروط النقد، هي من الفقه الفردي وبيان الوظيفة للمكلف، الفرد، وليس بصدد بيان الأنموذج الكلي، لخطاب النقد الاجتماعي، الذي يسمح بالفهم الشامل لموضوع النقد الاجتماعي، وبشكل واسع، وحرية أكبر، قد لا تتاح، أو لا يسمح بها الأنموذج الفردي كما هو الحال مع أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يتم الاحتكام في كثير من الحالات أو الاعتبارات، إلى العناوين الثانوية، والتخريجات الفنية في الفقه، ولكن من المؤكد أن هذه الشروط والاحكام ضرورية جداً في بناء الأنموذج الكلي للنقد الاجتماعي، في ضوء الانموذج الارشادي للقرآن، في سيرة الأنبياء عليهم السلام، وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة أهل البيت عليهم السلام، في النقد الاجتماعي، وأصالة الاباحة في الاشياء، وهي العمدة في هذا الأنموذج إلى جانب المفاهيم مثل : استشعار المسؤولية، أو الحفاظ على الكرامة الانسانية، أو العدل الاجتماعي وغير

١- فاضل الصفار، الديمقراطية في أصولها ومناهجها، دار العلوم، بيروت، ط٢، ٢٠١٧ .، ص : ٢٤٦.

ذلك من المفاهيم الأخرى، والنظريات العلمية التي توصلت اليها البحوث الاجتماعية .

إن ما نذكره هنا من الكلمات من المصادر الغربية، والمقارنة مع النظرية الاجتماعية المعاصرة، أنما هو ، مما يساعد على إعطاء التصورات الازمة لبناء الأنموذج الارشادي ، الذي هو الأساس الفكري والعلمي والتطبيقي في توجيه المجالات النظرية والعملية في قراءة الواقع والظواهر والعلاقات ، وكذلك في مجال كثيرة أخرى ، و منها تشخيص الموضوعات الرئيسة في المجتمع ، مثل دراسة القوى الاجتماعية أو أزمات النخب ، والوسائل في العمل، وبناء الاستراتيجيات، ومعرفة الخصائص والاولويات في التطبيق، والإفادة من تجارب التاريخ في الجدل والصراع، وهي أمور متروكة للعلم الانساني، والتجربة البشرية، والعرف السائر في القانون ، والسياسات التطبيقية العملية ، وهي من شؤون الفكر الانساني ، وبما لا يخالف ثوابت الشريعة المعروفة للجميع ، ولاسيما في قضايا الحرام والحلال في المجال الفردي .

المبحث الثالث:

الأمر بالمعروف النهي عن المنكر وخطاب النقد الاجتماعي

يبدو من الواضح في تتبع علم الفقه الاسلامي، أن الفقهاء بصدد صناعة أنموذج فقهي، جامع للتكاليف الفردية ، ومن ثم لم يكن من ضمن مضامين هذا الأنموذج ، باب يتعلق بالتقنين لخطاب النقد الاجتماعي، وبيان مفردات هذا الخطاب، وطرق امتثاله عند المكلفين، أو تحديد شروط العمل بالنقد الاجتماعي، وفيما إذا كان المكلف قادر على التأثير في المجتمع من خلال هذا الخطاب أم لا ؟ .

من هنا، ذكرنا منذ المبحث الأول ، كيف أن موضوع النقد الاجتماعي، يرتبط بموضوع أخر وهو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وهو في طليعة الفروع الفقهية التي نالت بحثاً معمقاً، وجدلاً واسعاً في التحديد والتوصيف وترسيم الشروط من أجل ضمان النتائج ، الأمر الذي يستدعي ادماج هذا الباب المهم في الأنموذج الارشادي لخطاب النقد الاجتماعي سواء على مستوى الاحكام والفروع التكليفية ، أم على مستوى المقاصد الشرعية لهذا الباب .

وقد عرّفت هذه الوظيفة القرآنية : **(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)** [١]، باعتبارها الضامن الكبير للتحولات التي جاء بها الوحي، ولاستمرارية النظام الاسلامي، العام، والقوي والموحد والعادل، من هنا جاء الحديث الشريف ليكشف عن هذه الوظيفة الرئيسة في حياة المسلمين ، وفي نص رائع للإمام علي عليه السلام ، يصور جميع أعمال البرّ ومنها الجهاد على أنها بمثابة القطرة في مقابل البحر ، عند مقارنتها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، عِنْدَ الأَمْرِ بالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنكَرِ، إِلَّا كَنَفْثَة فِي بَحْر لُجِّيّ، وَإِنَّ الأَمْرَ بالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنكَرِ لاَ يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَل، وَلاَ يَنْقصَانِ مِنْ رِزْق، وَأَفضَلُ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْل عِنْدَ إِمَام جَائِر.... وعن أبي جُحَيْفَةَ قال: سمعت أمير المؤمنين(عليه السلام) يقول: إنَّ أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ

[١] - سورة آل عمران : ١٠٤- ١٠٥ .

مَعْرُوفاً، وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ، وأَسفَلُهُ أَعْلاَهُ)[١].

ومن يراجع الكتب الفقهية سيلاحظ بوضوح أن المقصود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو البعد الفردي في العمل والسلوك، وانتهاك الفرد للإحكام الاسلامية، والتشريعات الالهية، ومع ملاحظة تحقق الشروط في تحقق الواجب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل : وجود الاحتمال بائتمار المأمور بالمعروف بالأمر الصادر من الناقد الآمر ، وانتهاء المنهي عن المنكر بالنهي، فإذا لم يحتمل ذلك، وعلم أن الشخص الفاعل لا يبالي بالأمر أو النهي، ولا يكترث يهما، لا يجب عليه شيء، وإن كان بعض الفقهاء، يذكر ضرورة اظهار الكراهة فعلاً أو قولاً ولو مع عدم احتمال حصول الردع من قبل الفاعل .

ومن المؤكدات على انحصار باب الأمر بالمعروف النهي عن المنكر، في الكتب الفقهية التقليدية، بالجانب الفردي، وليس بالجانب الاجتماعي، والمنظور الكلي، للإصلاح والتغيير، وإعادة البناء، هو ما يذكره الفقهاء في آخر هذا الباب من أمور تعدّ من المعروف، مثل : الاعتصام بالله تعالى، والتوكل عليه في الأمور جميعاً، ووجوب حسن الظن به، وكذلك الصبر عند البلاء، ووجوب الاهتمام بعفة البطن والفرج، وتمثل الحلم في الاخلاق،

---

[١] - نهج البلاغة ، ج٣، ص : ٢٢٥ .

والتواضع، والزهد، وغير ذلك من الفضائل الاخلاقية، التي هي مدار الأمر بالمعروف، ثم تذكر الجوانب المقابلة لها من وجوب النهي عن المنكر، مثل : الغضب، والحسد، والظلم، وغير ذلك مما هو مدون في الكتابات الأخلاقية من الصفات أو السمات أو الخصائص السلبية في الشخصية من الرذائل التي يجب الاجتناب عنها، والتي تجلب العار والمذمة على الفرد في نفسه دون المجتمع .

وكذلك في مجال تعداد، أو ترسيم مراتب الأمر بالمعروف النهي عن المنكر للفاعل ، من اظهار الانزعاج من الفاعل للمنكر، أو توجيه الأمر بالمعروف النهي عن المنكر من خلال القول واللسان، أو اعمال القدرة على المنع عن ارتكاب المعصية، او الانتقال إلى مراتب الايذاء، والضرب، والجرح، فإنّ البعد الفردي هو الحاكم في توجيه البحث في هذا الباب من الفروع العبادية، فيما يجعل الإمام وظيفة الأمر بالمعروف النهي عن المنكر في إطار كلي أوسع كما هو واضح من هذا النص :

(إِلَى اللهِ أَشْكُو، مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا، وَيَمُوتُونَ ضُلاَّلا؛ لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِه، وَلاَ سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَلاَ أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ

مَوَاضِعه، وَلاَ عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ الْمُنكَرِ!) [١].

أما المقصود بالخطاب النقدي، في المجال الاجتماعي، فهو خطاب أوسع من ذلك بكثير، لأنه يعنى بالمحافظة على التحولات الكبرى في المجتمع باتجاه النهوض والسلامة الاجتماعية الكلية، وصيرورة المجتمع بعيداً عن هيمنة قوى الظلم، والعدوان، والاستكبار، من هنا نتفهم لماذا قال الإمام علي عليه السلام في الحديث المتواتر:

(لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي؛ وَ وَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَاسَلِمَتْ أُمُورُ الْـمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لأَجْرِ ذلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيما تَنافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ) [٢] .

من هنا يتضح أن التفكير بالأمر بالمعروف النهي عن المنكر، هو جزء من التفكير النقدي، والاجتماعي في الاسلام، وأن الخطاب النقدي في مجال الأمر بالمعروف النهي عن المنكر، ما هو إلا مفردة من مفردات الخطاب النقدي العام، ولاسيما في الفضاء الاجتماعي، يختص بمعالجة جانبٍ من السلوكيات الفردية، والانتهاكات الشخصية، أو الالتزامات الفردية ذات

[١] - نهج البلاغة الإمام علي (ع) ، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ج١، ص : ٥٤ .

[٢] – نهج البلاغة : ج١، ص : ١٢٤

الجانب الاجتماعي، الذي يظهر النقد الاجتماعي في الوقت الذي يحافظ على بينية المنظومة الاجتماعية من التصدع والخراب .

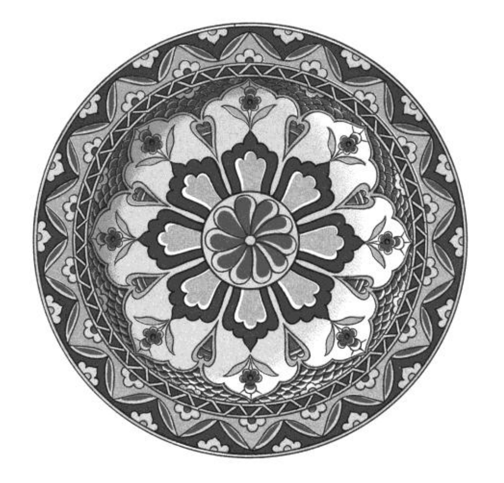
وبذلك يبقى الخطاب النقدي الاجتماعي هو المتصدي لمعالجة للفضاءات الاجتماعية العامة والكبيرة، مثل التحولات الاجتماعية ، والوقائع التاريخية ، ومضامين النصوص، وسلوكيات الافراد ودوافعهم المرتبطة بالطموحات الاجتماعية . ذلك بأن خطاب النقد يطال أنماط من الأفكار، والمناقشات، والاخلاقيات، والسلوكيات في المجالات الفردية والاجتماعية، ويؤسس لثقافة واسعة في نقد الحوادث والوقائع، ونقد الفهم والتفكير والاستنباط والاستدلال، ونقد النصوص والكلمات والخطابات، ونقد الشخصيات وتحليل النفسيات للأفراد والدوافع والتطلعات والمقاصد ونقدها .

ومن الواضح أن هذه الحقول أوسع بكثير من النموذج الفقهي المدرج في الكتب الفقهية والذي يتناول شروط النهي عن المنكر من قبيل ضرورة احراز : المعرفة، والتأثير، وعدم حصول الضرر لمن يؤدي وظيفة الأمر بالمعروف النهي عن المنكر .

ويمكن القول في هذا المجال، أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو جزء من معالم النظرية الاجتماعية في الاسلام، سواء في تحديد الخلفيات المذهبية لهذه النظرية، أم في مجال البعد العلمي، ودراسة الابعاد التأثيرية

لهذه الممارسة في تحقيق الاندماج الاجتماعي، والقضاء على الظواهر السلبية في المجتمع الاسلامي، وإيجاد الارضية المناسبة للتعاون والتماسك الاجتماعين، أم في مجال فتح باب الممارسات والتطبيقات المطلوبة من الانسان المسلم كتنفيذ لحالة استشعار المسؤولية، اتجاه الفضاء الاجتماعي وصيانته من الانحراف .

وعلى جميع هذه التقادير، فإن النقد الاجتماعي، متداخل مع هذا الباب الفقهي، من حيث التفكير، ومن حيث المنهج، ومن حيث تصنيف الخطاب ونوع الأدبيات اللفظية، كما هو متداخل مع الاطار الاوسع والاكبر في الفكر الانساني، الذي يضم علماء ومفكرين من جميع الاطياف في العالم ، وهو النظرية الاجتماعية وخلفياتها الفلسفية والعلمية والتطبيقية، حيث يمكن دراسة نصوص الامام، بالإفادة من هذا الاطار الفلسفي والعلمي والتطبيقي الواسع، وتوظيف ما تم الوصول اليه في علم الاجتماع، من المناهج ومن المفاهيم، ومن النظريات، التقليدية، والمعاصرة، ونظريات ما بعد الحداثة، الأكثر تطوراً في بناء الاستراتيجيات، والتفكير بالتغير، أو التفكيك، ومن الإفادة أيضاً من ملاحظة السياسات التطبيقية التي توصي بها عادة النظرية الاجتماعية ، في بعدها العملي .



الفصل الثاني

النـــقد والمجـــتمع

- خطاب النقد والنظرية الاجتماعية .
- خطاب النقد وقوى التغيير .
- خطاب النقد وأزمات النخب .
- خطاب النقد والمسؤولية الاجتماعية.
- التماسك الاجتماعي والتوافق .

من التفكير النقدي إلى التفكير الاجتماعي

(أضرب بعض الرأي ببعض، يتولد منه الصواب) . الإمام علي (عليه السلام).

تمهيد :

يمكن القول أن هذا الفصل، والذي يدرس التفكير النقاد، والاستراتيجية النقدية ، وما ترتب عليهما من خطاب النقد الاجتماعي ، عند الإمام علي عليه السلام، في ضوء البحث المقارن مع اهتمامات النظرية الاجتماعية المعاصرة ، و المفردات ، أو الحصائل البحثية لعلم الاجتماع، والتي انسكبت أو تجلت في عديد الفلسفات والمذاهب ، أو التيارات الفكرية ، وفي عديد المناهج وطرائق البحث، وفي عديد المصطلحات والمفاهيم، وعديد النظريات والنماذج التفسيرية للظواهر والعلاقات ، وأنماط الاهتمام بالموضوعات الاجتماعية .

إنّ هذا الفصل هو الجزء المحوري في هذه الدراسة، الباحثة عن امكانية ترسيم الأنموذج الارشادي في مجال النقد الاجتماعي من خلال عرض، وتحليل محتوى النصوص الواردة في تراث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكيف كان يهتم بالمجتمع، أمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله،، وهو الأب الحنون على هذه الأمة، بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه واله، وسيدها، وشفيعها يوم الدين .

هو الأنموذج، والقدوة للمجتمع في هذا المجال الحيوي لما يحمله من الفكر الالهي، الاسلامي، وبأسلوبه في التأديب والتربية النقدية، و تفكيره العلمي، والبلاغي، الناقد للقضايا المجتمعية من أجل إعادة تشكيلها في ضوء رؤى الاسلام، وصيانة المجتمع والمستقبل من المفسدين ومن العنف والانحراف، الذي يتهدد الكيان في جميع مفاصله الاجتماعية، والعلاقات، وفي جميع النشاطات المجتمعية .

يمكن أن يساعدنا هذا الفصل في فهم أشكال من البحث والاهتمام بالمجتمع، عند اجراء المقارنة مع النماذج الأخرى من التفكير بالمشكلات والمسائل الاجتماعية، ومفرداتها في ضوء الجمع بين المنظومة الروائية عند الإمام علي عليه السلام وبين مفردات النظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة، وكيف تهتم بالمجتمع بأجزاء المجتمع، وقواه وبالفعاليات، وبالتغير، والاصلاح، والمستقبل .

المبحث الأول

خطاب النقد الاجتماعي والنظرية الاجتماعية

توطئة :

ذكرنا في الفصل الاول، إن هذا الكتاب يعنى بخطاب النقد الاجتماعي كما هو عند الإمام علي عليه السلام، من حيث التفكير النقدي المنتج لهذا الخطاب، ومن حيث المنهج، والاستراتيجية التي ترجع اليها أكثر نصوص هذا الخطاب، ومن حيث المحتويات أو المضامين ومجموعة من الاهتمامات المجتمعية، كالحرية الاجتماعية، وحفظ التحولات في النهوض الاسلامي، واستشعار المسؤولية عن المواطنين، والتصدي للإحباط الاجتماعي، ومظاهر التباين الاقتصادي والتصدي للانحرافات، والفساد، ومعالجة قضايا العنف والحرب، واستشراف المستقبل، وهي من الأمور التي تشكل الموضوعات الرئيسة في علم الاجتماع وعليها مدار النظريات الاجتماعية في انحاء العالم .

(من التفكير النقدي إلى التفكير الاجتماعي):

يجري التساؤل باستمرار، لماذا يكون من الضروري التفكير بالمجتمع من حولنا وبشكل دائم ؟ وما الفائدة من التفكير بالنقد لهذا المجتمع، نقد التصورات الخاطئة، ونقد السلوكيات غير المسؤولة ؟، الحقيقة، إذا لم يكن تفكيرنا، يتوجه، أو يهتم بقضايا المجتمع من حولنا، وإذا لم يكن الخطاب النقدي الاجتماعي يتصدى لإنقاذنا من الضلالات والمشكلات وضمان عدم تكرارها في المستقبل ؟ فما هي الضمانات في استمرارية هذا المجتمع في السير على النهج الصحيح والسليم في الحياة ؟، وأن لا يقع الجميع في براثن الفساد، والتخلف، و الانحطاط ، ومن ثم في تمجيد الطواغيت، والعبادة للوثنيات الشخصية والعودة إلى الجاهلية، من هنا، تطرح وبقوة علاقة التفكير النقدي، وخطاب النقد الاجتماعي، بالإصلاح الاجتماعي ، وبالتغير الاجتماعي وبإعادة بناء في المجتمع، ومن ثم يجري تتبع انجازات النظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة في هذا المجال، حيث يعنى علم الاجتماع، واطيافه النظرية، بقضايا المجتمع والواقع الإنساني، كما يعنى بالنقد الاجتماعي للكثير من الظواهر والمظاهر، والعلاقات، والتي منها يتشكل علم الاجتماع ، وحصيلة أبحاث هذا العلم :

(تلقي الضوء على جذور حياتنا، فهو العلم القادر على تفسير خبراتنا وأحداث معيشتنا وعلاقتنا بالأخرين، ويسعى إلى

استخلاص القوانين والنظريات التي تساعدنا في التخطيط للمستقبل، ويساعدنا على فهم أنفسنا وفهم المحيطين بنا) [١].

تفكر النظريات الاجتماعية، إذن، بالمجتمع ككل ، بطريقة علمية منهجية، والمهم أنها ناقدة، منذ عصر النهضة والأنوار في الغرب، وهي بذلك تلتقي مع أي تفكير علمي أو نقدي بالمجتمع جاء في نصوص التراث الاسلامي، من أجل أن يعالج قضايا الفضاء الاجتماعي من الأفراد، والشرائح والنخب، والجماعات والظواهر، واشكال العنف، أو التفكير بالمستقبل ، وقد احصى الباحث بيتروم سروكين في مؤلفه : (النظريات السوسيولوجية المعاصرة)، عام ١٩٢٨ أكثر من الف عالم وباحث في علم الاجتماع، ومن مختلف الجنسيات، ولاسيما في الغرب الصناعي، ممن يهتمون بدراسة قضايا المجتمع ومشكلاته المختلفة، من منظور منهجي وعلمي[٢] .

من هنا يمكن تشخيص مجموعة من المحاور الأساسية في هذا الاهتمام، المشترك بين التراث الاسلامي بالمجتمع كما هو في الخطاب النقدي عند الامام علي عليه السلام، والدراسات الحديثة والمعاصرة، حيث يكون المدار في البحث العلمي والمنهجي، الذي يعتمد الملاحظة العلمية، هو التفكير

---

[١] - عبير عبد المنعم فيصل، علم الاجتماع، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، المكتبة العصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩ ، ص : ٩٧ .

[٢] - عبد الباسط عبدالمعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، دار رؤية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص : ٢٥ .

بالمجتمع، من جميع النواحي، و هو أيضاً يكون، مدار المعالجات في نصوص الخطاب النقدي الاجتماعي، قديماً وحديثاً .

لقد شخص كثيرون، هذا التداخل في الموضوع، وفي المنهج، وفي الاهتمام العقلي، اهتمام التفكير النقدي بالمجتمع، من جانب، واهتمام علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية بالظواهر الاجتماعية عامة والعلاقات، ومنها ظاهرة النقد الاجتماعي كشكل من التواصل والحوار، المتبادل في الفضاء الاجتماعي، وكأنما النقد الاجتماعي، وخطاب النقد، هو الناطق الرسمي باسم النظرية الاجتماعية في المواقف والاحداث والتحولات، وما على النظرية الاجتماعية ومناهجها في البحث والدراسة، إلا اعادة تبويب وترتيب نصوص هذا النقد، وبذلك تتحقق ازدواجية الناقد الاجتماعي وعالم الاجتماع وتتوحد أيضاً:

(ويحصل ذلك عندما يتمكن المفكر النقدي، من الجمع ما بين النقد المعرفي، الأيبيستيمولوجيي، والنقد التاريخي، والاجتماعي، وهو يسائل الأفكار المتداولة، والآراء الرائجة، ويكشف أشكال السيطرة والاستلاب، والاستغلال، التي تفرزها العلاقات الاجتماعية، ..... إن التأسيس المعرفي للنقد، حين يتداخل ويتكامل مع المقاربة التاريخية، والاجتماعية، ينتج إمكانات الاستشراف الذهني خارج معطيات الوجود كما تتقدم الينا، ويوفر انفتاحات وآفاقاً، مختلفة، تتبرم مما يحدده نظام

الاشياء ... يمنح الفكر النقدي، المستند إلى المرجعيات النقدية التأسيسية، أدوات للتفكير في العالم، في مفارقاته وتناقضاته، وفي ما تختزنه العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية من اليات التحكم، والاستلاب، كما أنه يقدم لنا ممكنات التجاوز واستشراف عوالم جديدة)[١].

لقد عنيّت النظرية الاجتماعية بموضوع النقد والتقويم في جميع مفاصلها ومناهجها، وصار لها وقفات عند فعالية النقد، من حيث المفهوم العام، والمصطلح، ومن ثم كممارسة إنسانية، يومية، فردية، واجتماعية، وظاهرة أصيلة ترتبط بالفشل والنكوص والانحراف، في المجتمعات عامة ، بل هي جزء عضوي من التفكير، ومن النشاط الانساني، بل صارت تغطي مساحة، افقية واسعة، من اهتمام المجتمعات ومؤسساتها، وقياداتها الفاعلة، حتى استحال الفضاء الاجتماعي الى كيان يعبق بالامتحانات، والاختبارات الحياتية، من كل الانواع، وبالنقد الذي يأتي في ضوء نتائج هذه الاختبارات، وبالتقريع، وبالاستنكار في كثير من الاحيان، لما يحصل من الفشل وعدم الكفاءة، وبذلك أسست هذه الفعالية لأنماطها، العديدة وأقسامها، وأسست لقواعدها، ومعاييرها، ومقاييسها، الداخلية، والتي تضبط الاداء النظري و العملي لهذه الممارسة .

١ -- محمد نور الدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة ، بيروت، ط١، ٢٠١٤م ، ص ٩ - ١٠.

النظرية الاجتماعية ، وهي تراقب المؤسسات الاجتماعية ، وما تحفل به من الظواهر والعلاقات والفعاليات والأنشطة والمشكلات والتحديات ، وما يحكم هذه المؤسسات الاجتماعية من التعاليم الدينية والعقلانية والتشريعات والقوانين ، عندما تدرس النظريات هذا الفضاء الكبير من الواقع ، فإنما تدرسه وتتفحصه في ضوء مناهجها في التفكير ، وفلسفتها في النظر إلى الواقع ، من هنا انقسمت النظريات في طريقة البحث في الفضاء الاجتماعي إلى الأقسام المعروفة من البنيوية ، الوظيفية ، وما افرزته من النظريات ، والطريقة الجدلية ، التاريخية ، وما أفرزته من النظريات ، وأخيراً الطريقة الاستراتيجية وما أفرزته من النظريات، ولا ريب أننا في هذه الدراسة الموجزة ، لا يمكننا تناول هذه النظريات الاجتماعية جميعاً ، بل يكفي التعرف عليها من خلال المناهج والتيارات التي تقف وراء انتاجها ، كنظريات تعنى في جانب من اهتماماتها ، بالتصحيح الاجتماعي من خلال خطاب النقد الاجتماعي .

١ - أما المنهج البنيوي، وهو منهج عريق في انتاج وبناء النظريات الاجتماعية، فقد تناول ظاهرة التقويم على وفق شروط التيار البنيوي، الوظيفي، وطريقته في النقد الاجتماعي، والمعروف بتيار الفلسفة الطبيعية الذي ساد مع التطور العلمي والبحث التجريبي ، وطريقة هذا التيار، معروفة في تطبيق المنهج الاستنتاجي، عند البحث والدراسة للرُشد والكفاءة، ومن ثم توظيفها في مجالات، النقد، والتقويم والاختبار،

والامتحان للأشياء، القائمة على أساس رصد المتغيرات أو المكونات، في تفاعلها، ومن ثم رصد القيمة المضافة في الخصائص والسمات النوعية، الناتجة عن تأثير المتغيرات بعضها في بعضها الأخر وظيفياً واستخراج النتائج، وتشخيص عناصر النجاح والفشل في الحياة الاجتماعية والنسب فيهما، ويعرف هذا الاتجاه الفلسفي أيضاً بالتيار الكمي في البحث الاجتماعي، والذي كان المجتمع البرجوازي أو الرأسمالي والتطبيقات الليبرالية في العالم من الحصائل النظرية و التطبيقية لهذا التيار والمذهب، ومن المؤكد أن نقد الإمام عليه السلام، كماً ونوعاً، تميز بشموله للبنية الاجتماعية في أجزائها كافة.

٢ - وأما المنهج الجدلي، والذي يتناول ظاهرة التقويم والنقد في ضوء معطيات التيار التاريخي، الجدلي، الاستقرائي، والمعروف بتيار المدرسة الالمانية، أو المؤسسية، وطريقته في رصد الحوارات الاجتماعية النقدية، وهي لا تنفك عن الصراعات، والتجاذبات، والحروب، وما تفضي اليه هذه المسارات الصراعية من التغيرات في المجتمعات ، أو رصد حالات النجاح ، أو أسباب الفشل في تحقيق الأهداف ، ومنها طموحات البناء الاجتماعي أو تحقيق الغلبة، واكتساب الخصائص والسمات المرجوة في أخر الصراع أو الجدل، والذي كان المجتمع الاشتراكي من الحصائل التطبيقية لهذا التيار في البلدان الاشتراكية، ومع توظيف هذا المنهج في فهم الروح الجدلية في نقد الإمام (عليه السلام) للفئات والجماعات ، ومنها النقد في مجال القضايا

الاقتصادية ، واستعادت الممتلكات العامة من أراضي المراعي ، التي تم الاستيلاء عليها في زمن الخليفة الثالث ، عثمان بن عفان ، يتبين حجم التقدم الذي احرزه المجتمع الاسلامي في مكافحة قوى الشر، والاستغلال، الكامنة في البنية التحتية للمجمع، فهو من فقأ عين الفتنة في المجتمع الاسلامي، وازاح الغموض عن نويا الفاسدين ، وطلاب الدنيا من خلال استغلال الدين .

٣ - وأما المنهج الاستراتيجي، أو ما يعرف بتيار المدرسة التفكيكية، وأسلوبها في النقد أو، الهدم، والتفكيك، ومن ثم التقويم على أساس نسب النجاح عند إعادة البناء، وذلك في ضوء نجاح الاستراتيجيات التي تحاول أن تتخطى الأطر السابقة، ومن ثم تبذل نقاط قوتها من أجل الوصول الى اهدافها المستقبلية، أو الفشل والنكول في تحقيق هذه الاستراتيجيات والخطط، وقراءة أسباب ذلك من خلال اعادة التقويم والنقد، أيضاً، ومن هذه التطبيقات الواسعة للتفكير النقدي في مختلف المناهج السائدة، نعرف الأهمية الاستثنائية لطريقة التفكير النقدي في تشكيل نهضة العالم، وفي ضوء هذا المنهج يمكن قراءة الدفعة القوية التي وجهها الامام لمجمل الاوضاع في العالم الاسلامي، وكيف جعل من التحولات التي جاء بها الإسلام، في منظور أفراد الآمة، ومسؤوليتهم جميعاً، ولاسيما مع اعادة تفجير الصراع بين العراق والشام لحفظ هذه التحولات من الانحراف، ليس على مستوى الأفراد، وانما على مستوى البلاد، ثم جاءت جهود الإمامين الحسن

والحسين عليهم السلام لاستكمال هذه المسؤولية في حفظ مشروع التحولات الاسلامية وسحب الشرعية عن جميع القوى الظالمة عبر كشف زيفها في نظرية التسليط الالهي، لها على المسلمين، وعدم شرعيتها في التصدي للقيادة في جميع المراحل السابقة، وهذا هو النقد الاكبر في تاريخ الاسلام، والسبب الرئيس في نهضة المسلمين، كما حصل للغربيين فيما بعد عندما اعتمدوا النقد، والعلمية، ومبدأ الكرامة الانسانية، فثاروا على النظريات الدينية المزورة والاستغلال :

(إن القرن الثامن عشر الأوربي عرف بقرن النقد، وقد أرتبط النقد بحركة دينية، وفلسفية شاملة ..... وذلك برفع شعار محاربة الميتافيزيقيا، واللاهوت والخرافات، التي تكبل تفكير الإنسان الأوربي، وتبلد عقله، كما نادت هذه الفلسفة بمنح الحرية للعقل، والقيام، بنقد شامل لكل الأشياء، والظواهر، والمؤسسات والمفاهيم، واخضاع هذه المواضيع لمحك العقل، والخروج بأوروبا من ظلام الجمود والأساطير الى انوار، العقل، والحرية، والتقدم)[1].

إن من يحيط علماً بالنظرية الاجتماعية، وحجم الجهود التي بذلت في فهم المجتمع ودراسة ظواهره، من أجل التدخل في العمليات والفعاليات

١ - محمد نور الدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة ، بيروت، ط١، ٢٠١٤م ، ص : ١٩

الاجتماعية من أجل التنمية المادية والمعنوية وتحقيق الاصلاح، والتغير، سيدرك بحق عظمة شخصية الإمام علي عليه السلام، العلمية، والاجتماعية، عند دراسة النقد الاجتماعي الذي انطوت عليه هذه النصوص الاجتماعية البليغة، وكيف أنها تتفوق على جهود المصلحين الاجتماعيين في التاريخ كافة، وذلك لما انطوت عليه من الابعاد الفكرية، والعملية، والعملية، وعلى جميع الاصعدة : المذهبية والنظرية والسياسات التطبيقية، ومن العجيب أن تغيب الحكمة النظرية والعملية من الخطاب النقدي والاجتماعي، ولا يوجد ذكر لمجمل طريقة التفكير النقدي عند الامام علي عليه السلام، في كتاب: (الحكمة النظرية والعملية في نهج البلاغة)، للشيخ الكبير جوادي آملي، مع وجود هذه النصوص الكثيرة التي تعنى بتربية المجتمع، واصلاحه، والحفاظ عليه من الانحراف النظري والعملي[١] .

سيدرك القارئ لهذا الكتاب، حجم الاهتمام، والمسؤولية، والمعرفة، والقدرة على التنفيذ لما يفكر به الامام (عليه السلام)، وأنه كان مؤسسة، اجتماعية، و قرآنية، عملاقة، تمشي على الارض، أحدث من التأثير في واقع المجتمع الاسلامي ، الكثير ، باتجاه التصحيح، والبناء لمجتمع المؤمنين ، وتحقيق الاصلاح، والتغير الإيجابي، وكبح المشكلات الكبرى التي يراد لها

١ - جوادي آملي، الحكمة النظرية والعملية في نهج البلاغة، ترجمة : باسم محمدي، مكتبة ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٣١، ص ٢٠ .

أن تنهي التجربة الاسلامية في المهد، وايقاف التحولات، ومن ثم كيف عمل على فضح المنافقين، والاستغلالين، والانتهازين، والخائرين، الجبناء في العصور جميعا .

ومن المؤكد، أنه ليس من اهتمامات الكتاب الوقوف على المنجزات الكبرى للنظريات الاجتماعية في علم الاجتماع، أو التفصيلات في شكلها المطلق، بل من خلال البحث في المشتركات بين خطاب النقد الاجتماعي عند الامام علي عليه السلام، بين اهتمامات النقد الاجتماعي، وبين النظرية الاجتماعية، فيمكن التركيز على الموضوعات الكبرى، وتكريس البحث في المحاور المشتركة ، وهي :

أولاً : قوى التغير واتجاهاتها .

من مميزات النظرية الاجتماعية المعاصرة، هي النظر إلى المجتمع على أساس أنه فضاء يتكون من عديد القوى، المختلفة في الخصائص والسمات والوظائف أو الأدوار، وهي تتعايش، وتتصارع، وتتعاون، وتتكامل، وذلك على خلاف النظريات التقليدية التي كانت تختزل الفضاء الاجتماعي في تفسير أحادي، متحجر، مثل ظاهرة الصراعات، أو البحث في الوظائف، وهذا البحث المعاصر، يتطابق مع تصورات الإمام عن التنوع الاجتماعي في القوى، والتنوع في اتجاهاتها :

(أَمَّا بَنُـو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْش، نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ، وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ، وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمس فَأَبْعَدُهَا رَأْياً، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا، وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ)[1].

كما ويتصدر البحث في قوى التغير واتجاهاتها في الصراع من أجل ادارة وتنظيم المجتمع، اهتمام خطاب النقد الاجتماعي، فمعالجة المشكلات التي تواجهها قوى التغير والتحديات، واعادة الترتيب والمواقع الاجتماعية، وأزمات النخب في حب السيطرة على القوى الاجتماعية والهيمنة على الناس، وكيف يمكن اشراك أكبر عدد من الشرائح الاجتماعية والقوى في هذه التحولات، وتأمين حصول القناعة لديها بضرورة التعاون والنزول إلى ساحات العمل والتواصل ، من خلال ايجاد معنى مشترك للحياة، هو مجال عمل مشترك، بين النظرية الاجتماعية والخطاب النقدي الاجتماعي، حيث يهتم خطاب النقد الاجتماعي ويضطلع بنقد القوى والشرائح والطبقات والعناصر القيادية لهذه القوى، واتجاهاتها، كما يضطلع بوضع الحلول لمشكلات النخب والقيادات وأزماتها، فهذه النخب وطموحاتها في السلطة والمال والجاه، هي مصدر كبير للحراك الاجتماعي، ومن ثم التأثير في مشكلات المجتمع، والتحولات، أو اثارة العنف والتمرد، وهذا ما تبحث عنه

---

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ١٦٤

النظريات في علم الاجتماع والنماذج الارشادية، ومن الواضح أن في تراث الامام الروائي، نصوص، متواترة، في كتب التاريخ والحديث وخالدة في الادبيات والبلاغة، وعظيمة في محتواها عند معالجة هذه الموضوعات كما سنرى .

ثانياً : المسؤولية الاجتماعية:

خطاب النقد الاجتماعي هو جزء من تحمل المسؤولية الاجتماعية الكبرى في رعاية الواقع الاجتماعي، بالعمل، والتعاون، والمراقبة، ومن ثم فهو تصوير لنوع العلاقة بين الناقد الاجتماعي والمجتمع، بين المواطن والدولة، بين الحقوق التي يحصل عليها من هذا الانتماء والواجبات التي تترتب عليه بموجب هذه العلاقة، ويلتقي كل من خطاب النقد الاجتماعي، من موقع المسؤولية الاجتماعية، مع خطاب النظرية الاجتماعية في هذا المفهوم المركزي، حيث تلتقي على ساحة مصطلح المسؤولية الاجتماعية مختلف التكوينات الاجتماعية، من المسؤولية الفردية، ومسؤولية القوى المجتمعية، ومسؤولية النخب، ومسؤولية الأسرة، ومسؤولية الحكومة، لقد شكل هذا المفهوم المركزي نواة صلبة في الخطاب النقدي عند الامام علي عليه السلام، وكذلك هو اليوم في علم الاجتماع والاهتمام بقضايا الناس الأساسية، قديماً، وحديثاً، مثل حفظ الرسالة الجديدة من الضياع والتحريف، والتصدي للأعداء، أو البناء الاقتصادي وتحقيق الرفاه بإعمار الارض، والتصدي لحل مشكلات المحرومين و الفقراء، والاهتمام بمشكلات المرأة،

وقضايا التعليم، والقضاء، واصلاح السجون، وتوفير الحماية الاجتماعية والأمن، وسوف نعرض لهذا الموضوع، والتعريف بالمسؤولية الاجتماعية في بحوث النظرية الاجتماعية، في الفقرات اللاحقة من هذا الفصل، بشكل أكثر تفصيلاً بإذن الله .

ثالثاً : التماسك الاجتماعي :

خطاب النقد الاجتماعي، والبحوث في النظرية الاجتماعية المعاصرة، يلتقيان، أيضاً على ساحة البحث في أسباب التماسك الاجتماعي واستدامة التوافقات في المجتمع، في مقابل ظاهرة التباين الاجتماعي والتفكك ، ولاريب أن النقد الاجتماعي، غير الايجابي، والاستنزافي، ومظاهر العنف هي مما يؤدي إلى التباين، الذي قد يضر المجتمع، وصار لزاماً على من يفكر في المجتمع أن يحافظ على التماسك الاجتماعي والتوافق إلى حد بعيد، مما يعني ضرورة الالتزام بالقانون والشريعة والدفاع عن القيم، والأخلاق، وتحقيق المساواة بين الناس، وعدم اثارة النعرات الجاهلية والعنصرية من أجل احداث الفتن بين ابناء المجتمع الواحد للسيطرة على الجميع، واذلال الكل بسياسة فرق تسد، التي لا يتورع عنها الكثير من السياسيين الفاسدين في المجتمعات الحالية، ومن ثم فان ظاهرة الانسجام والأخوة في المجتمع والحفاظ على المواطنة هي من اهتمامات الخطاب النقدي والمدونة العلمية في علم الاجتماع .

رابعاً : مواجهة العنف :

اما مشكلة العنف الجسدي، الذي يعقب العنف اللفظي، وتصاعد الحروب والاقتتال بين الناس، بسبب الصراعات على المصالح، والتنابذ، والعنصرية، ومن ثم اللجوء إلى سفك الدماء، كوسيلة لحسم النزاعات، والتخلص من المشكلات، بدلاً من النقد الكلامي، والحوار القولي، والاتصال اللفظي، أو استنفاذ وسائل الإقناع الكثيرة ، فقد اضحت هذه الوسائل، ملتقى البحوث الحديثة سواء في حقل النظرية الاجتماعية المعاصرة أم في مجال الدراسات التحليلية لخطاب النقد الاجتماعي، لضمان التخلص من اسباب التصعيد العسكري .

وهذا الموضوع في غاية الخطورة، وذلك لما تصف به المجتمع الاسلامي، ومن ثم التجربة الاسلامية، ولاسيما تجربة الرسول الأعظم ﷺ، ومن بعده الامام علي عليه السلام، من الارتباط بالعنف، الذي شكل عنصراً مشتركاً في مجمل التاريخ الاسلامي، وحروب الفتوحات جزء منه، مما أضفى على الأمة الاسلامية صفة الدموية، والسفك المستدام للدماء واستجلاب الحروب، الأمر الذي يستدعي الجدية في الإفادة من منجزات النظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة في تفكيك هذه الشبهات، والتي روج لها المستشرقون بإسهاب، وعززها الدور الوهابي والتنظيمات المرتبطة به في العالم، كداعش والقاعدة، ولابد من منهجية علمية في الوصول إلى الحقائق الاجتماعية والسياسية المنبثقة منها، كما هي .

خمساً : ضمان المستقبل :

كما تلتقي النظرية الاجتماعية في البحث مع تحليل المحتوى للخطاب النقدي الاجتماعي، في البحث والاهتمام بالمجتمعات من خلال الاهتمام بالمستقبل، لأن المستقبل هو مستقبل المجتمع، ومستقبل التحولات التي ستجري على هذا المجتمع، والمستقبل يفترض أنه مأوى الخلاص، في التخلص من المحن الحالية، و المشكلات، والتحديات، وفيه تكمن الفرص في الوصول إلى الاهداف، والانتصارات .

وما ذكرناه في البداية، من محاولة هذه الدراسة الخلوص في النتيجة النهائية والاهداف، إلى بناء أنموذج ارشادي في مجال التفكير النقدي، وخطاب النقد الاجتماعي، بالإفادة من الجمع بين النظرية الاجتماعية وخطاب النقد الاجتماعي كما هو عند الامام علي عليه السلام أنما هو بقصد إغناء السلوكيات المستقبلية والسياسات التطبيقية، من خلال الوظيفة التي يضطلع بها هذا الأنموذج الارشادي، في اغناء العمل المستقبلي والافادة من الوسائل التغيرية والاصلاحية المتاحة في مجالات الاتصال والتغير والاصلاح الاجتماعي .

النظرية الاجتماعية المعاصرة

مع انطلاقة عصور النهضة والحداثة في الغرب ، وفي الفترات اللاحقة من هذا العصر، ولاسيما مع الثورة الصناعية، أشتدّ الاهتمام بالمجتمع، وبالتربية والتعليم، والمناهج الانسانية، وأصبح النقد الاجتماعي جزءا حيوياً من التفكير، للتخلص من براثن عصور الانحطاط، وفي توجهات الكتابة، والتأليف، والبحث اليومي، وفي الثقافة الشعبية والاجتماعية، والقصص والروايات الادبية، من أجل النهوض بالمجتمع، وإزالة ما علق بالأذهان من التصورات الخاطئة، والخرافات، وما علق بالعلاقات الاجتماعية من السلوكيات الأنانية و الاجرامية، وكانت الروح النقدية، والخطاب النقدي، المثالي، المتشبع بهذه الروح، يطال معالم العالم القديم ومظاهر الظلم فيه والتخلف جميعاً بالاستنكار، ومن ابرز الشواهد آنذاك هي نقد النظرية القديمة عن مركزية الارض في المجموعة الشمسية، والتي تمجدها الكنيسة، ورجال الدين، في المجال العلمي، ونقد الحروب الدينية و محاكم التفتيش في المجال الاجتماعي .

وفي الوقت ذاته، برزّ علم الاجتماع ، وطريقة البحث العلمي فيه ، كحقل قائم على الملاحظة، الدقيقة، ورصد الظواهر في المجتمع وتحليلها، ومحاولات فهم الأسباب والنتائج، والتنظير للموضوعات الاجتماعية ، من حيث الطبقات، والوظائف، والصراعات، ومظاهر التطور العقلي الاجتماعي،

تمثل أشكال من العناية بالبحث الاجتماعي، تتسارع في الأروقة العلمية والاكاديمية ، ومراكز البحوث، وذلك من أجل تنمية المجتمع وتنويره بالعلم والمعرفة، وحل مشكلاته، والسيطرة على الصراعات فيه، أو وقف أشكال العنف، أو ضمان المستقبل :

(إنّ علم الاجتماع معنيّ بدراسة الحياة الاجتماعية، والجماعات، والمجتمعات الإنسانية، إنه مشروع مذهل، وشديد التعقيد، لأن موضوعه الأساسي هو سلوكنا، ككائنات اجتماعية، ومن هنا فإن نطاق الدراسة الاجتماعية يتسم بالاتساع البالغ، ويتراوح بين تحليل اللقاءات العابرة بين الأفراد في الشارع من جهة، واستقصاء العمليات الاجتماعية من جهة أخرى)[١].

من هنا، أولت النظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة، أهمية لجميع هذه المحاور أو الموضوعات المرتبطة بها، والمذكورة آنفاً، أو ما يتفرع عنها من الظواهر الاجتماعية ، وخصتها بالبحث والدرس والتنقيب، كمجال بحث جديد، مستقل عن الفلسفة والاقتصاد، والاخلاق، من أجل فهم المجتمع الكلي ذاته، وأثره على سلوكيات الأفراد، من خلال الظواهر السائدة، والطارئة ، التي تعيد تشكيل الذهنيات، وقدرات العقل، مما يؤثر في مجمل

[١] - أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة : فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٧ .

السلوك الاجتماعي، ، ويعمل على تنميط هذا السلوك، ووضعه في قوالب اجتماعية وتربوية، وكان لابد في هذه المرحلة من النهوض، العمل على حل المشكلات التي بدأت بالظهور مع ظهور الصناعة، والتكنلوجيا، والعمل في المصانع ، ومن ثم توجيه وتحقيق التغيرات التي لابد منها في المجتمع، ولاسيما مع تزايد الاعداد، والوعي الصحي ، وتحقيق الاصلاح والتجديد المطلوبين مع انطلاقة العصور الحديثة والمعاصرة في عالم الغرب، وكان النقد الاجتماعي، حاضراً وبقوة، في جميع هذه المراحل والتطورات، نقد الشخصيات التاريخية والمعاصرة، وطرائق التفكير في النوع الإنساني، والاحداث، والنصوص:

(يتمسك بثبات بالفكرة الموجهة للعلوم الاجتماعية، من حيث هي دراسة للسيرة الشخصية، وللتأريخ ولمشكلات تلاقيها في البنية الاجتماعية، وتتطلب دراسة هذه المشكلات، أي فهم التنويعة الانسانية، أن يكون بحثنا مرتبطاً بمستوى الواقع التاريخي ارتباطاً مستمراً ووثيقاً، وبمعاني هذا الواقع لدى الافراد رجالاً ونساء)[1].

ولا ريب أن علم الاجتماع هو مدخل أساسي للوعي بكل ما هو سلوك مجتمعي، أي كل ما ينتمي إلى المجتمع، من الظواهر، والعلاقات،

---

١ - سي، رايت، ميلز، الخيال السوسيولوجي، ترجمة : صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٧، ص : ١٩٣ .

والتجاذبات، أو ما يتعلق بالمجتمع من العلاقات الخاصة بين أعضاء جماعة معينة، تترك أثرها في الجميع، وبذلك فهو فرصة كبيرة لفهم مسار المكونات الاجتماعية ووظائفها في الفضاء الاجتماعي ومنها السلوك النقدي من أجل الاصلاح والتغيير[١].

ولا يتحقق هذا الوعي بالمجتمع عند علماء الاجتماع، بشكل فطري وإنما في ضوء العديد من أسباب التعديل في الوعي، تتولى تشخيصها عادة المناهج البحثية، كالمنهج البنيوي الوظيفي، وطريقته الوضعية والمنطقية في البحث ووضع الفروض والتدليل عليها، أو في ضوء المنهج التاريخي في البحث، بالمعروف بالمؤسسي، نسبة إلى المؤسسات الاجتماعية والعادات الراسخة، والمعروف أيضاً، بطريقته الاستقرائية، والتحقيب التاريخي، والبحث في الجذور والبدايات، لبروز المشكلات الاجتماعية وتطورها في المراحل المختلفة وصولاً إلى اتساعها وانتشارها .

أما بالنسبة للتفكير الناقد في المجتمع فهو أسلوب في التأمل أو طريقة في التفكير ملازمة لجميع هذه المناهج، العلمية، ونمط من الخطاب الذي لا غنى عنه، في جميع المراحل البحثية، واثارة الشك العلمي، وذلك لضمان النتائج، والتي تتولى في النهاية الدفاع عن قيم المجتمع، والانسان، والتي تؤمن الوجود والاستمرارية النوعية للمجتمع ، ومكافحة الأخطار المحدقة

---

[١] - فؤاد خليل، المجتمع، النظام، البنية، في موضوع علم الاجتماع وإشكاليته، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص : ١٣ .

بالجميع، كوصول العناصر المجرمة والطواغيت للحكم، وهذا ما ابتلي به العالم الاسلامي كثيراً، وكافحه الامام علي (عليه السلام)، كواجب الهي، واجتماعي، وانساني، وبالقدر الممكن، حتى أخر يوم من حياته في المجتمع الاسلامي .

لقد أولت الدراسات الاجتماعية والنظريات، ولاسيما، في الربع الأخير من القرن العشرين، وحتى يوم الناس هذا، أهمية كبيرة لدراسة الظواهر الاجتماعية، والبحث في الموضوعات المجتمعية، مثل : خطاب النقد وقوى التغيير، وخطاب النقد وأزمات النخب ، أو خطاب النقد والمسؤولية الاجتماعية، أو قضايا التماسك الاجتماعي والتوافق في مقابل التباين والاختلاف، في ضوء المنهج الاستراتيجي أو ما يعرف بمنهج التفكيك للموضوعات والتوجهات المنهجية والمشكلات ، وذلك من أجل اعادة السيطرة على الأزمات في المجتمعات، ومن ثم توجيهها في صالح القوى المتنفذة، أو تحقيق الاستفادة منها وتحويل التحديات والمشكلات إلى فرص من أجل اختراق الواقع، واعادة التموضع فيه من خلال هذه المشكلات والظواهر، أي التصيد بالماء العكر ، واستغلال الأزمات، في المجتمع، من أجل الابتزاز، والاثراء، والهيمنة، أو التخريب، وهو الأمر الذي استدعى تكثيف الجهود من أجل انشاء علم اجتماعي نقدي فاعل وتربية نقدية مستدامة للظواهر:

(النموذج النقدي **Critical**، الذي يرى أنّ التربية تحقق هدفها الأسمى المتمثل بتحرير الانسان، وبالتحول إلى مجتمع أكثر عدالة، متى ما تحرر من سطوة الساسة وأصحاب النفوذ الاقتصادي، فهؤلاء يعمدون إلى النظم التربوية لإبقاء الاوضاع الراهنة في المجتمع على ما هي عليه، لأن في هذا ضمان هيمنتهم ونفوذهم، غير أنّ هذا النموذج النقديّ، لا يبرح يواجه عوائق كثيرة، فهو محارب بقوة من لدن الساسة لما يحمله من توجهات تكشف كثيراً من مزاعمهم)[١].

ما تتناوله البحوث والدراسات الاجتماعية، من قضايا المجتمع ، لا قيمة له ، أو جدوى ، أن لم يؤسس للتصحيح والتغيير والاصلاح ، والنهوض بالكرامة الإنسانية ، سواء على المستوي الفكري والمذهبي، والقيم والتشريعات والمقاصد والاهداف عند الامم والشعوب والجماعات المحلية، أم على مستوى التأسيس النظري عند البحث في حياة الأفراد والمؤسسات والشرائح والجماعات المتعايشة في الفضاء الاجتماعي ، أم على مستوى البحث التطبيقي والتكوينات الاجتماعية الفاعلة في الساحة والظواهر، ومن هنا صارت ظاهرة السلوك النقدي الاجتماعي الجزء الأكثر حيوية في البحث الاجتماعي المعاصر :

---

١ - ماجد حرب، التربية النقدية، آمال الشعوب ومخاوف الساسة، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٥، ص : ٦ .

(إنه ليس بوسع العلماء الاجتماعين التجاهل المطلق للسلوك الاعتيادي، باعتباره : حجر الأساس للمجتمع، رغم اهتمامهم الأوسع باللحظات النقدية في سلوك الأفراد)[١] .

ومن هنا، تطرح بقوة مسالة الترابطات والمعابر الكثيرة بين التفكير النقدي بالمجتمع، وخطاب النقد الاجتماعي من جهة، وبين اهتمامات النظرية الاجتماعية و علم الاجتماع من جهة أخرى، وما يمكن أن يقدمه كل حقل منهما، من الخدمات للحقل الآخر، ولاسيما، ونحن بصدد دراسة النقد الاجتماعي عن الامام علي عليه السلام، من أجل بناء أنموذج ارشادي، في هذا الحقل الحيوي الجامع، بين اهتمامات التفكير النقدي بالمجتمع، كما في تراث الامام الروائي، وبين معطيات النظريات الحديثة والمعاصرة في علم الاجتماع، وسنحاول في هذا البحث الوقوف على جملة من هذه المعابر والترابطات بينهما :

أولاً : التبادل في الموضوعات:

فمن حيث الاهتمام والعناية بالواقع الاجتماعي، يلتقي التفكير النقدي الذي لا يدور في الفراغ، بل في اطار واسع من المشكلات، والأهداف الاجتماعية، في تحقيق التحولات داخل القوى الاجتماعية والشرائح نحو

١ - برتي السوتاري، النظرية الاجتماعية والواقع الانساني، ترجمة : علي فرغلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥، ص : ٣٥ .

الأفضل في مجال حفظ الكرامة الإنسانية، أو التخلص من العادات الفاسدة والتقاليد الاجرامية، والعنصرية واطاعة الشخصيات الغارقة في الانحراف والتكبر، وهذه هي أيضاً تطلعات علم الاجتماع في برامج التغير والاصلاح والنهوض، فيستغرق في تناول ذات الاهتمامات والموضوعات وتوفير العلاجات لها .

ثانياً : تبادل المصادر المعرفية :

توفر خطابات النقد الاجتماعي، من جهتها، والنصوص المأثورة في مجال معالجة المشكلات الاجتماعية عبر التاريخ، مادة اجتماعية كبيرة ، ممتازة، في اثراء البحث العلمي الاجتماعي، فهي ممارسة يومية باعتبارها ظاهرة تأتي في إطار الدفاع عن أمور محددة في المجتمع، مثل، القيم أخلاقية، والرسالة اجتماعية، والرؤية في العمل على الاصلاح والتغيير، والتي لا يمكن أن تجري في الفراغ، بل هي من صميم مظاهر التفاعلات الانسانية داخل المجتمع، وذات محتوى فكري وثقافي ضارب في عمق الوعي الاجتماعي، ومن ثم ينتج عنها نصوص محددة هي المادة المعتمدة في البحث العلمي والتاريخي والاجتماعي .

فهي مدخلات للتفكير في المجتمع بطريقة واقعية وعلمية ، إن النقد في المجتمع ، يعدّ متغير متعدد الابعاد والجوانب، فمن جهة هو نمط سلوكي راسخ في الثقافة ومستويات السلوك والمعتقدات والقيم والمعرفة، ومن جانب أخر هو

سلوك اجتماعي يربط بين أفراد المجتمع ويدخل في تمثيل العلاقات والتفاعلات كما هو الحال مع المتغيرات الأخرى، في مجالات الاصلاح والتغيير، والحوار، والتواصل، فهو استراتيجية من استراتيجيات التحريك الثقافي، و الاجتماعي، وإعادة البناء، ومن هنا فهو رابط بين الكلي والجزئي، ومن ثم فان الخطابات الناتجة عن هذا المتغير هي في غاية الأهمية بالنسبة لتوجيه البحث الاجتماعي الحديث والمعاصر، من خلال هذه المادة العلمية والتجريبية .

ثالثاً : التبادل المناهجي :

ومن المعابر أيضاً، بين التفكير النقدي الاجتماعي ، وخطابات النقد الاجتماعي، عند الدراسة العلمية للواقع الاجتماعي، هي امكانية الافادة من النظرية الاجتماعية ومفرداتها، في الطرف المقابل من النقد الاجتماعي، إذ أن النظرية تملك المنهج البحثي، توجه النظرية أساليبها في التحليل نحو النصوص، وتراكمها المعرفي في قراءة الخطابات النقدية والتراثية بشكل مقارن ، تلك المتعلقة بالحوادث الاجتماعية و بالناس والأشياء، و بالتحولات الاجتماعية في مختلف الأزمان ، والتي تفصح عن نمط من التفكير في المجتمع وقضاياه، هو التفكير النقدي، إذ لا يمكن أن تصور نجاح النظرية الاجتماعية، وضبط مفرداتها، من دون المراجعة التاريخية للمجتمع، والواقع الاجتماعي للسابقين، وتطورهم التاريخي، وهي أيضا لا تدور في الفراغ التاريخي أو الفراغ الاجتماعي، بل هي بحاجة إلى هذه الخطابات

التي تحاكي فضاء المجتمع، وما يجري في هذا الفضاء من المظاهر السلوكية المرتبطة بالأخرين ، وبالعادات والتقاليد والقيم والاخلاق والعلاقات، وطرائق التواصل بين الأطراف الاجتماعية ، ومشكلات تأجيج العنف والحروب والاقتتال أو أحلال السلام، وحينئذ تعمل النظرية الاجتماعية على اعادة تبويب هذه الخطابات، وتحليلها، ومعرفة المحتوى العلمي لها، والكشف عن صورة المجتمع الكامنة فيها .

رابعاً : مقاربة المخرجات البحثية : أما على مستوى النتائج، المترتبة على هذا الترابط، بين خطاب النقد الاجتماعي، والنظرية الاجتماعية في وحدة موضوع البحث، وتقارب طرائق التفكير، فلا ريب أن هذا البحث الحيوي، المتداخل، يمكن أن يضيف الكثير أو يؤسس لما يعرف اليوم بعلم اجتماع النقد الاجتماعي، فهذه الممارسة الصغيرة في حجمها من حيث الامتداد الزمني، أو محدودية الكم من الالفاظ في مجال النقد الاجتماعي ، هي كبيرة من حيث الكاشفية عن طرائق التفكير السائدة في معنى الحياة في هذه الامة، ومدى التزامها بهذا المعنى، وتأسيس ثقافتها، في ضوء هذه الرؤية الكونية والمشكلات، والظواهر الاجتماعية التي تتأثر بهذه الرؤية، والعلاقات، ونظام الدولة، والعنف والمستقبل .

إن البحث الذي يدرس خطاب النقد وطريقة التفكير النقدي، هو بحث علمي في تقديم النتائج، إذ يجمع بين البحث في علم الاجتماع، والبحث في خطاب النقد، فمن جهة يحضر المجتمع بكل تكويناته، وبظواهره ومشكلاته،

وحراكه، وانجازاته، ومن جهة أخرى يحضر خطاب الممارسة النقدية أو التفكير النقدي، بجميع تجلياته في هذا فضاء المجتمع أو التاريخ، كنصوص، وأدبيات، وتاريخ، وتراجم علماء، وسير شخصيات، ومذكرات عن الاحداث والوقائع والابطال، فتتضمن هذه النصوص الثقافة النقدية، كمنهج فكري، ومن ثم ممارسة في السلوك النقدي الاجتماعي، فتدخل هذه المعطيات في بناء أو نظم الصورة التركيبية، التي يريد علم الاجتماع تكوينها في اطاره النظري والمنهجي عن المجتمع وحراكه الثقافي وتطوره التاريخي، من هنا، فهو بحث علمي في تصوير الواقع الاجتماعي، معني بدراسة التفكير النقدي في إطار المجتمع، وتحليل نصوص النقد الاجتماعي، ومنها نصوص التراث، وهذا الاختيار، نفسه، يعدُّ إسهاماً جديداً في ساحة علم الاجتماع المعاصر، ومن الواضح أنه فرع ما زال في طور النشأة والتكوين، و مجال عمل مشترك بين مكونات علم الاجتماع وادبيات التاريخ، ونصوص النقد الثقافية .

خامساً : مقاربة الكلي بالجزئي : كما أن النقد الاجتماعي يجمع بين الجزئي والكلي، فهو يعدّ من جهة الخطاب والتجلي في النصوص، آلية من آليات الخطاب الانساني الفرد، الرشيد، والحر في القول والعمل، ومن جهة أخرى هو نمط من أنماط التفاعل بين الأفراد، والتجمعات ، أي سلوك مجتمعي متبادل، معبر عن مستويات من العلاقات الاجتماعية، ودرجات الخوف والحذر أو الامل والرجاء في التغيير وإعادة البناء للكل ، وارتباط

هكذا نمط من البحث مع النظرية الاجتماعية بجعلها تتجاوز الكثير من مشكلاتها في اطار الانقسام بين الكلي والجزئي في البحث الاجتماعي .

سادساً : **مقاربة النظرية للواقع** : يوفر المنظور النقدي، منهجاً قادراً على استيعاب الترابطات الكبيرة لعلم الاجتماع، والنظرية الاجتماعية مع الواقع المعاش على الارض في الماضي والحاضر ، إذ أن الترابط الكبير بين فضاء المجتمع، وفضاءات الثقافة، وعمق التاريخ، وأنماط التفكير، والعلوم، والمناهج، والتأثير المتبادل بين هذه الحقول ومساراتها على الحياة الاجتماعية من العلاقات، والعادات والتقاليد، و الظواهر الاجتماعية، والمشكلات، وطرائق الاصلاح والتغيير، هذا الترابط الواسع صار من الصعوبة السيطرة عليه في البحث، ولا بد من ايجاد منظور أو أسلوب جامع في استطراق مفردات النظرية الاجتماعية، وذلك من خلال اعتماد النقد الاجتماعي كمنظور رئيس في هذا المجال .

سابعاً : **التطوير العلمي** : التفكير النقدي والخطاب النقدي وتطوير النظرية الاجتماعية : لقد أفضى إلى تطور كبير في علم الاجتماع وفروعه، ومنها الدراسات الاجتماعية التاريخية، والثقافية الراهنة، وطرح أسئلة جديدة بشأن حركة ونمو المجتمعات وتطورها الفكري والثقافي ،أي في مجال البحث التاريخي للمجتمعات، ومن هذه الفروع هو علم اجتماع النقد، وبذلك تتأكد أهمية دراسة هذا الترابط باستمرار، من هنا يمكن الإفادة من خطاب النقد الاجتماعي، كمدخل عام لدراسة المجتمع، وتمويل النظرية

الاجتماعية بالمعطيات عن الواقع الاجتماعي، إذ تتداخل الرؤية النقدية في المجال الاجتماعي مع علم الاجتماع على أكثر من مستوى، وبذلك يمكن الإطلالة على علم الاجتماع، أو دراسة التكوين الاجتماعي لمجتمع معين، وذلك من خلال دراسة ظاهرة النقد الاجتماعي، فهي ظاهرة اجتماعية، على المستوى الواقعي والممارسة اليومية للاتصال بين الافراد والجماعات، كما وتشكل، على مستوى التنظير، والبحث المنهجي، جزءاً من علم الاجتماع العام وفروعه البحثية المركبة منه ومن غيره .

لقد جرى باستمرار تطوير علم الاجتماع ، وقد تصاعدت وتيرة هذا النمو والتطوير لهذا العلم في الوقت الحاضر، وعلى جميع المستويات ، سواء منها المستويات الفلسفية، أم على مستوى بناء النماذج والنظريات العلمية، أم على مستوى الدراسات التطبيقية و العملية، وذلك لما لهذا العلم من أثر كبير في بناء قوة المجتمع وتكامله والمحافظة على التماسك الاجتماعي من أجل مواجهة التحديات الثقافية والحرب الناعمة ،أو التحديات السياسية الدولية ، أو الحصارات الاقتصادية، ولاسيما في زمن العولمة وانتشار الارهاب الدولي .

كان يجري باستمرار البحث عن المنظور السوسيولوجي، التكاملي، أو ما يعرف بزاوية النظر الجامعة لمفردات هذا العلم، أو القادرة على توحيد مكوناته، الكلية والجزئية، للخروج بأنموذج ارشادي، قادر على الوفاء بالأبعاد البنيوية، والوظيفية، والجدلية، والاستراتيجية، المستقبلية، وتجاوز

الشرخ بين ما هو فردي وما هو جمعي، من اهتمامات هذا العلم، مع المحافظة على حس الدفاع عن العدالة والانصاف أو المبادئ الأخلاقية عند الأفراد والجماعات معاً:

(رغم الأهمية والتأثير المتزايد لهذا المنظور السوسيولوجي، لا توجد حالياً أي خلاصة تعطي صورة جامعة حول هذه المقاربة، بتفضيل دراسة أشكال التسويغ، والنقد العادية ، التي يستعملها الأشخاص العاديون لإبراز حس العدالة عندهم أو مبادئهم الأخلاقية .... إن طموحات هذه المقاربة الجديدة، كما سنرى، هي تجاوز التعارض المعتاد بين الفردي والجمعي)[1].

من هنا تأتي أهمية منظور النقد الاجتماعي، كمنظور جامع في مجال قراءة المجتمع ، فهو من جهة أولى، يدرج خطاب النقد الاجتماعي، ونوع المعرفة التي يتضمنها، وإشكالية العنف، المتلازمة معه، حيث يتغذى العنف من النقد، في صلب اهتمامه ، وذلك في إطار كبير وواسع هو دراسة المجتمع والمعرفة المرتبطة بخصائص وسمات هذا المجتمع ، ثم من جهة ثانية، يعيد بناء مفردات علم الاجتماع في صياغة جديدة، وتحت منظور من السوسيولوجيا، قادر على إعادة نظم هذه المفردات والموضوعات

---

١ – محمد ناشي. مدخل إلى علم الاجتماع البراغماتي، تصدير: لوك بولطانسكي، ترجمة وتقديم: طواهري ميلود، دار روافد الثقافية في بيروت، وابن النديم للترجمة، الجزائر، ط١، عام ٢٠١٤م، ص : ٢٧.

والحقول، وقراءة مناهج البحث، المعتمدة، في التحليل من مقاربات بنيوية، ووظيفية، وجدلية، واستراتيجية، مستقبلية، واختبار المتغيرات .

ومن أجل المزيد من الوضوح في دراسة الترابط بين التفكير الناقد، وخطاب النقد، وارتباط هذا الخطاب بالنظرية الاجتماعية، أو مفردات علم الاجتماع، سنحاول التعريف بهذا العلم، وأنماط النظريات السائدة فيه، أي المكونات والمحتوى للنظرية الاجتماعي، ولو بشكل موجز، من حيث الموضوع، وطرائق التفكير في قضايا المجتمع والمشكلات وحلولها، وكيف أنتجت هذه الانماط من التفكير مجموعة كبيرة من النظريات في البحث الاجتماعي هي العمود الفقري للنظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة، وصلة هذه المكونات بموضوعنا وهو النقد الاجتماعي .

١ـ **علم الاجتماع العام**: و هو العلم الأكثر اهتماماً من أي علم أخر بالمجتمع والناس من حولنا، فهو العلم، الذي يمكن أن يعرف ببساطة أنه : العلم الذي يدرس المجتمع، من جميع الحيثيات الممكنة، الظواهر والمؤسسات والعلاقات السائدة، وكيف تتحكم بالفضاء الاجتماعي وتسير الناس فيه، جملة من التشريعات والقوانين والعادات والقيم التاريخية، والدينية، والقانونية، وتضبط مسارات القوى المتحكمة في السلطة، وعلاقتها بالشعب، وتقنن التدرج الاجتماعي، وطرق نقل المعرفة، واشكال الترقية والصعود نحو المناصب والدرجات العليا في المجتمع ، وطريقة توزيع المنافع العامة والموارد، واساليب حل المشكلات في القضاء، وعلى هذا الأساس

الواسع لمفهوم علم الاجتماع برزت فروع دقيقة مثل : علم الاجتماع الثقافي، وعلم اجتماع النقد، وعلم اجتماع المعرفة، وغير ذلك من الفروع، وهي تهتم جميعاً بظاهرة النقد، فهنالك التفكير النقدي في مجال نقد الثقافة، والتفكير النقدي في مجال المعرفة وكشف الايديولوجيا، والتفكير النقدي في مجال العلاقات الاقتصادية في بعدها الاجتماعي، وهكذا، يطال التفكير النقدي جميع الفروع في علم الاجتماع، وسنعرض لبعض التفصيلات في هذه الفروع في المطالب الآتية بأذن الله تعالى .

ثم أنه، من الواضح الحجم الكبير لهذا الموضوعات عند البحث والاستقصاء، في ضوء المناهج الحديثة والمعاصرة، والتي تشتمل على التكوينات البنيوية في المجتمع، وكذلك التطورات الجدلية له عبر التاريخ، أو عند ملاحظة الافعال الاجتماعية الكبرى من خلال تقاطع الاستراتيجيات بين المتصارعين على السلطة والحكم، وبذلك تبرز أو تتلخص في داخل النظرية الاجتماعية، قصة طبيعة النظم الاجتماعية التي تعاقبت على تنظيم مؤسسات المجتمع وحياة الأفراد ، والعلاقات الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد والجماعة، في حياة مركزة ومكثفة، مع ملاحظة أن تلك النظم والعلاقات تتسم بأنها ملموسة ومحسوسة تارة، ومجردة في الوقت نفسه عند التفكير بها أو محاولة نقدها تارة أخرى [١] .

---

[١] – ميل تشيرتون، وآن براون، علم الاجتماع : النظرية والمنهج، ترجمة : هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الاصدار : ٢٠٧٥، القاهرة، ط١، ٢٠١٢ م. ص ١٩ .

وبذلك ، فعلم الاجتماع، علم واسع له موضوعه، واهتماماته ، وأغراضه الوظيفية، ومناهجه البحثية، ومصادره المعرفية والتي تميزه من العلوم الأخرى، كما وله أنماط من الارتباط بالعلوم الأخرى المتداخلة معه في الموضوعات والاليات البحثية و الأغراض، مثل علم الثقافة، وعلم الأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم الأخلاق، وعلم التاريخ، وبذلك يسعى الباحثون لفهم هذه الترابطات في فضاء الواقع، واعادة ترسيم أو صياغة هذه التداخلات في فضاء البحث، من هنا كان الأمام يقول في وصيته للإمام الحسن عليهما السلام، عن تجربته الثرية في معرفة المجتمع وابراز معنى الحياة :

(إِنّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهُ، تَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ) [١].

وهو لا يهتم ببناء الجسد الانساني، أو بوظائف الاعضاء، أو بالعمليات العقلية في حد ذاتها، بل يهتم بما يحدث من علاقات اجتماعية، عندما يقابل

---

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ٤١ .

انساناً آخر، أو عندما يشكل الناس جموعاً، أو جماعات، أو عندما يتعاونون، أو يتحكم بعضهم في بعض، أو يحاكي بعضهم البعض الأخر، أو يطورون الثقافة أو يقوضونها:

(إنّ علم الاجتماع معنيّ بدراسة الحياة الاجتماعية، والجماعات، والمجتمعات الإنسانية، إنه مشروع مذهل، وشديد التعقيد، لأن موضوعه الأساسي هو سلوكنا، ككائنات اجتماعية، ومن هنا فإن نطاق الدراسة الاجتماعية يتسم بالاتساع البالغ، ويتراوح بين تحليل اللقاءات العابرة بين الأفراد في الشارع من جهة، واستقصاء العمليات الاجتماعية من جهة أخرى)[1].

٢ ـ علم الاجتماع الثقافي (الانثروبولوجيا):

الانثروبولوجيا، هي علم دراسة الخيارات الثقافية عند الشعوب، وكيفية استدامة هذه الخيارات، ومن ثم البحث في الوظائف التي تمارسها الثقافة على ديمومة الاتجاهات في المجتمع [2]، ومن هذه الخيارات الثقافية، خيار ثقافة النقد الاجتماعي و المقاومة، والاصلاح، والشجب والاستنكار لمظاهر

---

١ - أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة : فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٧ .

٢ - عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧١ ،ص : ٢٨ .

الظلم والانحراف، واليوم، إذ يتوجه التفكير الناقد على الدوام نحو المظاهر الثقافية والفكرية المؤسسة للسلوكيات المنحرفة، بالرفض والاستنكار، رفض مظاهرها المقرفة في السلوكيات الاجتماعية والمظالم التي تترتب عليها والتحديات في النهوض الاجتماعي، فإنما يبحث في أسباب استدامتها بين الناس والاصرار على محاكاتها .

في ضوء هذا التعريف للأنثروبولوجيا، كخيار ثقافي مقاوم ، لصور انتهاكات الكرامة الانسانية ، اليومية في المجتمعات ، يصبح البحث في خطاب النقد الثقافي عند الإمام عليّ (عليه السلام) ، مطلب أنثروبولوجي بامتياز ، إذ يجري التساؤل فيه عن كيفية استدامة هذا الخطاب النقدي في الثقافة الاسلامية، والخيارات الثقافية التي تتفرع عنه من : المثالية، والنزاهة، والمقاومة، والتصدي للفساد، ولاسيما فساد الحكام، والمترفين، من المنافقين والسفهاء عبر الأجيال.

من هنا، صار يقرأ ، خطاب النقد الاجتماعي، للثقافة السائدة في المجتمع والأفكار والتصورات الفاسدة ، كخطاب تصحيحي يسعى إلى تغير الهويات واشكال المحاكاة الراسخة في السوك الاجتماعي ، والتي تأبى التغير أو التعديل، ولاسيما ثقافة الجاهلية الصراعية التي تمكنت من السيطرة على العقل العربي ، وثقافة التخلف، يشكل هذا الخطاب النقدي في نهج البلاغة، ذلك الجزء الحيوي من النقد الاجتماعي عند الإمام علي عليه

السلام، الذي هو نقد جذري للهوية الجاهلية القائمة على العصبية، وإطاعة الكبراء والسادة الفاسدين المتجبرين :

(ألاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبرَائِكُمْ!، الَّذِينَ تكبرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابرَةً لِقَضَائِه، وَمُغَالَبَةً لآلاَئِه، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِه عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، وَلاَ لِفَضْلِه عِنْدَكُمْ حُسَّاداً، وَلاَ تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلاَسُ الْعُقُوقِ، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَلٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ، وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِه، وَمَوْطِىءَ قَدَمِه، وَمَأْخَذَ يَدِه)[١].

وهكذا يتضح من النص أعلاه، كيف كان يقف الإمام عليّ عليه السلام بالمرصاد للسلوكيات الثقافية المعبرة عن اصرار المجتمع على البقاء على الروح الجاهلية والتخلف والعصبية الرعناء ، وهو نقد يطال جميع عناصر

---

١ - نهج البلاغة ، ج٢، ص : ١٤٢ .

الثقافة في المجتمع، فهو يطال الرؤية الكونية، والهوية، وأنماط المحاكاة، والرموز التي يؤمن بها المجتمع، والذاكرة الراسخة في احترام الاوثان والاصنام، وحب الذات والتفاني في الاستجابة للأهواء، وهو نقد ثقافي بامتياز، للمعرفة، والمنهج، والفكر، والأخلاق، ومظاهر التسلط والهيمنة على حدّ سواء :

(الاستبداد الذي أنكره عليّ في منهجه وحاربه وأخزاه، كان الأرض الخصبة التي نمت عليها كل الأمراض الاجتماعية في تاريخنا العربي، وفي تاريخ سائر الشعوب .... وإنما كان علي في منهجه ومسلكه حرباً على هذا الاستبداد لأنه يخلق الموت بأشكاله جميعاً في البلد الذي يسوده، وهذا البلد موطن الجماعة، وفي سبيل الجماعة كانت السياسة وكان الحكم وكانت الأنظمة والدساتير، ولكي يحول عليّ بين الحاكم والانحراف عن العدالة، جعل الشعب وكيل أمره .... وحكومات التاريخ في الشرق إنما كانت تعدل بمقدار ما تقترب من نهج علي بن أبي طالب في الحكم)[1].

ومن أجل استكمال تكوين الصورة الواضحة عن المجتمع، من خلال القراءة الثقافية للمجتمع، سواء على الصعيد البنيوي، أم التطوري

[1] - جورج جرداق ، موسوعة الإمام علي صوت العدالة الانسانية ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ ، ص : ٨٣ .

والتاريخي، يستدرج هذا الفرع من علم الاجتماع ، موضوعات ونصوص مهمة في التاريخ، والسياسة، والاقتصاد، لفهم أنماط السلوكيات السائدة في الاوساط الاجتماعية، ومن ثم تعميق الفهم لظاهرة النقد الاجتماعي في الحقل الثقافي والنقد فيه، الذي يثري هذه الحقول جميعاً، ومن الواضح هنا حجم التأثير الذي تركه الخلاف على الإمامة، ومن ثم على تحقيق العدالة الاجتماعية في جميع الفروع العلمية التي تأسست في المعرفة الاسلامية من التفسير، و الكلام، والاخلاق، والفقه، والتاريخ .

النقد الاجتماعي، أو التقويم للأشخاص والتوجهات ، أنما يطال أولاً بعدها الثقافي الذي يظهر في السلوك، ويكشف عن نوع العقل السائد، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، لأن النقد الاجتماعي والتقويم يقع في القلب من مجمل تصورات الثقافية البنية الاجتماعية، والطبقات المهيمنة والعلاقات، وكذلك هو من المحركات الاساسية للمسار الاجتماعي، والتغيير، والتحولات المراد غرسها في البنية الاجتماعية ، بذلك أمكن أن يتخذ التفكير النقدي وما يفرزه من الخطابات النقدية، الواعية بجميع هذه المفردات والمفاصل، منظوراً للجميع من موقع الثقافة، ومن يراجع كلمات الإمام يجد ذلك النقد الاجتماعي لثقافة الزهد غير الواقعية، والتي لاتزال تستنزف قدرات العالم الاسلامي بالكسل والخمول، وتخلق ظاهرة التنبلة، وما يستتبعها من التواكل بذرائع شتى :

(وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ، وَانقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الحالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ القَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلاَ مَغْدًى) [١].

فإذا كان علم الاجتماع، هو العلم الذي يحاول الوقوف على تلكم القوى العميقة والمؤثرة في صياغة ثقافة العلاقات الاجتماعية، والتي تعمل على التحريك والضبط، والديمومة في المجتمع، فمن الواضح أن النقد الاجتماعي هو ذاته، ومن خلال نصوص النقد الخالدة، جزء رئيس من هذه القوى المحركة للسلوكيات عند الأفراد والمجموعات الناشطة في فضاء المجتمع، سواء أكانت من قبيل الحوافز والمغريات التنافسية، أم أنماط الضبط الاجتماعي والسيطرة، أم أشكال التطور والتغيير في المجتمعات والنمو في الوعي والثقافة والسلوكيات .

يدخل النقد الاجتماعي الثقافي في كيفية عمل الرؤى الكونية الاعتقادية في حياة الناس ، وآدابهم من الشعر والقصص، وكذلك في المناهج وأولوياتها في البحث للوصول إلى الحقائق والنتائج، والثقافات وما يجري عليها من تعديلات، والتجارب المكتسبة ، والعلوم، والنظريات، وأنماط التعايش مع البيئة والتكيف مع الطّقس الاجتماعي ، ومجمل العادات والتقاليد ونقدها، والعلاقات الاسرية، والعشائرية، ونقد الاساطير والخرافات، كأشكال من

[١] - نهج البلاغة : ج١، ص : ٧٨ .

القوى المحفزة لسلوكيات الناس، والحصول على حاجاتها، سواء منها الخفية أو المعلنة، كمحركات مؤثرة في مسيرة المجتمع وعناصر الثقافة فيه، من هنا يلاحظ التركيز الهائل من قبل الإمام على التثقيف الدائم على بناء الرؤية الكونية، الاعتقادية، التوحيدية الشاملة، والكلام الواسع في الالهيات الذي يشكل ظاهرة علمية قائمة بذاتها في خطاب الامام والذي تتفرع عليه كل التوجيهات والقيم الاخلاقية والتعاليم الفقهية الأخرى، ثم كيف شكلت هذه النصوص التأسيسية ظاهرة أساسية في المعرفة الاسلامية في الفترات اللاحقة من خلال الاقتباس والتنصيص، الذي أثرى هذه الحقول من خلال لغته البلاغية، ومحتواه العلمي والمعرفي، والأخلاقي، ولاسيما خطاب النقد الاخلاقي، وبذلك تحول إلى مستوى الرمز والأنموذج :

(إن المنهج الأنثروبولوجي، التأويلي، الرمزي، قادر على استنطاق مختلف التجليات الثقافية والاجتماعية التي تحفل الكتابات الأدبية، السردية بها، كما يمكن أن نجعل من هذه الكتابات حقلاً أنثروبولوجيا، يغني الحقول الميدانية التي تشكل مسرح دراسات الأنثروبولوجيين)[1].

وفي ضوء هذا التداخل في فضاء الواقع، وما يجري على الارض من التأثير المتبادل بين الأفكار و السلوكيات ، بين الرؤية الكونية، وبين تشكل الهوية

[1] – عياد بلال، أنثروبولوجيا الأدب، دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي، دار روافد للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠، ص : ٤٠١ .

الاجتماعية، من خلال السلوكيات ، هذا المزيج هو من صنع الذاكرة الاجتماعية والتاريخ للمجتمع الاسلامي.

هذا التشابك والمزيج ، بين الفكري والنظري ، هو من صنع الرموز وقدمها للأجيال ، ومن ثم صارت التربية على هذا الأنموذج، وطريقة محاكاة السابقين، حتمية لا يمكن التخلص منها ، ومن هنا تأتي أهمية المنظور النقدي في التأثير والعمل ، على تفكيك العناصر الدخيلة والمنحرفة ولاسيما الاكاذيب والاسرائيليات ، التي عملت على تشويه الأنموذج الاسلامي في النظر والسلوك ، وصارت المذاهب الاجتماعية للمسلمين في الواقع ، انعكاس لكل هذا التواشج بين الثقافة والمجتمع، وهو تلاحم يؤثر بدوره أيضاً على طبيعة الترابط والتداخل في الفضاءات البحثية، والعلمية المعاصرة، حتى بات من المتعذر ترتيب الآثار الفقهية على عقائد الآخرين في واقع تتصارع فيه التيارات التي تستحضر هذا التراث الخلافي، ولاسيما ذلك الخلاف العميق بين مدارس المقاومة وجهادها، في مواجهة مدارس الانحراف، وأباطيلها وسلطتها المهيمنة على الأذهان، ولعله من هنا قال الإمام (ع)، في الخوارج :

(لاَ تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ) [1].

---

١ – نهج البلاغة : ج١، ص : ١٠٧ .

ومن هنا صار التناول السطحي، وطرائق التبسيط في تناول المتغيرات الاجتماعية والثقافية، أو التفكيك والعزل في تناول الموضوعات المتلاحمة، كما هو الحال في تناول موضوعات النظرية الاجتماعية، بمعزل عن النقد الثقافي والاجتماعي، لم يعدّ هذا التبسيط يمثل أو يحكي حقيقة الترابط في أرض الواقع الاجتماعي، بل ويخفي هذا التفكيك كثيراً من مشكلات هذا الواقع، المترابط، في العلل والنتائج، ومن ثم فهو لا يسمح بالنفاذ إلى عمق هذه المشكلات بغية فهمها وحلها، بطرائق متسلسلة ومتتابعة، وبالنتيجة فعندما تحصل حالة التضارب الاجتماعي ، والتناحر في الاوساط المتنفذة، والتمزق في فضاء الواقع الجماهيري، فإنما هي نتيجة أو معادل موضوعي لتمزق الفكر نفسه وتشرذمه في طريقة البحث والتناول الفكري ، الأمر الذي يستدعي ايجاد المنظور الواحد الذي تلتقي عنده المتغيرات الاجتماعية والفكرية والثقافية .

بذلك صار من مساعي علم الاجتماع، هو تكوين الصورة المترابطة عن الواقع، والتي تحاكي من خلال المنهج، وهو الربط بين خطاب النقد الاجتماعي، ومفردات علم الاجتماع، ذلك الترابط في فضاء الواقع، مما جعل هذا العلم يزحف باستمرار صوب الثقافة والأنثروبولوجيا والتخصصات الأخرى :

(وليس ثمة فرق في المنهج، ولا في حدّ لمادة البحث يميزان حقاً الانثروبولوجيا من علم الاقتصاد وعلم الاجتماع اليوم، وكان معظم العلوم الاقتصادية والسياسية معنياً بميادين مؤسساتية خاصة من البنية الاجتماعية)[١].

من هنا، تندرج العلاقة النقدية، والتقويمية، بين الأفراد والجماعات، وهي ثقافة، عامة، كشكل من أشكال العلاقة الاجتماعية، القائمة على الاتصال والحوار والقوة الإنجازية في الكلام، ونمط من أنماط التأثير في سلوكيات الأخرين نحو التغيير والتبديل والتصحيح، في جميع مفردات علم الاجتماع من الموضوعات، والاهتمامات، والاهداف، ومصادر المعلومات، وتاريخ البحث، والمناهج، والمفاهيم، والمصطلحات، سواء على مستوى الفلسفة الاجتماعية والمذهب، أم على مستوى النظريات ودراسة المتغيرات، أم على مستوى السياسات الاجتماعية والاجراءات، وبذلك تحقق الاشتباك المعرفي والمنهجي والموضوعي بين الثقافة والمجتمع :

[١] – سي، رايت، ميلز، الخيال السوسيولوجي، ترجمة : صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٧، ص : ١٩٩ .

(إن التداخل بين الموضوع الاجتماعي والموضوع الثقافي هو حصيلة التقاء التحليل العلمي للبناء الاجتماعي مع الدراسات في مجال التصورات والتمثيلات الثقافية)[١].

وأما على مستوى التشخيص لأهداف علم الاجتماع الثقافي وأغراضه، أو الوظائف التي يتوخاها في عمله، فمن الواضح ارتباط هذه الأغراض، بمسألة النقد الاجتماعي، ومن ثم الاندماج في الأغراض التي يتوخاها علم الاجتماع من دراسة النقد الاجتماعي، فهو يستهدف في المقام الاول تحليل الديناميكيات الاجتماعية والثقافية لصدور هذا النقد، للأفراد والجماعات والنخب، والمسارات التي يأخذها في الاتصال بالجماهير والمتلقين، والنتائج المترتبة عليه أو التأثيرات، والابعاد والاليات في الاشتغال، ومن ثم فدراسة علم الاجتماع الثقافي للنقد الاجتماعي وادراجه كفرع في علم الاجتماع، هي محاولة موضوعية في تشخيص الحقيقة الاجتماعية لهذا النوع من المعرفة، بهدف الوصول إلى تفسيرات تطال أكثر القضايا إثارة للجدل أو الموضوعات الإشكالية في المجتمع المصداقية في السلطة والشرعية أو مسائل التدرج الاجتماعي، وقوى الضبط، أو الحرية في التعبير عن الآراء والمعتقدات، أو الحفاظ على حقوق الانسان وغير ذلك .

١ - تيم إدواردز، النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، ترجمة: أحمد عبد الله، اصدارات : المركز القومي للترجمة، العدد : ٢٠٠٨، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، ص ٧.

٣ـ علم اجتماع المعرفة :

يشكل نقد الايديولوجيا، التي تصادر العلم والمعرفة لصالح طبقة سياسية معينة، أو نقد التوجهات الاجتماعية العامة التي لا تراعي الحقائق العلمية والمنطق، وثوابت التاريخ ، شكلاً حيوياً من أشكال التفكير الناقد للمجتمع الذي يذعن لهذا التزييف أو يتقبله ، مما ينتج عن هذا التفكير النقدي نوعاً من خطاب النقد الاجتماعي، الحجاجي، والعلمي، والرافض لهذا الزحف والتجاوز على الحقيقة، وكان الإمام يشخص الخلفيات الاجتماعية لما يطرحه بعضهم من الأفكار والصياغات التحريفية لروح الشريعة ، فهي مما لا تتلاءم مع ما جاء به الاسلام من المفاهيم والتصورات والاحكام ، وقد روى في هذا المجال، أنه: (عليه السلام) قال لعمّار بن ياسر رحمه الله، وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً :

(دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَتْهُ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمَدٍ لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ) [١].

كان من الثمرات المهمة التي ترتبت على تطور البحث في النظرية الاجتماعية، هي عملية الكشف عن العلاقات السرية أو العلنية بين التوجهات الاجتماعية للنخب السياسية والطبقات الاجتماعية، وبين طريقة التفكير بالمعرفة، أو العلم، أو المناهج، فليس كل ما هو علمي أو معرفي، أو

---

[١] - نهج البلاغة، ج٣، ص : ٢٣١ .

فيه المصلحة العامة، والخير العام، هو موضع اعجاب أو تقديس، بل كثير من الضلالات والاكاذيب ، هي من لها الأولوية والاعتبار في المجتمع، وبذلك تتراجع قيمة المعرفة أو السعي لمعرفة الحقيقة، ولاريب أن هذا الجانب شكل معلماً مهماً في النقد الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام، لمواجهة التزييف الذي بدأ يطال الحقيقة والمعرفة :

(تَرِدُ عَلَى أحَدِهِمُ القَضِيَّةُ في حُكْمٍ مِنَ الأحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِه، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ القَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيها بِخِلافِ قَوْلِهِ، ثُمّ يَجْتَمِعُ القُضَاةُ بِذلِكَ عِنْدَ إمامِهِم، الَّذِي اسْتَقْضَاهُم، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَإلـ"ـهُهُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ، أَ فَأمَرَهُمُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِالإِخْتِلاَفِ فَأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ! أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ! أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضى! أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ (صلّى الله عليه وآله)، عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؛ وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ، وَفِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَذَكَرَ أَنَّ الكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَنَّهُ لاَ اخْتِلافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)[1].

---

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ٥٤ .

ومن خطاب الإمام يتضح كيف تدخل السياسات والمصالح في توجيه المعرفة والقانون، واعادة صياغة الاحكام الشرعية، ومنهج فصل المنازعات بين الناس في ضوء امضاء الطبقة الحاكمة . وصار من الواضح، ان المعرفة الصافية والنظيفة، البعيدة عن التلوث بأمراض الواقع هي معرفة واهمة، وأن المعرفة لا بد أن يتسرب اليها شيء من الايديولوجيا السائدة في المجتمع ، وبذلك أضحت المعرفة نسبية، وأن عالم المعرفة و موضوعيته، صارت مرهونة للتوجهات السيسيولوجية ، والتوجهات الايديولوجية، وهي أسيرة إلى الجرعة المكتسبة من المحمول الإيديولوجي والاجتماعي، فكلما زادت هذه الجرعات تشوهت المعرفة، ومعها ابتعد الوعي عن الحقيقة، واقترب من الزيف، وأنتج المزيد الأوهام، الفيصل الضابط لهذه العملية هو العقل النقدي، الذي لابد أن يتحرر من المسبقات التي تأسره، وتبصره، بالتاريخ والزمان، وديناميات المصالح الاجتماعية .

(إنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً، وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ للهِ(صلّى الله عليه وآله وسلم)، عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ : رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلاَمِ، لاَ يَتَأَثَّمُ وَلاَ يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ(صلّى الله عليه وآله)،

مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلكِنَّهُمْ قَالُوا : صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) رَآهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ عَنِ الْـمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عليه السلام، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمُ الأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْـمُلُوكِ وَالدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَهذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ، وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ(صلّى الله عليه وآله)، شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، يَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، صلّى الله عليه وآله، فَلَوْ عَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذلِكَ لَرَفَضَهُ !، وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ يَعْلَم أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ، إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ، أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ، وَآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللهِ، وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ، خَوْفاً للهِ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللهِ، وَلَمْ يَهِمْ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ

عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، وَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ، وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، صلّى الله عليه وآله ، الْكَلاَمُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلاَمٌ خَاصٌّ، وَكَلاَمٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى اللهُ بِهِ، وَلاَ مَا عَنَى بِهِ رَسُولُ اللهِ(صلّى الله عليه وآله، فَيَحْمِلُهُ السَّامعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِه، وَلَيْس كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ، صلّى الله عليه وآله، مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ أَوْ الطَّارِىءُ، فَيَسأَلَهُ، عليه السلام، حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِي مِنْ ذلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ. فَهذِهِ وَجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلاَفِهِمْ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ)[1] .

في النص أعلاه ، الذي هو نص تأسيسي في علمي الحديث والاصول في عالم المعرفة الاسلامية ، يظهر حجم التداخل الكبير بين المعرفي والاجتماعي والنفسي ، وكيف تتلوث المعرفة العلمية الصحيحة بالتوجهات الشخصية والاجتماعية السائدة ، والرغبات والاشتباهات في التشخيص والاوهام في النقل ، وحب السيطرة والهيمنة والتطلع إلى

١ - نهج البلاغة، ج٢، ص : ١٨٨ .

المناصب من خلال استغلال الاحاديث المزورة والمعارف الدينية :(فَتَقرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمُ الأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْـمُلُوكِ وَالدُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ) .

ومن هنا، تأتي أهمية الالمام بالنظرية الاجتماعية، ومكتسبات البحث العقلي الاجتماعي في عملية تشكل جدلية للوعي، تكتسب بالخبرات، وتنمو بالتجارب المتجددة والمتراكمة ومن ثم يعاد تشكيل العقل الاجتماعي، في كل مرة كما الوعي باستمرار، وبذلك يفهم الدور المحوري للتفكير النقدي، وللخطاب الناقد، ويتجلى في التراث الروائي الكبير لمولانا الامام علي عليه السلام، وكيف يسهم باستمرار في اعادة هذا البناء والتشكيل في تاريخ المسلمين ، ولعل هذا من أسرار قوله عليه السلام لخصومه: (ليروني حيث يكرهون).

لقد أكتسب علم اجتماع المعرفة أهمية خاصة لدى المستشرقين، على مختلف أطيافهم، الاكاديمية منها، والسياسية، وذلك من أجل أعادة تشكيل الاسلام، وصناعة توجهات جديدة على نطاق واسع، من أجل الاطاحة بجميع التحديات التي يمكن أن تواجه الغرب، فيما يتعلق بمستقبل الكيان الصهيوني، أو السيطرة على الثروات في العالم الاسلامي، أو توجيه الجماعات التكفيرية بعد اختراقها، والسيطرة عليها، من خلال قيادات اسلامية الشكل، نحو الأهداف الغربية في ضرب خصومهم من الصين

والهند وروسيا كما ذكر ذلك برنار لويس، وذلك بسبب عدم وعي المجتمع العربي بشكل عام بتراث الامام علي عليه السلام في مجال الاهتمام بالمجتمع وقيادته نحو عظمة الاسلام الحقيقية .

(إنّ مؤسسات الاجتماع والثقافة التقليدية، وهما الأسرة والمدرسة، لم تعودا قادرتين وفق صيغ أدائهما الحالية على توفير الاستقرار المعرفي للمجتمع، والإيفاء بحاجات أفراده من القيم والرموز والمعايير والمرجعيات، التي أصبحت تصاغ خارج ، حدود الجغرافيا، والاجتماع، والثقافة الوطنية، وهذا ما رتب استحقاقات إضافية، تمس مكونات الهوية في الصميم، ولا تستطيع المؤسسات العربية التقليدية مواجهتها ما لم تتخل عن نظم عملها الموروثة وتتحرر من الذهنية الرقابية على الانتاج الرمزي لأنها لم تعد مجدية من جهة، ولأنها عاجزة عن إشباع حاجات الناس المعرفية والثقافية والجمالية والنقدية المتزايدة والقادرة على المنافسة والتمييز)[١].

أما فيما يتعلق بالبعد الاجتماعي للمعرفة في مجتمع الاسلام الاول، فمن الضروري التفكيك بين هذه المعرفة وما لا بسها من التداخلات الشخصية والاجتماعية والرغبات والاوهام والاكاذيب والايديولوجيا ، من خلال

١ - عبد الغني عماد، الهوية والمعرفة، المجتمع والدين، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠١٧.، ص : ٣٥٠ .

الإفادة من علم اجتماع المعرفة ، و المعرفة النقدية، فعلم الاجتماع المعرفي، هو العلم الذي يبحث في الابعاد الاجتماعية للحياة الإنسانية وتطلعاتها الخيرة أو الشريرة، وارتباطها بالعرفة، وقد بين الامام في أكثر من موقف كيف تكمن التوجهات النفسية والاجتماعية في صناعة المعرفة غير العلمية، وقد وجه خطاباً نقدياً، صارماً لهؤلاء الذين بنوا معرفتهم على أسس غير معرفية ولا علمية، بهدف الكسب الايديولوجي كما يسمى في معارف النظرية الاجتماعية الحديثة و المعاصرة، التي كشفت عن الاتجاهات والبنى المسبقة في توجهات البحث غير العلمي والذي يعتمد التضليل أو يخدم مصالح قوى محددة، والتي كشف عنها أيضاً، في ما يعرف اليوم ، بعلم اجتماع القانون، حيث تشرع القوانين في ضوء رؤية مذهبية وفلسفية ترتبط بمصالح الفئة الحاكمة وأذنابها :

(إِنَّ أَبْغَضَ الخَلائِقِ إِلَى اللهِ تعالى رَجُلانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلاَمِ بِدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلاَلَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هُدَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ. وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الأُمَّةِ، غَارٌّ فِي أَغْبَاشِ الفِتْنَةِ، عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً؛ وَلَيْسَ بِهِ. بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ، مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ، وَأَكْثَر مِن غَيْرِ طَائِلٍ، جَلَسَ

بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا التَبَسَ عَلَى غيْرِهِ. فَإِنْ نزَلَتْ بِهِ إِحْدَى المُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ العَنْكَبُوتِ: لاَ يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، إِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ. جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَلاتٍ، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعَضَّ عَلَى العِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ، يُذرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الهَشِيمَ، لا مَلِئٌ وَاللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، لاَ يَحْسَبُ العِلْمَ فِي شيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلاَ يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ منه مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وَتَعَجُّ مِنْهُ المَوَارِيثُ.) [١] .

وهكذا هو عمل علم اجتماع المعرفة والأفكار، إذ يساعدنا اليوم في اعادة قراءة الواقع الاجتماعي الذي يقف خلف تحريك الأحداث التي وقعت بعد رحيل الرسول الكريم (ص)، ومحاولات اعادة بناء المعرفة الاسلامية، من خلال اطلاق أحاديث عن النبي الكرم، مثل حديث : (لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد)[٢]، فهو حديث يخدم أغراض قريش في سلب السلطة عن الامام علي عليه السلام ولا أساس علمي له، كما تبين فيما بعد

١ - نهج البلاغة : ج١، ص : ٥٤

٢ - - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص : ١٨٩ .

ترشيح الإمام إلى الخلافة في ما يعرف بمجلس الشورى، فيكون هذا الحديث المزعوم قد أنتقض قطعاً .

من هنا، أمكن اضافة البحث في المعرفة، كفعل انساني، و التي أستند اليها النقد الاجتماعي، كجزء مترابط، وبذلك تكون دراسة المعرفة ضمن حدود السيسيولوجيا، مما يعني أن البحث لابد أن يجري في العوامل الاجتماعية والمعرفية معاً، بمعنى السعي لفهم العلاقة بين المعطيات الاجتماعية وابعادها المعرفية، حيث يكون النقد الاجتماعي من تجلياتها ومظاهرها، فلا يمكن التفكيك بين المعرفة وعمقها الاجتماعي وطريقة التفكير النقدية، إن التفكير النقدي في المجتمع، وما ينتج عنها من خطاب النقد الاجتماعي، يبقى ذو أهمية خاصة عند دراسة العمليات أو الفعاليات التي تمد الحراك الاجتماعي بالحيوية، وفي عملية إعادة البناء الاجتماعي، وهنا نكرر ما ذكرناه أكثر من مرة، أنه كانت تجري جهود كبيرة في مجتمع الاسلام الاول، أساسها قوة المجتمع والعلاقات الاجتماعية، والصلات السابقة من أجل أعادة تعريف الإسلام، والمعرفة الاسلامية، والثقافة الاسلامية، وبناء ذاكرة جديدة، وأنماط من التعاليم الجديدة، تسهم في تحقيق نمط جديد من الادماج الاجتماعي، يحقق لطبقة الطلقاء، حضوراً اجتماعياً، وموقع في البناء الاجتماعي الجديد على حساب غيرهم من المسلمين، الأوائل، مثل بني هاشم وجماعة الأنصار، فيما كان الإمام

يسعى بكل الوسائل المتاحة إلى كشف هذا النشاط الاجتماعي من خلال آليات النقد الاجتماعي، ومواجهة التحريف والتخويف و العنف .

لقد تم تناول هذا النمط من التفكير والخطاب في جميع مفاصل هذه الاهتمامات المنهجية والنظرية، على مستوى البناء الاجتماعي الوظيفي، كان يجري اعادة تعريف الاسلام ، ودور الطلقاء، والملتحقين الجدد، وعلى مستوى الصراع أو الجدلي ، كان يجري، وضع الطبقة الاولى من المسلمين في موقع الاستهداف بالصراع والاستنزاف اليومي، وبالتهديد والعنف والاغتيال، وعلى مستوى الفكر الاستراتيجي، وادارة الازمات، حصل اختراق كبيرة في المجتمع الاسلامي الاول، ومن ثم اعادة التموضع الكبرى، والتي أفضت إلى نتائج كارثية فيما بعد ، ،وإن لم تستطع هذه الكوارث من أنهاء التحولات الاسلامية من السير بالمجتمع بشكل عام نحو الارتقاء النسبي ، أو الوصول إلى الاجيال اللاحقة والأمم بشكل ناصع ومعبر عن رسالة الاسلام الاولى كما فهمها أهل البيت عليهم السلام، وأنصارهم من الاصحاب الكرام . .

المبحث الثاني

النقد الاجتماعي وقوى التغير المجتمعية

اتجاهات التغير وخيارات التحول

جاء الاسلام ليغير وجهة العرب من التوجهات الجاهلية، المدعومة بقوة القبيلة، وتحالفها الاجتماعي، في العقيدة، والأخلاق والسلوكيات، نحو عقيدة التوحيد، والايمان بالقرآن الكريم، ككتاب منزل من الله تعالى، والسير في ضوء ارشادات الرسول الكريم صلى الله عليه واله، في الاخلاق والعبادات والمعاملات، فآمن كثيرون بهذه الرسالة، وكفر أخرون، فيما استبطن عديد المنافقين الكفر في الخفاء، وأظهروا الايمان في العلانية والمجالس والمواقف، ، وإن كانت الفلتات القولية والسلوكية، تظهر بين الفينة والأخرى، لتكشف عن توجهاتهم الحقيقة، المخالفة لروح التحولات والتغير الذي جاء به الاسلام .

لقد شكل الوجود الاجتماعي لهذه الفئة، تحدياً كبيراً للإمام علي عليه السلام بعد رحيل الرسول الأكرم، وفجر الصراعات الاجتماعية الكبرى في تاريخ المسلمين، وكان عليه توجيه الخطاب النقدي باستمرار لهؤلاء، الذين لهم توجهاتهم الخاصة ومصالحهم في الهيمنة، والسلطة، والملكية داخل المجتمع المدني الجديد، مما يكسب الخطاب صفة النقد الاجتماعي بشكل عام، وذلك في ضوء الرؤية الكونية، والعقدية، والأخلاقية، والفقهية التي

جاء بها الإسلام، وكان على الامام أن يحافظ على هذه التحولات، والتوجهات الجديدة وحمايتها من الانحراف من خلال وسائل : التأويل، والتعتيم، والترهيب، والترغيب، المعتمدة من قبل الفئة الطامحة في كسب القوى الاجتماعية .

يتألف المجتمع، من عديد القوى التي تفكر كثيراً في نقد بعضها البعض، حيث يفكر كل طرف بالانتقاص من الطرف الأخر الخصم، وأعمال كل الوسائل من أجل أن يحافظ على امتيازاته ومكانته الاجتماعية ، والسياسية، والهيمنة الاقتصادية، بين القوى الأخرى، من هنا يشكل التفكير بالنقد الاجتماعي واستعمال هذا الخطاب كوسيلة أساسية في هذا المجال، الأمر الذي ينتج لنا نصوصاً ذات محتوى اجتماعي نقدي، ووظيفي، يعمل على تكريس اتجاه اجتماعي معين دون غيره، من خلال اضفاء التوصيفات الشرعية، والابعاد الضرورية على هذا الاتجاه، ويريد أن يكون هو الخيار الأساسي في التحولات المقبلة وعلى الجميع القبول به، ومن ثم اعطاء هذا الاتجاه الرمزية الكافية من خلال استحداث الرموز والمصطلحات المعبرة عنه، كمصدر للخلاص، ولا يجوز المساس بها اجتماعياً:

(يهدف النقد التوضيحي إلى توضيح معتقدات واهتمامات الناس، على أنها تعود جزئياً إلى المسببات البنيوية التي تؤثر على شكل حياتهم الاجتماعية، وتختلف عن بعضها وفقاً لمواقفهم ومواقعهم في الحياة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية التي

يتموضعون داخلها، إن أحد عناصر الشق الأخير هو أنه حيث يوجد عدم تماثل في السلطة، فانه يمكن لمعتقدات واهتمامات جماعات اجتماعية مسيطرة، والتي لا تتطابق مع مصالحهم أن يتم قبولها من قبل جماعات اجتماعية أخرى، لا تتطابق مصالحهم معها، على أنها جزء من مصلحة عامة متصورة، ربما كان الناس غير مدركين للأصول الاجتماعية لمعتقداتهم واهتماماتهم)[1].

هكذا، صار التناول للتفكير النقدي عند القوى والجماعات، موضع اهتمام جدي من قبل اصحاب النظرية الاجتماعية، وكذلك عند المحللين للخطاب النقدي الاجتماعي، لان في هذا الخطاب، يكمن محتوى الاتجاهات والخيارات المطلوبة في توجيه التحولات في المجتمع، الأمر الذي يعنينا في دراسة الخطاب النقدي عند الامام علي عليه السلام، وهو الخبير بهذه القوى والجماعات، منذ زمن النبي، وفي النزال عند حلبات الوغى وسوح القتال، وكيف باتت هذه القوى والجماعات تريد تحويل التغيرات التي جاء بها الاسلام لصالحها من خلال اعادة تعريف الاسلام نفسه وموقعها التشريعي داخل هذه المنظومة الفكرية المقدسة .

---

١ - إيزابيلا فيركلاو، نورمان فيركلاو، تحليل الخطاب السياسي، ترجمة : عبد الفتاح عمورة، دار فرقد، دمشق، ط١، ٢٠١٦، ص : ٢٢٢ .

كانت القبيلة، كقوة اجتماعية، عند جاء الاسلام، تشكل تحدياً كبيراً في تمسكها بتوجهاتها الراسخة، خاصة مع وجود عناصر قيادية مؤثرة فيها كما هو الحال مع قبيلة قريش، إذ استمر تأثير القبيلة في ضبط التوجهات الاجتماعية حتى بعد ظهور الاسلام :

(يذكر الطبري أن عمر بن الخطاب اختلى بابن عباس يوماً، فقال له : أتدري ما منع قومكم منكم ؟، يكرهون أن تجتمع فيكم الخلافة والنبوة، وهنا كانت خطورة الأيديولوجية القبلية ... اعتبر هشام شرابي أن الدينامية البارزة للبنية القبلية تكمن في العصبية وهذا منحى سلبي)[١] .

نعم، تحظى اتجاهات التغير والتحولات والقوى والجماعات الفاعلة في هذا التغير ، باهتمام الدراسات الاجتماعية، كموضوع متعدد الابعاد، فيما تتطور الدراسات الاجتماعية، ذاتها، باستمرار ، في ضوء التبدلات الاجتماعية في العالم، والكشوفات الجديدة، وهي تحاول اجتراح مفاهيم أو زوايا نظر جديدة لدراسة المجتمع، ولاسيما من أجل تكوين أنموذج ارشادي لفهم حركة المجتمع والتحولات الجارية فيه، ومن ثم الإفادة من هذا الأنموذج الجديد في التقويم، أو في السيطرة، أو التوجيه، أو الضبط، أو التغيير والاصلاح الاجتماعي، وصار من الواضح أن قضية التغير

١ - فايد العليوي، القبيلة، التكوين في سياق سياسي، المركز الثقافي للكتاب، بيروت، ط١، ٢٠١٨، ص : ١٢٥ .

الاجتماعي وديمومة التحولات، هي من القضايا المحورية التي يحرص التنظير السوسيولوجي على تناولها بالتحليل والتفسير والمتابعة الاستراتيجية في التنفيذ والتطبيق، والحيلولة دون وقوع الانحراف في المسيرة نحو الهدف :

(ذلك لأن التغير هو التفاعل القاعدة، وأن الثبات هو الاستثناء، الذي يعني موت للكائن، سواء الكائن العضوي، أو فوق العضوي، من هنا فالتغير يعبر عن استمرار الحياة، - فتبدو – الوحدة الاجتماعية الخاضعة للتغير أقل اكتمالا، ثم تتحول بالتطور إلى وضع أكثر اكتمالا، سواء كانت هذه الوحدة الاجتماعية، جماعة، أو طبقة اجتماعية، أو حتى مجتمعاً)[١].

لكن تبقى للنقد الاجتماعي خصوصية كبيرة في هذا التطور البحثي إذ يعدّ الكشف عن الترابط بين التفكير النقدي، خطاب النقد الاجتماعي، لدى قوى التغير وتفاعلاتها، وفهم هذه التفاعلات من خلال هذا الخطاب، ومن ثم مجمل التحولات الاجتماعية، من أهم المنظورات البحثية في الكشف عن الاتجاهات الداخلة في أسباب وعوامل النهوض والتقدم، وفاعلية هذه الأسباب في فترة ما بعد الحداثة، التي هي حصيلة نقد جذري متواصل لقوى الحداثة وهيمنتها الاجتماعية .

١- على ليلة، النظرية الاجتماعية، وقضايا المجتمع، الكتاب الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص : ١٥

من المهم في هذا المطلب التأكيد على أن التفكير النقدي الاجتماعي عند الإمام عليه السلام، قد جمع بين المنظورين، مراقبة التحولات واتجاهاتها من جانب، بغية الحفاظ على ديمومة هذه التحولات ، واستعمال الخطاب النقدي في مواجهة أعداء التحولات، أو المتخاذلين عن الركب في ابداء التعاون والمشاركة الفاعلة :

(فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلاَنٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَمِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّد - صلّى الله عليه وآله - فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلاَيَتِكُمُ الَّتِي، إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلاَئِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ)[١].

لقد تمكنت القبيلة من اعادة انتاج نفسها، وهذه القدرة قد تمت دراستها من قبل النظرية الاجتماعية المعاصرة، فهي ذات قوة مناسبة، وقدرة متواصلة على ادامة زخم وجودها، الاجتماعي، والتنافسي، واعادة صياغة التوجهات في المجتمع، والتخلص من التحديات التي تواجهها، من خلال

١ - نهج البلاغة : شرح محمد عبده، طبعة دمشق الاولى،ج١، ص : ٣٢

التكيف وانتهاز الفرص المتاحة، كما حصل مع قريش، وتزعزع وضعها الاجتماعي والاقتصادي، ومكانتها بين العرب بانتصار الاسلام النهائي بعد عملية فتح مكة:

(بات هذا القلق السياسي حافزاً لتكيف القبيلة مع الظروف السياسية، وبلورة ديناميكية اجتماعية لإعادة إنتاج القبيلة وضمان استمراريتها، وبالقدر الذي كانت فيه الأيديولوجية القبلية موغلة في التزمت، فقد كانت على درجة عالية من المرونة السياسية، بحيث سمحت لها بالانفتاح على كافة الخيارات السياسية لضمان بقائها، ولعل أبرز هذه الديناميكيات التي ساهمت في حيوية القبيلة، ديمقراطية الرئاسة)[١].

هكذا يلتقي، في النص الواحد، خطاب النقد الاجتماعي من جانب، وخطاب الضرورة في الحفاظ على التحولات والتغير في الاسلام من جانب أخر ، وهذا هو ما نعنيه بالمحتوى النقدي الاجتماعي في دراسة اتجاهات التغير وخيارات التحول .

وما قد يذكر، من قبل بعض الباحثين، من أن استراتيجية الإمام علي عليه السلام، في مواجهة القوى القبلية، والاجتماعية، المناهضة، أو المعارضة،

---

١ - فايد العليوي، القبيلة، التكوين في سياق سياسي، المركز الثقافي للكتاب، بيروت، ط١، ٢٠١٨، ص : ١٢٦ .

للتحولات التي جاء بها الاسلام، قائمة على أساس تزعم تيار الزهد لمواجهة التحولات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الاسلامي، فهو ناتج عن الخلط بين مكونات القوى الاجتماعية المتصارعة، ومحتوى الخطاب النقدي ، في تشريح تاريخ المعارضة في المجتمع الاسلامي المبكر ، الأمر الذي وقع في هذه الدراسة [١]، فالتفكير النقدي، وخطاب النقد، هو استراتيجية سابقة على جميع الممارسات التي حصلت، سواء على مستوى بناء التصورات الفكرية، أم على مستوى الممارسة النقدية في المجتمع ، وهذا هو الذي تسبب بالتفاف الفقراء، والزاهدين، والقوى المحرومة من الامتيازات، حول الإمام عليه السلام، وذلك بسبب طريقة التفكير النقدي، وبسبب الخطاب النقدي الاجتماعي، الذي عمل بشكل جدي على فضح القوى الأخرى، وكشف عن زيفها، وهي إذ تتهم الإمام بالتحريض، ضدها، وعليها، وتطلب الثأر، فمن هذا الباب .

من هنا، تكون هذه الزعامة لتيار الزّاهدين، إن وجدت أو صحت، فهي تحصيل حاصل، لأمور كثيرة ، تختص بالإمام وموقعه من الرسول، وطريقته في التفكير، ومن ثم في صناعة الخطاب النقدي الاجتماعي ، وليس استراتيجية، قائمة بذاتها، ومن ثم فهي نتيجة لاستراتيجية سابقة في العمل الديني والاجتماعي والسياسي :

---

[١] – ختام راهي مزهر، الإمام علي عليه السلام، وآفاق المعارضة، دار البصائر، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص : ٩٣ .

(قال عبدالله بن عبّاس (رحمه الله): دخلت على أَمير المؤمنين صلوات الله عليه بذي قار وهو يخصِف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمةَ لها!، قال : **والله لَهِيَ أَحَبُّ إِليَّ من إِمرتكم، إِلّا أَن أُقيم حقّاً، أَو أَدفع باطلا، إِنَّ اللهَ سُبحانَه بَعَثَ مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله، ولَيْس أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحلَّتَهُمْ، وبلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ صفَاتُهُمْ .. أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، مَا عَجَزْتُ، وَلاَ جَبُنْتُ، وَإِنَّ مَسِيرِي هذَا لَمِثْلِهَا، فَلأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ.**

مَالي وَلِقُرَيْش! وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَلأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ؛ وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ!)[١] .

يتضح من كلام الإمام في هذا النص ، أهمية تلك التحولات التي يحرص الإمام على استمرارها ، مثل ، الارتقاء بالأبعاد العلمية والاخلاقية في رسالة الاسلام، والتي تحقق المكانة اللائقة بكرامة الانسان ، من خلال العلم والكتابة ، فلاريب أن لتصورات الصحيحة في العقائد والعلم هي الأصل لكل الممارسات الصحيحة، كما ومن الضروري تحقق العدالة في القضاء

[١] - نهج البلاغة : ج١، ص : ٨١ .

الاجتماعية ورفع الظلم لأنه هدر للكرامة الإنسانية ، ومخالف لرسالة العلم والاهتمام بالإنسان .

الإمام (عليه السلام) ، لم يكن ضد مظاهر الرفاه، أو تحسن الاحوال المعيشية في المجتمع الاسلامي، وما يرافها من التحولات الاجتماعية والثقافية، فيما اذا كان التوزيع الاقتصادي للثروة قائم على أساس العدالة الاجتماعية التي جاء بها الاسلام، المشكلة تكمن في أن القوى الاجتماعية القبلية باتت تتكيف، للقبض على هذه التحولات الاقتصادية ومصادرتها ، وتجيير المنافع لصالحها من موقع السلطة والهيمنة باسم الاسلام، مما يشرع ظاهرة الظلم والفساد والاحتكار والطبقية في أساسيات القانون الاسلامي.

هذه المظاهر الاجتماعية الفاسدة ، هي من تجعل من مجمل التجربة الاسلامية غير صالحة للتسويق كدين، الهي قائم على العدل، والحفاظ على الكرامة الانسانية ، للناس، وللشعوب، والامم، والبلدان الأخرى، كمصدر للهداية، والتنوير، والبناء الفردي والاجتماعي، ورفع الظلم عن الانسانية، وإلا فان الامام ليس ضد مظاهر الكسب المشروع، والحصول على الثروة من مصادرها الصحيحة، بل هو من يدعو إلى ذلك، وقد ذم الزهد وأنتقد التقشف الناتج عن فيما إذا كان ناتجاً عن الضعف في الهمة، والضآلة في النفس، والتقاعس عن العمل .

قوى التغير وتفاعلاتها:

كيف تفاعل المسلمون مع كل هذه التحولات الاجتماعية التي جاء بها الاسلام، والتي كان ينبغي عليهم إيصالها إلى جميع إجزاء الجزيرة العربية والمجتمعات الأخرى من حولهم ؟ .

من الأمور النظرية في علم الاجتماع، هي دراسة الاوضاع الاجتماعية في ظل الحالات المختلفة من التفاعل الاجتماعي، ونسب المشاركة والتفاعل والحضور من قبل الجماهير في مواجهة القضايا العامة التي تواجه المجتمع، مثل قضايا الثورات أو الحروب، والتنمية الاقتصادية، والانتخابات والاصلاحات وغير ذلك من الاهتمامات الكبرى في المجتمعات القديمة والمعاصرة .

في زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، كانت جميع القوى الاجتماعية في المدينة المنورة، من المهاجرين والانصار، والحلفاء الآخرين، قد تفاعلت اجتماعياً وتآخت، في ضوء توجيهات النبي وقيادته الالهية، ولاريب أن تفاعل عديد القوى في ضوء هدف موحد، وقيادة موحدة، تقوم بتأكيد التآزر بين هذه الجماعات، يؤدي إلى نجاحات باهرة في مختلف المجالات، ويعمل على تحقيق التراكم في الإنجازات لصالح المجتمع، وامكانية تبليغ الرسالة الإسلامية للجماعات والأمم الأخرى، أو الدفاع عنها في مواجه الردة، من هنا يبرز

النقد الاجتماعي لحالة عدم التفاعل مع قضايا المجتمع كنمط أساسي من النقد الاجتماعي .

كانت احداث الردة التي حصلت هنا وهناك بعد رحيل الرسول الكريم ﷺ، تمثل خرق لحالة الوحدة الاجتماعية عند المسلمين، بل وتعمل على خلاف الاهداف والرؤى التي جاء بها الاسلام، الأمر الذي كان يستدعي من الجميع الالتفاف حول هدف القضاء على هذا التمرد، والابقاء على استمرارية التفاعل الايجابي في الأمة، من أجل انجاز الاهداف من خلال الوحدة، جاء موقف الإمام علي عليه السلام، من فرض البيعة عليه ونقده لهذا الفرض في ضوء التأكيد على ضرورة استمرار هذا التفاعل الذي لا غنى عنه في ديمومة المجتمع وصحته العامة :

(فلمَّا مَضى ﷺ، تنَازَعَ الْـمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَ اللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي روعِي، ولاَ يَخْطُرُ بِبَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، و لاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ !، فَمَا رَاعَنِي، إلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلاَنٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ، قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَمِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّد(صلّى الله عليه وآله) فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْـمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلاَيَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلاَئِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ

كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنهضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وزَهقَ، واطْمَأَنَّ الدِّينُ وتَنَهْنَه) [١].

وبعد حادثة مقتل عثمان بن عفان، تكرر هذا الموقف من الامام علي عليه السلام، أي ضرورة المشاركة، وإن كان بصيغة أخرى، فالأحداث التي عصفت بخلافة عثمان، فتحت المجال إمام معاوية الوالي على الشام، وجماعات المنافقين المنتشرة في جميع مفاصل الحكم والمجتمع ، للنيل من الاسلام وأهله، وكان الموقف الذي أعقب مقتل عثمان يستدعي المساهمة في انقاذ الوضع من الانهيار النهائي والكارثي للمجتمع جميعا، وما يترتب عليه من القضاء النهائي على الإسلام:

(فَمَا رَاعَنِي إلَّا وَالنَّاسُ إليَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطَافِي، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ . فَلَمَّا نَهضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَفَسَقَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ؛ بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَ وَعَوْهَا، وَلكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ

١- نهج البلاغة : شرح محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ج١، ص : ٣٦ .

بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لأَلقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، وَلأَلفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ.)[1].

وفي هذا السياق من النقد الاجتماعي، تأتي رسالة الإمام عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطُه الناسَ عن الخروج إليه لمّا ندبهم لحرب أصحاب الجمل، فهو مثال لقوى اجتماعية، اما أن تتوقف عن المشاركة في انتاج التفاعل الاجتماعي، أو أن هذه القوى قد تؤدي دورها، ولكن بما يتعارض مع أداء قوى أخرى، الأمر الذي ينتقص من أداء هذه القوى، فدورها أو إسهامها الذي تؤديه ليس قيمة مضافة، ولكنه قيمة منتقصة، الأمر الذي يؤدي إلى تقليص معدلات التغير الاجتماعي، فلا يندفع بالدرجة التي تتعادل أو تتوازى مع حاصل جمع اداء أو اسهامات القوى الاجتماعية الأخرى:

(أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْك، فإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُولِي فارْفَعْ ذَيْلَكَ، واشْدُدْ مِئْزَرَكَ، واخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَانْدُبْ مَنْ مَعَكَ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ. وَايْمُ اللهِ لَتُؤْتَيَنَّ حَيْثُ أَنْت، وَلاَ تُتركُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ،

[1] - نهج البلاغة : شرح محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ج١، ص : ٣٦ .

وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى الَّتِي تَرْجُو، وَلكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى، يُرْكَبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا. فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وَامْلِكْ أَمْرَكَ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلاَ فِي نَجَاةٍ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ، حَتَّى لاَ يُقَالَ: أَيْنَ فُلاَنٌ ؟ وَاللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ، وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ .)[1]

ولا ريب أن في كلام الامام عليه السلام، ونقده الاجتماعي، لحالة عدم التفاعل، من قبل القوى والجماعات في الأمة، مع تطورات الواقع، وبما ينسجم مع تحقيق أهداف التحولات التي جاء بها الاسلام، الكثير من الشواهد والنصوص، وذلك بالنظر إلى تفشي حالة التقاعس والسلبية وعدم الوعي بالأثار الكارثية لهذا الخمول والكسل ، التي كانت عليها الأكثرية في المجتمع، وغياب دورها في الدفاع الاهداف الاسلام في بناء المجتمع والتحولات الكبرى، وتفكك القوى والجماعات من حول الإمام عليه السلام، بما ينذر بحلول الكارثة عن قريب :

(اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ !، أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ،

---

١ - نهج البلاغة : شرح محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ج٣، ص : ١٢١ .

وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا إِلى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا اللِّقَاحَ أَوْلاَدَهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجا. لاَيُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ، وَلاَ يُعَزَّوْنَ عَنِ الْـمَوْتَى، مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وَجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ، أُولئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِ لَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ!، إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً، عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بَالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ ؛ فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِه، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعقِلوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ. أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هؤُلاَءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْس لاَِنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلكِنْ لاِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي. اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا. شُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَاب، أَتْلُوا عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ

الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا، تَرْجِعُونَ إِلى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ، عجزَ الـمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ الـمُقَوَّمُ. أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الـمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُم تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ!، يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلاَث وَاثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلاَمٍ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلاَءِ؛ تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ ، يَا أَشْبَاهَ الابِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ، وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى، وَحَمِيَ الضِّرَابُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ)[١] .

وكان الإمام يشخّص الحالة المقابلة لهذا التكاسل والخمول في التفاعل مع القضايا المصيرية، حيث يظهر النشاط والحيوية عند الكثيرين ويشتد تفاعلهم مع اعداء المجتمع، ومع اعداء التحولات والتغير الايجابي في المجتمع وضمان العدالة الاجتماعية ،بمعنى أن التغير اذا كان في غير صالحهم ولا يحقق لهم

---

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ١٨٧ .

المكاسب الشخصية، على حساب الأكثرية، فهي مكاسب بغير استحقاق، و الإمام علي عليه السلام كان مع التحولات التي تخدم الاسلام واهدافه الكبرى، كحالة ايجابية في التغير، وتقدم لجميع الإنسانية ، من هنا، وقف بصلابة في وجه الفساد والمفسدين في المجتمع، وعلى جميع المستويات والفئات ، وشخص بدقة سلوكيات المنافقين، ويذكر أنه قال للبرج بن مسهر الطائي _ وكان من الخوارج _ وقد قال من وراء الإمام بحيث يسمعه : لا حكم إلاَّ لله،:

(اسْكُتْ قَبَّحَكَ اللهُ يَا أَثْرَمُ، فَوَ اللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْـمَاعِزِ) [١].

كما شخّص الإمام النتائج والتداعيات الكارثية التي ترتبت على عدم التفاعل الاجتماعي، مع مسار التحولات وتطور الاحداث، ففي معركة صفين، كانت الخديعة التي انطلت على بعض القوى الفاعلة في المعركة ، التي تفاعلت مع هذه الخديعة ولم تتفاعل مع رأي الإمام، بضرورة المضي في القتال والمعركة، مما أسفر موقفها عن قبول الإمام عليه السلام بوقف القتال والهدنة ، ومن ثم التحكيم .

---

١ - نهج البلاغة، ج٢، ص : ١١٤ .

وبذلك صارت التحولات والمواقف بين الجبهتين، تسير نحو مزيد من تعقيد الموقف، والخسارة للتراكمات والانتصارات السابقة، مما حتم العودة إلى نقطة الصفر، وضرورة استئناف المعركة مع معاوية وجماعة أهل الشام، وكان ذلك نتيجة عدم الوعي عند بعض القوى أو التآمر من الداخل، في قراءة التحولات والتغيرات في الساحة، ومن ثم عدم التفاعل بشكل ايجابي مع هذه التطورات، وقد انتقد الإمام هذه المواقف المتفاعلة مع العدو أكثر من تفاعلها مع أهدافها:

(هذا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ ! أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِما أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْـمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ!، أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا !) [1].

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ٢٣٤ .

قوى التغير ومصادر قوتها:

في هذا المطلب نحاول أن نتلمس كلمات الإمام علي عليه السلام والنصوص النقدية التي قالها بحق القوى والجماعات التي لم تتفاعل مع التحولات التي قادها أو التي وقفت بشراسة في مواجهة الامام، وكانت تتلمس الشرعية لهذه المواجهة من هنا وهناك، وتجمع القدرات والامكانات من أجل تنفيذ مآربها، بعد الاطلاع على اتجاهات التغير، عند القوى الاجتماعية المختلفة، و بعد الاطلاع، أيضاً، على ضرورة التفاعل الاجتماعي بين القوى الاجتماعية من أجل تحقيق التغير المنشود وحماية التحولات وضمان استمرار هذا التفاعل ، صار لابد من دراسة القوى، صانعة التغير ذاتها، وهي الجماعات الضالعة بالعملية التفاعلية في الميدان ، أو التي تقود التحولات في المجتمع الاسلامي .

في زمن النبي الأكرم، كان هو صلى الله عليه وآله، هو من يقود عملية التغير الاجتماعية في ضوء التسديد الالهي، وكان يمارس النقد الاجتماعي سواء في مواجهة القوى الرافضة للرسالة، أم في تقويم الانحرافات الداخلية عند القوى الفاعلة في بناء المجتمع الجديد، من : المهاجرين والانصار وغيرهم ، وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية الشريفة التي توثق هذا النقد الذي جاء على لسان الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) .

بعد رحيل الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم ، صار الجميع يعتقد أنه هو العنصر الفاعل في تحقيق هذه التحولات، والإنجازات، والانتصارات، بل وتوضع الاحاديث على لسان النبي الكريم، لكي يصدق الناس بهذه الأدوار، وهذه المناقب، والخدمات، وذلك من أجل تحقيق المكاسب، والفوز بالمناصب، وجنيّ الغنائم، التي بدأت تتسع وتكثر مع توسع المجتمع الاسلامي، ومن أجل بناء مصادر القوة عند الجماعات المتنفذة، وكذلك لمزيد من الفرص المتاحة في الحصول على السلطة .

كانت القوى القبلية قد طورت من قدراتها على التكيف، والبقاء، والاستمرار، في الوجود، والملكية، أو السيادة على القبائل، وكذلك في مواجهة الاحداث الكبيرة والتاريخية في المراحل السابقة على الإسلام، وذلك عن طريق جملة من الآليات، وفي المقدمة منها صلة الدم التقليدية، ومن ثم التحالفات، في إطار المصالح، من أجل الوصول إلى السلطة، ولاسيما بعد أن توسع الحكم الاسلامي، وكأننا أمام حزب أو أتلاف سياسي واسع القوى، وليس امام قبيلة متخلفة في العادات والتقاليد، قد تمحورت حولها مجموعة من الافخاذ والأسر، وبذلك شكلت قوة تطمح في الوصول إلى السلطة، الملكية، وقيادة التجربة الاسلامية:

(أصبحت القبيلة مع هذه الديناميكيات، كما لو أنها حزب سياسي، فاعل على الساحة السياسية، يسعى للاستفراد بالسلطة، وبذلك استطاعت القبيلة الحفاظ معا على الأيديولوجية القبلية

الضيقة، والحيوية السياسية من خلال المرونة الاجتماعية، التي استطاعت تجاوز الأيديولوجية القبيلة عملياً مع تبنيها نظرياً في ظل ظروف جغرافية وسياسية وثقافية عسيرة)[١].

في المجتمع الإسلامي الاول، كانت مسألة وراثة كرسي أو قيادة النبي صلى الله عليه وآله، بشكل قانوني وشرعي، معترف به، تمثل مصدراً مهماً وكبيراً للقوة والشرعية في المجتمع الجديد، فهو موقع الرئاسة والسلطة على الأمة، والقيادة الاولى في البلاد ، والتدبير للتحولات والاصلاحات ومجمل العملية التغيرية في المجتمع الاسلامي، من موقع القداسة والانتساب للرسول وخلافته الكبرى، وكان لابد للدخول إلى هذا الموقع الرئاسي من طريق شرعي معترف به .

من هنا جاء عقد لقاء السقيفة، من قبل بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، نقطة تحول أساسية في المجتمع الإسلامي، وذلك لما أفضى اليه من منح امتياز السلطة والقيادة لأبي بكر، على يد جماعة محدودة ولا تمثل جميع المسلمين آنذاك، في ظروف أُستحضر فيها التهديد والوعيد والعنف الكامن والهجوم على بعض الجالسين، وسحقهم بالنعل والارجل، كما حصل لسعد بن عبادة، وحصل غيره من وجهاء الانصار، فيما غابت في هذا اللقاء، حقيقة الاجماع ، لعدم تواجد العديد من الاصحاب الفاعلين

---

[١] - فايد العليوي، القبيلة، التكوين في سياق سياسي، المركز الثقافي للكتاب، بيروت، ط١، ٢٠١٨، ص :١٢٦ .

في المراحل السابقة في قيادة المجتمع إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله، مما غيب الاجتماعي، والسياسي في هذا اللقاء .

وهو موقف يعدّ على جميع التقادير، مخالفاً بشكل صريح لوصايا الرسول الكريم والتوجيهات الكثيرة والتصريح تارة ، والتلميح أخرى ، بولاية الإمام علي على الأمة، ومن هنا، جاءت عديد النصوص النقدية، لهذا الاجتماع، ومنها النص الشهير بالخطبة الشقشقية لبيان هذا الانشقاق :

(فلمَّا مَضى، صلى الله عليه وآله ، تنَازَعَ الْـمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِه، فَو َالله مَا كَانَ يُلْقَى فِي روعِي، ولاَ يَخْطُرُ بِبَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ(صلّى الله عليه وآله) عَنْ أَهْلِ بَيْتِه، ولاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِه!، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلاَنٍ يُبَايِعُونَهُ،..... أَمَا وَالله لَقَدْ تَقَمَّصَها فُلانٌ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً ،وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الحَلْقِ شَجاً، أرى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِه، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فلان بَعْدَهُ. ثم تمثّل بقول الأعشى:

شَتّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا .... ويَوْمُ حَيّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا!، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ العِثَارُ فِيهَا، وَالإعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ، حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ؛ فَيَالِلّهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هذِهِ النَّظَائِرِ! لكِنَّنِي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ، نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللّهِ خَضْمَ الابِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ؛ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ)[1].

وفي هذا النص، يحدد الإمام علي عليه السلام، أهل البيت كقوة تستمد الشرعية في ممارسة الحكم والسلطة من سلطة وولاية الرسول الأعظم صلى

[1] - نهج البلاغة : شرح محمد عبده، طبعة دمشق الاولى،ج١، ص : ٣٢

الله عليه وآله، في مقابل القوى الأخرى، والتي تحدد عادة بقوة المهاجرين والأنصار .

وفي نص نقدي، اجتماعي آخر، يذكر الإمام أن قوة أهل البيت في المجتمع الإسلامي، هي بمثابة الثمرة، والتي هي الأساس في وجود الشجرة، _ والا فان الشجرة غير المثمرة ، هي شكل بلا مضمون أو محتوى _ ويكون الثمر فيها هو الضامن لأهمية الشجرة في محيطها الطبيعي :

(قالوا: لّما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة

رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا:

قالت: منّا أمير ومنكم أمير.

قال عليه السلام: فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسولَ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟.

قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟

فقال عليه السلام: لَوْ كَانَتِ الإمارةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ.

ثم قال: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟

قالوا: احتَجَّتْ بأنّها شجرةُ الرسولِ صلى الله عليه وآله.

فقال عليه السلام: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ) .

جماعة الأنصار كانت مصدر قوة كبرى في المدينة المنورة، للإسلام والمسلمين ومصدر قوتهم بعد الجماعة، هو الارض، فالمدينة المنورة هي موطنهم، لكن استسلامهم وهزيمتهم في يوم السقيفة، والخذلان للولي الشرعي للأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإعطائهم البيعة إلى المهاجرين، والمتمثل بالجناح القرشي عامة، ولأبي بكر خاصة، ومن ثم وصية أبي بكر لعمر بالخلافة من بعده، ومقتل العديد من الأنصار في ظروف غامضة، تدور حولها الشبهات والغمز واللمز ووضع القصص وانشاد الأشعار،كل هذه الأمور جعلت من هذه القوة الاجتماعية تتبدد في الواقع، وتفقد خصائصها الاجتماعية والتاريخية، إمام قوة الطلقاء، وأبناء الطلقاء، التي اجتاحت المدينة في هجرات متتالية ، وذلك بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، غير مسبوقة، وبما جعل من قوة الأنصار تتبدد ، ومن ثم بدأت بتحسس الخطأ التاريخي الذي وقعت فيه نتيجة هذا التسليم الاعمى لقوة قريش، والناتج عن الخوف التاريخي من عودة الانقسام الموروث عن الجاهلية كأوس وخزرج .

وكل هذه المعطيات وغيرها كانت مصدر لتفتح الوعي عند الأنصار، وإدراكهم لضرورة إرجاع الخلافة إلى الوصي الشرعي لرسول الله الأعظم صلى الله عليه وأله، وهذا ما حصل فعلاً بعد مقتل عثمان بن عفان، حيث كانت الفرصة سامحة امام الأنصار لاستعادة الوحدة والتلاحم الاجتماعي، واستعادة الدور المؤثر لها، وظهور هذا الأثر الاجتماعي في بيعة الإمام

علي عليه السلام، ومن ثم الإحساس بأن الخلافة قد عادت أليهم من جديد، من هنا قال الإمام :

(وَايْمُ اللهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوب اجْتَرَحُوهَا، لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْق مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَه مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِد، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِد، وَإِنِّي لأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ، مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ، وَمَا عَلَيَّ إِلاَّ الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ، عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ!) [1].

اما بالنسبة إلى القوة العربية الكبيرة وهي قريش، وفي الطليعة منهم قوة المهاجرين في المدينة، والتي استعانت بقوة الطلقاء كقوة رديفة لها في التمكن من السيطرة على السلطة في المدينة، فقد كان الإمام ينظر اليها كقوة موحدة، سواء قبل الإسلام، أو بعد الإسلام، كما في النصوص الآتية، وذلك بسبب موقف هذه القوة من التحولات الاجتماعية، فقد كانت تنظر إلى هذه التحولات، اما كخطر داهم، يشكل تهديداً لسلطتهم ومكانتهم الاجتماعية أو أن هذا التغير، هو مصدر لمكانة الجديدة وغير تقليدية في

[1] - نهج البلاغة، ج٢، ص : ٩٨ .

المجتمع، ومن ثم الإفادة، المعنوية والمادية من التحولات، فالكثير منهم، هم مع هذه التحولات بالقدر الذي تحقق هذه التحولات والتغير، المنافع ولاسيما في مجال الرئاسة الكبرى :

(فَدَعْ عَنْكَ قُرَيشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلاَلِ، وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي ......اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلى قُرَيْش وَمَنْ أَعَانَهُمْ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلاَ إنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَترُكَهُ.)[١].

وإزاء هذه المواقف الرافضة بشكل جذري لسلطة الإمام، كان على الإمام أن يبحث عن مصادر جديدة للقوة، وجيش من خارج المدينة يدعم بها التحولات الاجتماعية، نحو مجتمع اسلامي، سائر نحو التكامل الحقيقي، ويتمتع بالحرية، والارادة في هذه المسيرة نحو الكمال، ومن ثم مواجهة قوى الانحراف التي بدأت تبرز هنا وهناك بطريقة ممنهجة للقضاء على منجزات الاسلام الكبرى في التحولات والاصلاح والتغير، كان شعار الثأر لمقتل

[١] - نهج البلاغة، ج٢، ص : ٨٥ .

عثمان بن عفان، هو الأسلوب أو المنظور الاجتماعي الذي يجمع عديد القوى، ويمنحهم الشرعية في التحرك العسكري للقضاء على تجربة الإمام عليه السلام .

من هنا، كان لابد للإمام من الإفادة من الإمكانات الهائلة الموجودة في العراق، وذلك لمواجهة التحديات الجديدة، التي تريد أن تعصف بجميع التحولات الاسلامية والانجازات، ولكن الكوفة نفسها، لم تكن قد استوعبت بعد أهمية هذه التحولات، أو تشربت عقيدة الدفاع عن المجتمع الكلي وعن الاصلاح فيه :

(أيُّهَا النَّاسُ الْمجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، المخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلامُكُم يُوهِي الصُّمَّ الصِّلابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ. تَقُولُونَ فِي الَمجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ ! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلاَ اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ؛ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الَمطُولِ . لاَ يَمنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ، وَلاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلاَ بِالْجِدِّ؛ أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَىِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ! الْمَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بَالسَّهْمِ الأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ. أَصْبَحْتُ وَاللهِ لا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلاَ أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُم. مَا بَالُكُم؟ مَا

دَوَاؤُكُمْ؟، مَا طِبُّكُمْ؟ القَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقَوْلًا بَغَيْرِ عِلْمٍ! وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ!، وَطَمَعاً في غَيْرِ حَقٍّ!) [1].

لقد كتب الكثير في النظرية الاجتماعية الحديثة والمعاصرة، بشان حث المجتمع على المقاومة للاستغلال والتهديدات الوجودية، أو تعميق الوعي بما يتعرض له العمال في النظم الرأسمالية من الاستغلال في العمل، ومن هذا القبيل أعمال مدرسة فرانكفورت في النقد الاجتماعي، إذ ادرك وهؤلاء أن السبب في عدم حصول التغيرات المطلوبة في وجه الرأسمالية هو حالة الكسل والاحباط التي تسود المجتمع وعدم التحرك الجدي في مواجهة قوى الرأسمالية المدمرة، من هنا اعتمدت هذه المدرسة النقد الثقافي والفكري الجذري للواقع، من أجل تخطي حالة الركود، عن طريق اعادة بناء الثقافة والفكر أولاً، ومن ثم الانطلاق للتغير والاصلاح واعادة البناء، لكن هذه المدرسة ، ونتيجة عدم الانسجام في ما تقدمه من النقد والرؤى أو الحلول لمشكلات الواقع والبدائل ، تعاني هذه المدرسة النقدية كثيراً في عملية تحريك الواقع باتجاه عقلانية حقيقية تتجاوز عقلانية الحداثة الرأسمالية ، وذلك بسب من حالة الارتخاء في الوعي، والضمور في الارادة، والتبلد بالإحساس بوجود الخطر الوجودي والمتمثل بالليبرالية المتوحشة، وطريقتها في تفكيك المجتمعات، و الذي لا يبقي ولا يذر من مقومات القوة، لدى القوى التي يفترض أنها تضطلع بالعملية التغيرية والحفاظ على المجتمع ،

---

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ٧٤ .

ومن هنا تأتي أهمية الانسجام العقدي والاخلاقي والسلوكي في مدرسة الامام علي عليه السلام النقدية ، رغم التهتك الكبير في الواقع الاجتماعي :

(كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ، وَالثِّيَابُ الْمتَدَاعِيَةُ ! كُلَّما حِيصَتْ مِنْ جَانِب تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ، كُلَّما أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُل مِنْكُمْ بَابَهُ، وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا، الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ؛ وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِل، إِنَّكُمْ وَاللهِ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ، وَلكِنِّي واللهِ لاَ أَرى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي، أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ، وَأَتْعَس جُدُودَكُمْ ! لاَ تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، وَ لاَ تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبطَالِكُمُ الْحَقَّ!)[1] .

[1] - نهج البلاغة :ج١، ص : ١١٧ .

المبحث الثالث

خطاب النقد وأزمة النخب في المجتمع

تولي النظرية الاجتماعية المعاصرة، أهمية خاصة لشريحة النخب في المجتمع ، في خطوة أخرى تميزها عن النظرية الاجتماعية التقليدية، وذلك لفاعلية هذه الجماعة في صناعة الخطاب النقدي الاجتماعي، أو للأثر البين لهذا المكون الاجتماعي في عالم التحولات والتغيرات وإعادة البناء في المجتمعات ، وذلك من خلال قدرته على استعمال التفكير النقدي والخطاب النقدي في توجيه الوقائع والاحداث وصناعة المستقبل ، وقد تلجأ هذه النخب إلى الثورة أو العنف والمقاومة، بحسب الظروف أو التمرد والعصيان، عند إرادة التغير، أو عند قيادة عملية الاصلاح والتنمية في الفضاء الاجتماعي، ومن ثم فان لخطابها أهميةً كبرى عند دراسة فاعلية التفكير الناقد، وحالات النقد الاجتماعي :

(وترجع أهمية النخبة، إلى أنها التي تحدد عادة القضايا المحورية التي تستحق تعبئة المجتمع، ونظراً لأن السياق الاجتماعي والتاريخي ليس متجانساً بطبيعته، ولكنه يحتوى على سياقات متتابعة وأحياناً متباينة، فان لكل سياق قضاياه التي ينبغي السعي للتعامل معها، غير أن هناك رابطا قوياً يربط بينها جميعاً، يتمثل في كونها تقع في نطاق تاريخ واحد لمجتمع واحد، تتدفق أحداثه

وتفاعلاته وتتنوع نتيجة للتفاعل مع الواقع .... بهدف تأمين وجود المجتمع قوياً وفاعلاً)[١] .

ويبدو أن النخبة في المجتمع الاسلامي الاول، هي تلك الجماعة من أصحاب النبي في مكة والمؤمنين ، الأشداء، الأوائل، والتي برزت في عصر نزول الوحي والرسالة على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وفي طليعة هذه النخبة هم أهل البيت عليهم السلام، وكان الرسول الكريم يقدم هذه النخبة في مواجهة الاعداء، ويحمي بهم الاصحاب، فاستشهد حمزة، وجعفر، والحارث في أول هذا الطريق . :

(هُمْ مَوْضعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِه، وَمَوْئِلُ حُكْمِه، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِه، بِهِمْ أَقَامَ انْحِناءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه . ... لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (عليهم السلام)، مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ اليَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ، الآنَ إِذْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ).

١- على ليلة، النظرية الاجتماعية، وقضايا المجتمع، الكتاب الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠١٥. ص : ١٠٩.

ثم أن الإمام علي عليه السلام قد أشاد بالأصحاب بها كثيراً، وعدّهم الأصل والسبب في نجاح قيادة الرسول للتحولات والاصلاح والتغير، ومن المؤكد اليوم أن الصحابة الكرام ممن وقف إلى جانب الرسول الأعظم (ص)، هم الاباء المؤسسون للمجتمع الاسلامي، وهم موضع احترام وتقدير المسلمين جميعاً :

(أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا اللِّقَاحَ أَوْلاَدَهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً، زَحْفاً، وَصَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا. لاَ يُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ، وَلاَ يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى، مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ، أُولئِكَ إِخْوَاني الذَّاهِبُونَ، فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ، إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ!) [١].

ومما لاشك فيه، عبر تاريخ المجتمع العربي، ومن ثم الاسلامي، هي ظاهرة الاعتماد على التحالفات، والاستقواء بالعشيرة، والاعمام والاخوال في مواجهة الأعداء، ومشكلات الحياة، الاقتصادية والاجتماعية، في بيئة

[١] - نهج البلاغة، ج١، ص : ١٨٧ .

صحراوية، وصراعية، قاحلة، لا تجود بالثروات أو العيش الكريم بسهولة، مما الجأ الكثير من الناس إلى التعاطي مع العنف، والغزو، واللصوصية، والاحتيال في اشباع احتياجاتها .

وفي عراق ما قبل الإسلام ، كانت هنالك أزمة أخرى، وهي التحالف السري أو العلني، مع القوى الأجنبية عن الداخل المجتمعي، كما في التحالف مع ملوك الفرس، في سبيل الحصول على مزيد من المكاسب أو مصادر القوة، فظاهرة الاستقواء بالأجنبي، ظاهرة قديمة، في هذه المجتمعات، تحالف المناذرة مع الفرس، وتحالف الغساسنة مع الروم، ومن ثم الحصول على مواقع مميزة، اجتماعياً بين العرب، والقبائل، على حساب الأكثرية من الناس، وقد عانى الرسول الكريم من هذه الظاهرة عندما تحالفت قريش مع اليهود في السر والعلن من أجل الاستقواء على محاربة الرسالة والقضاء عليها لكنهم فشلوا في ذلك، وقد عمل الرسول الكريم على استبعاد اليهود من أجل الحد من هذه الظاهرة ، ظاهرة خبيثة ، كانت ولا زالت راسخة في اللاوعي عند سكان هذه البلاد .

وعندما جاء الإمام إلى العراق، أخذت هذه الظاهرة، ظاهرة الاستقواء بالخارج، بالبروز على شكل تحالفات سرية بين معاوية من جهة، وبين زعماء متنفذين في الوسط العراقي خاصة، وكان مروان بن الحكم وهو من الضالعين في هذا الاتجاه، منذ زمن عثمان بن عفان، يحاول الاقتراب من حكومة الإمام لأغراض شتى، ولاسيما بعد هزيمة طلحة والزبير في البصرة،

فجاء لتجديد البيعة مع الامام عليه السلام، فطرده الامام، وعرف بمستقبل هذا الشخص ، وبمستقبل الأمة في عهد أولاده ، وهو من علم الغيب الالهي، المنكشف عند الامام، بالتعليم الرباني:

(أَفلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ! لاَ حَاجَةَ لِي في بَيْعَتِه؛ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ، أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ، وَستَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ)[1].

ومن الظواهر السلبية عند هذه النخب المزيفة، والمنحرفة في سلوكياتها، هي اعتمادها خطاب النقد الاجتماعي القائم على الكذب، والاختلاق للأباطيل، والتزييف للحقائق، ومن شواهد ذلك ما يذكره الإمام عليه السلام من كذب أبن النابغة، وهو عمرو بن العاص، الذي لم ينج من سيف الإمام الا بإبراز عورته في ساحة المعركة ، فالتفت أمير المؤمنين عنه وتركه فريسة للخزي والعار يتندر بهذه المهزلة في دفع الردى الشعراء :

(عجباً لابْنِ النَّابِغَةِ !، يَزْعُمُ لأهل الشّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ : أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ ! لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَنَطَقَ آثِماً، أَمَا ـ وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ ـ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَسأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الإِلَّ ؛

---

[1] - نهج البلاغة، ج١، ص : ١٢٤ .

فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ، مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سُبَّتَهُ ، أَمَا واللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً) [١].

لقد خسر الامام عليه السلام، الكثير من القيادات النخبوية في الحروب التي خاضها في مواجهة عنف الجماعات الاجرامية المسلحة، مما اضعف موقف الامام كثيراً، في المواجهات اللاحقة، وفي السيطرة والتوجيه للمجتمع، إذ تمثل هذه القيادات اركان القيادة في المجتمع الاسلامي، ومع تزايد عدد النخب الاجرامية التي تتحالف مع معاوية، والجماعات المتمردة، للاستقواء على القيادات الأخرى، ومن ثم الفوز بالغنائم من السحت الحرام،، واشغال المناصب في الولايات، وسقوط الامصار بيدها، مثل اليمن ، ومصر، والحجاز، اصبحت حكومة الامام في معرض الخطر الحقيقي :

(مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ ـ وَهُمْ بِصِفِّينَ ـ أَلاَّ يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً! يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ ! قَدْ ـ وَاللهِ ـ لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ. أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ!

---

[١]- نهج البلاغة، ج١، ص : ١٤٧ .

أَيْنَ عَمَّارٌ ! وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ! وَأَيْنَ ذُوالشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ!، قال : ثمّ ضرب(عليه السلام)، بيده إلى لحيته، فأطال البكاء، ثمّ قال: أَوْهِ، عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوا.)[1].

إن فقدان النخب الرائدة في الاصلاح في المجتمع، ونقصان القامات الشامخة في فضاء الأخلاق، والعلم، والسلوك القدوة، من الاصحاب الأوائل، قد ترك فراغاً كبيراً في المسيرة الايمانية، فيما وفر ذلك الفراغ الاجتماعي الفرصة للطامعين والفاسدين من الطلقاء وابناء الطلقاء، وممن التحق بالمسيرة طمعاً في المال والجاه، والنفوذ والسلطة، أن يتشكلوا في مجموعات، ضاغطة، وعصابات متمردة، أنهكت الاسلام، ومهدت السبل لمزيد من الخراب الفكري، والثقافي، والتحريف، والانحراف:

(أَيْنَ خِيارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ! وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، والْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ! أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ، وَهَلْ

[1] - نهج البلاغة، ج٢ ، ص : ١٠٩ .

خُلِّفْتُمْ إلَّا فِي حُثَالَةٍ لاَ تَلْتَقِي بِذَمِّهِمْ الشَّفَتَانِ، اسْتِصغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ؟ فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلاَ مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ، أَفَبِهذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟، هَيْهَاتَ ! لاَ يُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلاَ تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إلَّا بِطَاعَتِهِ) [١].

ومع كل ذلك، تمكن الإمام عليه السلام من وضع الصراع الاجتماعي، المسلح، وغير المسلح، على طريق حفظ التحولات التي جاء بها الاسلام، من خلال مواجهة النخب بالنخب، نخب الفساد، بنخب الصلاح، ووضع القوة في قبال القوة، والنقد من موقع المصالح ، بالنقد من موقع الاباء والمبادئ، وصولة الباطل بدولة الحق، وكل ذلك من خلال ثقافة النقد، وتفعيل التفكير بالنقد، وبالخطاب النقدي الاجتماعي .

نقل الصراع والنقد في فضاء المجتمع الاسلامي، من مرحلة الصراع النخبوي، والشخصي على الكرسي والسلطة، مع الخلفاء، ومن مرحلة الصراع الفئوي، كما يتصور البعض بين أسرة الإمام عليه السلام، والأسرة الأموية، إلى افق أوسع، حيث نقل الصراع التاريخي ، وذلك من خلال

[١] - نهج البلاغة، ج٢، ص : ١٢ .

الفعل الاجتماعي الواعي، الذي تقوده النخب، إلى صراع كتلة العراق ونخبها، في واجهة كتلة الشام ونخبها .

صراع تقف فيه الكتل الاجتماعية الكبرى، والنخب القيادية، وجهاً لوجه، ينتقد بعضها بعضاً، ويحارب بعضها بعضا، فينتعش خطاب النقد عبر التاريخ، وتبقى النصوص القرآنية، والنبوية الشريفة، مرجعية كبرى للفكر وللسلوك، ويجري تقويم الاشخاص، باستمرار في ضوء حدود الالتزام بالإسلام، وحفظ حدود القرآن الكريم، وتعاليم الرسول الكريم (ص)، كنتيجة لهذا الصراع الكتلوي الذي انتهى في الأخير، وكما أوعد الإمام بنهاية الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية وليبدأ فصل جديد من استحضار خطاب الامام عليه السلام في قراءة الشأن العام من خلال هذا الخطاب الناقد، وطريقته في التفكير بالمجتمع .

المبحث الرابع

خطاب النقد والمسؤولية الاجتماعية

(حدود المشاركة والتفاعل الايجابي)

القيادة والمسؤولية :

ينطلق التفكير النقدي الاجتماعي، والنظرية الاجتماعية، عند الاهتمام بقضايا المجتمع والبحث فيها، أو التنظير لها من موقع القيادة والشعور بالمسؤولية الاجتماعية، وأثر القيادة في الدفاع عن قيم المجتمع، وفي مكافحة الانحرافات الاجتماعية، والآفات، وشجب العلاقات المتعسفة ومظاهر الجور والظلم . وقد تحدثنا في المباحث السابقة عن القوى التي أسهمت في التغير، والتحولات في المجتمع الاسلامي المبكر ، ومن ثم الانقسام الذي حصل بسبب عدم وحدة هذه القوى في اختياراتها بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أو المساهمة الحقيقية في ديمومة هذه التحولات، وبروز الاطماع الشخصية، هنا وهناك، وكيف كانت هذه القوى تبحث عن مصادر القوة، والامكانات، وتصطنع الشرعيات الدينية، واعطاء التأويلات، في تبرير حركتها في كسب الجماهير، والاستحواذ على السلطة، في إطار من المنافسة بغير استحقاق، أو استيفاء للشروط الاجتماعية في تولي

المناصب الكبرى في النظام الاسلامي، ولا من موقع استشعار المسؤولية ازاء الواقع الاجتماعي :

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَان، وَلاَ الْتِمَاسَ شَيء مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلكِنْ لِنَرِدَ الْـمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ، فَيَأْمَنَ الْـمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْـمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ، اللَّهُمْ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) بِالصَّلاَةِ، وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالمَغَانِمِ وَالأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْـمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلاَ الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلاَ الحَائِفُ لِلدُّوَلِ، فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلاَ الْـمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ المَقَاطِعِ، وَلاَ الْـمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ) [١].

وصول العناصر غير الكفؤة، إلى مواقع القيادة، قد أسفر عن أزمات كبيرة في المجتمع اسلامي، وحروب أهلية، بسبب توجهات هذه النخب القيادية والأزمات التي أثيرت بِشأن وراثة السلطة ولم تلتفت إلى أصل مهمتها

[١] - نهج البلاغة : ج٢، ص : ١٤ .

ومسؤوليتها في الحفاظ على روح الاسلام الانسانية، وأنه جاء رحمة للعالمين، ومن ثم ضرورة تقديم الاسلام للأمم الأخرى، كدين للرحمة والكمال على جميع المستويات الفردية والاجتماعية، وصار دين الله يقدم من خلال تأويلات الطلقاء وأبناء الطلقاء .

من هنا صارت المسؤولية الجديدة في عهدة الإمام علي عليه السلام بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وأله، هي الحفاظ على تأويل الرسالة و الدين من تحريفات المزورين، ومن تأويلات المنافقين، كما كانت هذه المسؤولية قائمة منذ البداية على تبليغ الرسالة، وهذه هي مسؤولية المجتمع جميعاً، من خلال الوقوف إلى جانب الإمام عليه السلام، ومؤازرته في السلم والحرب، من هنا جاء هذا المبحث لدراسة جانب من النقد الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام، والذي يستهدف بعث الشعور بالمسؤولية في مجتمع استلمه عند الوصول إلى السلطة وهو خائر القوى، وفي غاية الاحباط، تسيطر عليه القوى المتطرفة بالعنف، والتهديد، والتآمر والطمع في المناصب والولايات، فيما الإمام يريد أنصاف المظلوم ونصرة، المستضعف :

(لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لاِنْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُوني عَلى

أَنْفُسِكُمْ، وَأَيْمُ اللهِ لأُنْصِفَنَّ الْـمَظْلُومَ، وَلأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً) [١] .

المواطنة والمسؤولية الجماعية :

الرسول الأعظم ﷺ هو من أسس لهذا المنهج، منهج المواطنة واستشعار المسؤولية الجماعية في المجتمع الاسلامي بعد أن تلقى رسالة السماء، وكان لابد للإمام من السير على ذات الطريق الذي رسمه الرسول الكريم (ص)، والقائد الذي على يديه الكريمتين، تم انقاذ الأمة من الضلال الفكري، والعماء الوجودي، والفساد الاجتماعي، فاخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومع حصول الفراغ في السلطة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، كان من المستحيل أن يلوذ الإمام بالفرار من تحمل المسؤولية الكبرى في قيادة المجتمع ، وتوفير الضمانات المطلوبة لسلامة الاهالي ، ومنع بطش الظالمين ، وتوفير استقرار البلاد ، حيث وضع الثوار الامام في هذا الموقف التاريخي ، من ضرورة الحفاظ على المجتمع ، ومؤسسة الدولة الفتية ، وكان لابد من مواجهة التحديات الجديدة ، وهي تتطلب في المقام الاول، مواجهة العنف الذي سيقدم عليه معاوية في الشام :

(فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الابِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضُهُمْ

---

[١] - نهج البلاغة، ج٢، ص : ١٩ .

قَاتِلُ بَعْضِ لَدَيَّ، ..... . وَقَدْ قلَّبْتُ هذَا الأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعنِي إِلاَّ قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ(صلّى الله عليه وآله)، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ.) [١].

يتوجه النقد الاجتماعي باستمرار إلى أولئك الأنانين الذين لا يتقاسمون مع الآخرين الاهتمام بالمجتمع، وتوفير احتياجاته، وحل مشكلاته، وتخليص الناس من المعاناة أو لا يقبلون بمبدأ التعاون في الحياة والعيش المشترك، و المساهمة في اعمال الخير العام والحفاظ على المصلحة المشركة، ودرء الاخطار عن الجميع ولاسيما في مجال التهديدات القادمة من الاعداء الداخليين أو الخارجيين، ومن ثم يتسبب هذا الموقف اللاإنساني، وغير المسؤول ، في انعدام الضمانات الاجتماعية، التي يجب توافرها في المجتمع عند ارادة العيش الكريم والانساني للجميع، أو الحفاظ على الاستقرار والأمن الاجتماعي أو توفير قوة الردع والتكافل الاجتماعي، والحفاظ على الممتلكات والارض .

(أَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْر، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْل، وَعَلَى ابْتِلاَئِي بِكُم أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ

---

١ - نهج البلاغة : شرح محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ج١، ص : ١٠١ .

لَمْ تُجِبْ، إنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ، وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إمَام طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِبْتُمْ إلَى مُشَاقَّة نَكَصْتُمْ ، لاَ أَبَا لغَيْرِكُمْ ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ! الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ! فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنا لِصُحْبَتِكُمْ قَال، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِير. للهِ أَنْتُمْ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ! وَلاَ مَحْمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ ! أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَة وَلاَ عَطَاء، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ ـ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الإِسْلاَمِ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ ـ إلَى الْمَعُونَةِ أَو طَائِفَة مِنَ الْعَطَاءِ، فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ! إِنَّهُ لاَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضىً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلاَ سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَق إِلَيَّ الْمَوْتُ! قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ، لَوْ كَانَ الأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ! وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ!) [1].

من خلال النص أعلاه يتبين، كيف كان الإمام يحرك قوى التفكير بالمجتمع، وذلك من خلال النقد الاجتماعي، الذي يطال الجميع، ليحرك الدوافع في التفكير من أجل استشعار المسؤولية، ونقد الانانية، وشجب التواكل والاستخفاف بإداء الواجب، في تحقيق العدالة الاجتماعية، والقائمة على

[1] - نهج البلاغة، ج٢، ص : ١٠١

أساس شجب الظلم، وعدم السكوت على السلطات المتجبرة، أو السكوت عما يحصل للمظلومين، والمحرومين في المجتمع من الاستبعاد الاجتماعي ومصادرة الحقوق وانتهاكها :

(أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، وَلأَلفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز.) [1].

ومع وصول الإمام إلى السلطة كان قد تراجع دور المؤمنين كثيراً في حماية المجتمع، وما حصل لأبي ذر الغفاري من الطرد والتهميش والموت في الصحراء، شاهد على ذلك، ولم يعد للمجتمع أي وازع أو تقليد محرك نحو المواطنة، لا أخلاقي، ولا ديني، ولا حسّي، وجودي، مما يتطلب اعادة النظر في طريقة تفكير هؤلاء الناس، وهذا ما توصل اليه بعض المشتغلين بالنظرية الاجتماعية النقدية :

(كيف يمكن أن نفجر ونعيد تنظيم المجتمع الجماهيري الحديث، بحيث نبلغ حرية رأي حقيقية، خلافاً عقلانياً بين آراء مختلفة، وبالتالي ننتهي إلى مشاركة مسؤولة لكل واحد في المسائل

[1] - نهج البلاغة : شرح محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ج١، ص : ٣٦

العمومية ؟. فلا العادات ولا التقاليد ولا الأخلاق ولا حتى الضرورة الحتمية المتمثلة في الواجب : تضمن المشاركة المسؤولة، إن ما يضمن المواطنة الصالحة .....شيء واحد هو القدرة على التفكير، النشاط الوحيد الذي يناسب هذه الافتراضات الأخلاقية، ويتحقق من صحتها هو التفكير)[١].

ومثلما كان الإمام عليه السلام يستشعر المسؤولية أزاء ضرورة تحقيق الاهداف التي جاء بها الاسلام في بناء المجتمع، وبناء الأفراد، كان يستشعر المسؤولية في تطبيق الوسائل أيضا، الموصلة إلى هذه الاهداف المقدسة للرسالة الاسلامية والمجتمع .

فمثلما كان يستهدف المحافظة على رسالة الاسلام نفسه من التلاعب والتشويه، الذي تصبو اليه القيادات الفاسدة، من دهاة العرب في الوصول إلى الاهداف عن طريق المكر والخديعة والخيانة للحلفاء والأعداء على حد سواء ، والوقوف بوجه التوجهات القبلية في اعادة تكيف وضعها الاجتماعي، كان عليه السلام يستشعر المسؤولية في مجال استعمال الوسائل، والطرق في المعالجة للمشكلات، والوصول إلى الأهداف، فلم يكن يسمح باستعمال الوسائل الفاجرة، والغادرة :

---

[١] – مليكة بن دودة، فلسفة السياسة عند حنة آرنت، منشورات الاختلاف، لبنان، ط١، ٢٠١٥، ص : ١١٢ .

(وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْـمَكِيدَةِ، وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ)[١].

التدرج الاجتماعي :

وجود التدرج الاجتماعي غير الشرعي، أو غير القانوني،، والتأصيل لعدم المساواة، هو مصدر مهم للأفكار العنصرية والممارسات الاقصائية في المجتمع، بل ومصدر الثورات وأشكال التمرد، و الحروب الاهلية بين أبناء الشعب الواحد، أو الشعوب المختلفة في البلدان المتجاورة والمتباعدة، من هنا حظي هذا الموضوع بالنقد الاجتماعي منذ بداية الثورة الصناعية وظهور الفكر الجدلي والاشتراكي، ثم تم التنظير له كوظيفة من وظائف الرأسمالية في التطور، من قبل المدرسة التايلورية في الادارة والانتاج :

(تداول الفكر الإنساني، على مدى العصور، ثم العلم الإنساني والاجتماعي في العصور الحديثة قيمة المساواة وأهميتها، وحلمت الشعوب بالعدل الاجتماعي، وأدخلت ذلك في مذاهبها ورؤاها الطوباوية، ثم في فلسفتها ونظمها الدينية والأخلاقية والقانونية، وما زالت

١ - نهج البلاغة : ج٢، ص : ١٨١ .

المساواة، وما زال العدل بعيدين عن الواقع وعن الناس، لكن العلم الاجتماعي المعاصر، وضع أيدينا على معنى ملموس للعدل ومؤشر صادق للمساواة، هي اندماج الناس في مجتمعهم ... و اللا مساوة هي الاستبعاد او الحرمان او الاقصاء عن هذه المشاركة)[١].

ولكن مع علم الاجتماع المعاصر، وأفكار ما بعد الحداثة، وما بعد الاستعمار، وظهور الفلسفة النسوية،في رفض الاقصاء والتهميش أخذ هذا الموضوع أبعاداً أوسع في الفكر الإنساني، فيما كان الإمام قد أسس لهذه المساواة في وقت مبكر من التاريخ الاسلامي، رافضاً النماذج التي تقوم على أساس عدم المساواة والتفضيل، ومنها التفضيل على أساس الاسبقية في الدخول في الاسلام، في خطاب نقدي، لم يعرف التاريخ الانساني له نظيراً في تثبيت هذه المساواة:

(أيما رجل من المهاجرين و الأنصار من أصحاب رسول الله ص يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا عند الله و ثوابه و أجره على الله و أيما رجل استجاب لله و للرسول فصدق ملتنا و دخل في ديننا و استقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام و حدوده، فأنتم

١ - جون هيلز، وجوليان لوغران، الاستبعاد الاجتماعي، ترجمة : محمد الجوهري، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ٢٠٠٧، ص : ٩ .

عباد الله و المال مال الله يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد و للمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء و أفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً و لا ثواباً، و ما عند الله خير للأبرار) [١].

وفي ضوء هذه الرؤية، رفض أمير المؤمنين عليه السلام، جميع الاقتراحات التي تقدم بها اصحاب مبدأ عدم المساواة في العطاء، الذي تأسس في زمن الخليفة الثاني، وتطور في زمن الخليفة الثالث إلى حالة من الفساد الاداري والمالي واسع النطاق :

(أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ لاَ أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْـمَالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْـمَالُ مَالُ اللهِ)[٢] .

وكان الإمام يجعل من نفسه القدوة والمثال في هذا الباب، من عدم التقدم أو التفضيل لنفسه على أفراد المجتمع، وبذلك يؤسس بشكل عملي للرؤية الاسلامية والقرآنية التي أسس لها الانبياء في عديد المجتمعات على الارض من قبل :

---

١ – اتمام نهج البلاغة، تقديم حسن عصفور، دار التفسير، قم، ط١، ص : ٣١٦ .

٢ – نهج البلاغة : ج٢، ص : ١٠ .

(وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى،، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ .... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ،

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ)[١].

أهتمت النظرية الاجتماعية المعاصرة، بموضوع التدرج الاجتماعي من خلال البحث بمظاهر الاستبعاد الاجتماعي، فدرست توزيع الدخل، ومظاهر الفقر، والحرمان في المجتمع، ونوع الاحياء السكنية، وغياب دور الدولة في الرعاية الاجتماعية، وعدم المساواة في النظام التعليمي، وكذلك حصر المشاركة في ادارة السلطة في نخبة معينة، من الأغنياء، وهذا ما رفضه الإمام علي عليه السلام بعد الوصول إلى السلطة كما هو معروف من سياسته في

---

١ – نهج البلاغة : ج٣، ص : ٧٢ .

رفض تولية طلحة والزبير ومعاوية بن ابي سفيان، ثم اقالة جميع العمال على الامصار، ممن تم تعينهم من قبل عثمان ، ومن هنا اسقط بعضهم الأفكار التي جاءت بها النظم الاجتماعية الحديثة ، مثل النظام الليبرالي ، على تجربة المسلمين، في الحكم ودافع عن نظام عثمان من خلال رؤية ترى ضرورة تقدم النظام الليبرالي على الاشتراكي :

(إن علياً كان يمثل، بقرابته للنبي، وأبوته لسبطيه وإسلامه المبكر، وجهاده الملحمي، التيار الإسلامي المحض، الذي يحتل فيه الدين المكانة الاولى، هذا التيار الذي اصبح لا يجبذه الكثير من المسلمين، بمن فيهم كبار الصحابة ممن تكدست لديهم ثروات ضخمة، بفضل السياسة الليبرالية التي اتبعها عثمان في الأعمال التجارية .... ولذلك فان الاجتماع التقليدي على بيعة علي لا يمكن أن يحصل حتى وإن لم يقتل عثمان)[1].

الحرب على الفساد الاداري :

موضوع الفساد الاداري في مؤسسات الدولة، والذي يقضي بطبيعته على التنمية الاقتصادية والاجتماعية النظيفة، ويخلق الاحباط في الاوساط المجتمعية، من اهتمامات النظرية الاجتماعية المعاصرة، حيث تسعى هذه النظرية إلى تقديم مجموعة من النماذج المفسرة لظهور هذه الآفة في

١ - حياة عمامو، الصراع على السلطة، وهاجس الشرعية في الاسلام المبكر، دار ومكتبة بيبليون ، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص : ١٣٤ .

المجتمعات، وبذلك تعتمد على خطابات النقد الاجتماعي والثقافي في البحوث المعاصرة، من أجل الوصول إلى الاسباب الحقيقية، والديناميات التي تفرز هذه الظواهر والتحديات، ففي هذه النصوص والكلمات، التي تصدر هنا وهناك في الشجب والاستنكار تكمن حقيقة وأسباب ومظاهر هذا الفساد :

(أي عذر للنخبة المثقفة من أدباء وشعراء ومفكرين في سكوتهم أو عدم المبادرة في اتخاذ المواقف المسؤولة بوجه الفساد وصناع الفساد، حتى لا يكون لأحد منهم شاغل سوى هذا الواجب، ولا دافع للنطق بكلمة واحدة والمجتمع تأكله جرثومة الفساد وتنخر ....)[1] .

وفي المجتمع الاسلامي الاول، كانت رواسب الجاهلية في أوجها، في التأثير في هذا المجتمع، وفي المقدمة منها، الروح العصبية، والتطلع إلى الغنيمة، والحصول على الصيد المغفل، والرشوة في العلاقات الاجتماعية، وغير ذلك من مظاهر الفساد في الحياة الاجتماعية، وقد واجه القرآن الكريم هذه المظاهر بكل قوة، وكذلك النبي الأكرم ﷺ، وأكمل الإمام علي عليه السلام هذا المشوار في مواجهة جاهليات العرب، وتصوراتهم الخاطئة عن حرية الحاكم في التصرف بأموال الناس وقضاياهم:

١ - حسين علي الاعرجي، ثقافة النزاهة في نهج البلاغة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١ . ص ٧٢ .

(وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى استْماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبرَ الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ، مُفَارِقاً طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً ؟! وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا ؛ كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي! أَمُخْتَبِطٌ أَمْ ذُوجِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ! وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ،

وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا، مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَى) [1].

ومن المؤسف، حتى يوم الناس هذا، يوجد هنالك من الباحثين، ولعله بحكم تأثير الطائفية، من يتستر على مظاهر الفساد، أو يبرر هذا الفساد، في الدولة الاسلامية على عهد الخلفاء، الثلاثة، الاوائل، ولاسيما في عهد عثمان : (أغلب ما رمته به قوى المعارضة، كان مجرد توهمات وأباطيل لا أساس لها من الصحة) [2].

لقد ترك لنا الإمام أمير المؤمنين، مجموعة من النصوص، في مجال فضح الفساد والفاسدين في المجتمع الاسلامي، الاول، لا نظير لها في الادبيات الانسانية جميعاً :

(يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ابْتَعْتَ هذهِ

---

١ - نهج البلاغة، ج٢، ص : ٢١٧ .

٢ - محمد جبرون، مفهوم الدولة الاسلامية، أزمة الاسس وحتمية الحداثة، المركز العربي للأبحاث والسياسات، بيروت، ط٢، ٢٠١٥، ص : ١٣١ .

الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ) [١].

وكانت الرؤية واضحة عند الإمام عن مستقبل المجتمع في ظل سيادة الروح الجاهلية، والعصبية القبلية على حساب تعالم الاسلام في الدفاع عن القيم، ومظاهر النزاهة في المجتمع، ففي غياب هذه القيم، ينعدم الضامن الاجتماعي، فيتمكن اصحاب التحالفات القوية من السيطرة، والهيمنة على الجميع بما يعمل على تدمير المجتمع بالكامل :

(وَاللهِ لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا لله مُحَرَّماً إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ، وَلاَ عَقْداً إِلاَّ حَلُّوهُ، حَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَر وَلاَ وَبَر إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ : بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ) [٢].

لقد كافح الإمام الفساد في جميع أشكاله، وهذا من النصوص الخالدة في هذا المجال، وهو أنموذج في خطاب النقد الاجتماعي، يؤكد أهمية البعد العائلي في بروز مظاهر الفساد داخل بيوتات السلطة والحكم، فسكوت الحاكم على فساد ذويه هو بداية كارثية في جميع انحاء البلاد:

---

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ٤ .

٢ - نهج البلاغة، ج ١، ص : ١٩٠ .

(أَيُّهَا الْـمَعْدُودُ ـ كَانَ ـ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الأَلْبَابَ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْـمَسَاكِينِ وَالْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هذِهِ الأَمْوَالَ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هذِهِ الْبِلاَدَ!، فَاتَّقِ اللهَ، وَارْدُدْ إِلَى هؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ!، وَ وَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا)[١] .

---

[١] - نهج البلاغة، ج٣، ص : ٦٦ .

المبحث الخامس

التماسك الاجتماعي والتوافقات

رغم الجهود الكبيرة التي بذلها الإمام علي عليه السلام، من أجل الحفاظ على تماسك المجتمع الاسلامي، ووحدته، إلا أن حجم الانشقاقات التي قادتها النخب الفاعلة في المجتمع، كان في تزايد باستمرار، مما أسفر كما رأينا في مقتل الخليفة الثاني، بسبب قراره المعلن في اعادة النظر في توزيع الأموال مع بداية العام الجديد ، ولم تترك هذه الانقسامات مجالاً لتأثير هذه الجهود في بقاء الإمة متماسكة في ظل قيادة الإمام علي عليه السلام، بعد وصوله للسلطة، ومع اندلاع الحروب عليه، سقطت أكثر الامصار الاسلامية بيد قادة معاوية والنخب التي احاطت به من أمثال عمرو بن العاص، وآخرين من أهل النفاق .

كانت هذه النخب تسعى بشكل دؤوب لتفعيل قدراتها لمواجهة الإمام، وهي قدرات مستندة إلى ترسبات الجاهلية، والتوجهات العشائرية في الطاعة، والانقياد، وعدم تحسس المسؤولية في ضرورة خدمة الاسلام، والحفاظ على تعاليمه، وسننه بالشكل النقي في ضوء حضور الإمام ، والخليفة الشرعي ، والمفترض الطاعة .

(وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيهِ، وَلاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ، وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ( ) بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ، لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ!) [1].

كان الإمام يعرف جيداً ماذا يعني وصول الأموين إلى السلطة بقيادة معاوية بعد مقتل عثمان، أو بقاء معاوية في ولاية الشام، من هنا وجه الإمام (عليه السلام)، نقداً أساسياً لهذا الحضور، وتنبأ بما سيكون عليه الوضع الاجتماعي في ظل هذه النماذج في ادارة الحكم ومؤسسة السلطة:

(أما إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ، أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي، فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّه

[1] - نهج البلاغة، ج١، ص: ٢٠٥ .

لي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّأُوا مِنِّي، فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الاِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ)[١].

لقد عملت هذه السياسات الاجرامية على بث التباين والفرقة في المجتمع الاسلامي على نطاق واسع، من خلال بث الخراب الفكري، والأكاذيب التي اضطلع بها عدد من الوضاع، باعتبار أنها من حديث الرسول الأعظم (ص) ، أو من خلال تقريب عشائر موالية للأمويين، واستبعاد أخرى ، ومن ثم تمزيق وحدة الأمة، السياسات التي أفقدتها تماسكها إلى يوم القيامة، جاء في كتاب : (مثالب معاوية بن ابي سفيان، بالأسانيد الصحيحة)، للباحث حسن بن فرحان المالكي، وهو ينقل كلاماً لمحمد بن عمر بن عقيل (تولد نجد - ١٣٥٧) :

(لقد ترك لنا معاوية في كل زمن فئة باغية، فالسيد ابن عقيل هنا يشعر أنه لا يستطيع أن ينقل ما يعرفه من هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأن الاحتجاج عليه بمعاوية وأتباع معاوية يحاصره في كل فكرة نيرة، وفي كل دعوة للعدل أو الانصاف أو العلم) [٢].

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ١٠٥ .
٢ - - حسن بن فرحان المالكي، مثالب معاوية بن ابي سفيان، بالأسانيد الصحيحة ، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص : ٥

الفصل الثالث

النقد الاجتماعي وخطاب العنف

تمهيد

المبحث الأول : من التفكير الناقد إلى التفكير بالعنف.

المبحث الثاني : خطاب النقد الاجتماعي في مواجهة عنف الدولة .

المبحث الثالث : من خطاب النقد للدولة إلى خطاب الحرب على التمرد

النقد الاجتماعي وخطاب العنف

(انْفِرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلاَ تَثَّاقلُوا إِلَى الأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ، وَتَبُوؤُوا بِالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الأَرِقُ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عنْهُ، وَالسَّلاَمُ). الإمام علي (عليه السلام).

تمهيد :

ولكي نستكمل البحث في خطاب النقد الاجتماعي، لابد من الارتقاء إلى البحث في خطاب العنف الذي هو وسيلة من وسائل ارتقاء الجماعة في استكمال وسائلها، للوصول إلى الأهداف التي كان خطاب النقد الاجتماعي يتوخى تحقيقها في الواقع .

ومن ثم فأن في هذا الاتصال أو التواصل بين الخطابين، خطاب النقد وخطاب العنف، يمكننا بدرجة ما، من اعطاء التفسير الحقيقي للكثير من مظاهر العنف، إذ أن المجتمع ومنه النخب، والحكومة القائمة، وهو يتعامل مع عديد الأوضاع التي يمر بها، فإنما يستمد الرؤية والسياسات في التعاطي مع هذه الأوضاع الجديدة، سواء بالقبول أم الرفض، من رصيده الثقافي، والفكري، والتجارب السابقة، واستعادة السير في الدروب ذاتها، التي

سلكها في المواقف القديمة، ولكن بطرق مطورة تتناسب مع المواقف الجديدة، ومنها الارتقاء إلى وسائل العنف والحرب في معالجة الحالات المستعصية، والاوضاع، والتخلص من التحديات .

من هنا كان لابد لهذه الدراسة من التطرق لخطاب العنف في المجتمع، وتحليل هذا الخطاب، كما هو عند الامام علي عليه السلام، الذي واجه الخطاب بالخطاب، ورد العنف بالعنف، والارهاب بالمقاومة، سواء عل مستوى الدولة، أم على مستوى ارهاب الجماعات الخارجة على القانون، والشرعية .

وكل ذلك من خلال البحث أيضاً في مواقف النظرية الاجتماعية، ومن الواضح أهمية هذا البحث في زمن أنتشر فيه إلى جانب خطاب النقد و خطابات التكفير و الارهاب، وما ترتب على ذلك من الاقتتال ، وقد استعصى تفسير تعقيدات هذه الظاهرة على الكثير من المفكرين في العالم، لما فيها من التناقضات والحالات الشاذة التي لا تحكمها قاعدة، وقد جاء البحث فيها من خلال هذه المباحث .

المبحث الأول

من التفكير الناقد إلى التفكير بالعنف

إنّ من يراجع المعلقات الشعرية القديمة أو القصص للعربي قبل مجيء الاسلام سيلاحظ أن خطاب التغني بالحصول على الغنائم في المعركة، والتبجح بالعنف، واستسهال شن الغارات و الحرب ، أو التفكير بالقتال للنيل من الخصم، هذا الخطاب يشكل حيزاً كبيراً من الخطاب الأدبي العربي ونصوص التبجح الاجتماعي في المغالبة والانتصار، في العالم العربي القبلي القديم .

من هنا كان على الإسلام منذ المراحل الاولى للدعوة الاسلامية أن يواجه هذا النوع من التفكير في خوض الصراع ، الذي لا يتورع عن الخوض في الدماء من أجل التخلص من الرسالة الجديدة، وما ترهص به من تغيرات اجتماعية، عرف المشركون أنها ستطال الكيانات الاجتماعية والقوى السائدة في ركابهم ، والتراتيب الشرفية، وطرائق توزيع الامتيازات التي يعمل بها هذا النظام ، وكانت نصوص القرآن الكريم، من الوضوح بمكان، ومنذ الطلائع الأولى للآيات القرآنية المنزلة على النبي الكريم (ص) ، في صور نقد هذا النظام الاجتماعي .

والثقافة الجاهلية، شأنها شأن أي ثقافة أخرى، سابقة أو لاحقة ستجد في نصوصها السابقة، وآدابها العتيقة، ومخزونها الفكري ، ما يلهم أبنائها من الرافضين للرسالة الجديدة، ومن الناقدين لما جاءت به من الأفكار، والرؤى، والأخلاق، والاحكام، اللجوء إلى العنف، والتفكير بالحرب، واستعمال السلاح في قتال المؤمنين بهذه الرسالة .

وهكذا، صار من الواضح لنا، أن ظاهرة التفكير الناقد، والذي يهتم بقضايا المجتمع ومعالجة المشكلات والتحديات، التي تقف بوجه تكامله المعنوي، ترتبط بمتغير اجتماعي آخر لصيق بظاهرة النقد الاجتماعي، والاشتباك الكلامي، أو الحواري، الجدلي، هو متغير العنف، أو التفكير بالاقتتال، أو اشتعال الارهاب، أو الاشتباك العسكري، ومن ثم استحالة علاج الموقف الاجتماعي للخصوم إلا من خلال الردع الأمني، واستعمال القوة في مواجهة القوة، وذلك من أجل وقف مظاهر الاجتياح والتصفية الجسدية التي يعتمدها العدو، واللجوء إلى قوة الحديد والنار، في التخلص من قوى التغير .

وهكذا تترابط ظاهرتي : النقد الاجتماعي، والتفكير بالمجتمع، مع ظاهرة العنف والاقتتال، وهو ترابط تاريخي، واجتماعي، ضارب في عمق التاريخ، إذ يشكل التفكير بالعنف، استكمال للوسيلة النقدية والتوبيخ من أجل الردع .

من المؤكد أن العنف والاقتتال، في المجتمعات المأزومة والمتصارعة ، لا يتفجر دفعة واحدة، بل تسبقه مظاهر واسعة من الجدل والصراع اللغوي، والتراشق بالكلمات، أو استنفاذ العمل بالوسائل الإقناعية، والنقد الاجتماعي، أو الاحتكام إلى المنطق، وكذلك اعتماد الطرائق الحوارية في التسويات ، وفي داخل هذا الفضاء من الجدل الاجتماعي، يجري باستمرار التلويح بالعنف الكامن، من قبل الاطراف المتصارعة، عنف الدولة من جانب وعنف الجماعات المتمردة أو الثائرة من الجهة الأخرى، مما يؤجج المزيد من الغضب، من الطرفين، كما حصل مع الخليفة عثمان، وقد القى الإمام باللوم على الطرفين :

(لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً؛ غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ؛ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الجَزَعَ، وَللهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي المُسْتَأْثِرِ وَالجَازِعِ) [1].

وإذا ما تفجرت الاوضاع بالعنف والاحتراب، فهو ليس بالأمر الغريب في فضاء المجتمع المليء بالكراهية والغضب ، بين الدولة والشعب، أو بين الجماعات المحلية المتنافسة، أو بين الأفراد أنفسهم في البدايات، ومن ثم فهو

[1] - نهج البلاغة، ج١، ص : ٧٦ .

تتويج لكل ذلك السخط والغضب الذي تختزنه الكلمات النقدية والشحن اللفظي بين المتنازعين، والذي يتخطى الحدود الفردية في الفترات اللاحقة، إلى مجمل الفضاء الاجتماعي الواسع، وليتحول إلى حرب ضروس بين الفئات الواسعة من المجتمع:

(إنّ انتشار العنف الفردي، أدى ويؤدي إلى تسلط العوامل المرضية والنزعات العدوانية الفردية وتمكنها من التحكم بالعلاقات البينية وتسخيرها لهيمنة المنحرف والقوي على المواطن الأعزل، سوى من نصوص القانون، مما يؤدي إلى فقدان الاستقرار وإشاعة الفوضى ونشر آليات الصراع في المجتمع ...... يتغلغل الفعل العنيف، عبر نماذجه المختلفة، في ميادين الحياة الخاصة والمجتمعات الدولية، .... فهو يتجاوز – الأطر الشخصية التي تشكل البدايات – ليطال قضايا ومشكلات لها طابع العمومية والشمول الكوني وأنظمته والهيمنة عليه، وهو ما يسمى باللاوعي الجمعي المخدر، وتكون النتيجة بتداخل هذه المستويات وخلط الأوراق والأوضاع، وإعطاء المبررات للتعميم وعدم التمييز في مواجهتها)[١].

---

[١] - إشكالية العنف، العنف المشرع والعنف المدان، رجاء مكي، وسامي عجم، دار مجد ، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص : ٧ .

يحدثنا الإمام علي عليه السلام عن تاريخ العنف في الإسلام، وكيف جاء بفعل الرفض الذي نتج عن مواقف عامة القريشيين ، وأهل مكة والقبائل المتحالفة مع قريش، رفض الرسالة التي جاء بها الرسول الأكرم، وكان العنف عبارة عن تتويج ، متدرج في التصاعد، لخراب العلاقات الاجتماعية والتنازع، بين الأهل والأقارب، بشأن الاستجابة للرسالة الإسلامية، الذي أظهره البعض والتصديق بالدين الجديد، وخاصة من ابناء البيت الهاشمي، الذين شملهم الطرد، والحصار خارج مكة، ومحاولات الاغتيال المتتابعة من أجل قتل الرسول (صلّى الله عليه وآله):

(فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ . مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذلِكَ الأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ...... وَكَانَ رَسُولُ اللهِ(صلّى الله عليه وآله)، إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْر، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُد، وَقُتِلَ جعفرٌ يَوْمَ

مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتَهُ أُخِّرَتْ) [1].

وهكذا، يتحول التفكير بالنقد الاجتماعي، عند القرشيين، ضد المؤمنين بالرسالة، إلى مظاهر من الطرد العشائري، والحصار القبلي، مع تقادم هذه الوسائل، أو تآكلها، يتحول إلى وسائل أخرى، أكثر قسوة، من أجل تحقيق الهدف الاجتماعي له، وهي العنف، ومحاولات الاستئصال للوجود والتصفية الجسدية كما هو واضح من كلمات الامام (عليه السلام)، في النص أعلاه .

في النظرية الاجتماعية المعاصرة، يجري التطرق باستمرار إلى الأصول الاجتماعية للاستبداد، من أجل فهم مصادر العنف في المجتمع وأسبابه، وبناء الأنموذج الشامل [2]، والمفسر لهذا العنف سواء ذلك العنف الصادر من الدولة ، وهي القوة الاساسية في احتكار العنف بموجب الأعراف و القانون، والدستور، قديماً وحديثاً، وهي من والأسباب الرئيسة في تأسيس هذا العنف ، الذي يطال المستضعفين من جماهير الشعب والفقراء والرافضين لظلم الدولة .

---

١ - نهج البلاغة، ج٣، ص : ٨

٢ - بارينجون مور ، الأصول الاجتماعية للدكتاتورية والديمقراطية ، ترجمة : أحمد محمود ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص ١٧٢ .

وفي مقابل عنف الدولة ، هنالك العنف الذي تتولاه القوى الشعبية، والجماعات المتمردة، أو الخارجة على القانون، أو الحركات الثورية، وقوى المقاومة في المجتمع التي تضطر في ظروف مختلفة، كما هو معلوم للتصدي للقوى المهيمنة في الدولة، أو ردع سلطة الدولة الغاشمة، ووقف جرائمها، وقد كتبت العشرات من الدراسات في هذين الشكلين من العنف، عنف الدولة، واستبداد الحاكم، أو عنف الجماعات المسلحة واصحاب الرؤى المخالفة للدولة، فيما ترى النظرية الاجتماعية فرصاً هائلة للتعايش، موجودة، وهي تكمن وراء الوضوح العلمي، والتنظيم في المفاهيم والاولويات مع وجود البحث :

(الواقع أن الفوضى المفهومية، لا النوايا السيئة فقط، هي ما يسهم بشكل كبير في الاضطرابات والبربرية اللتين نراهما حولنا، ويغذي وهم القدر، خاصة ما يتصل منه بهوية مفردة معينة أو أخرى، وكذلك مقتضياتها المزعومة، العنف في العالم عبر الإلغاءات والإضافات كذلك، لهذا يجب علينا أن نرى بوضوح أننا نمتلك انتماءات متمايزة كثيرة، وأن بإمكاننا أن نتفاعل بعضنا مع بعض، بطرق مختلفة، بغض النظر عما يقوله لنا المحرضون

ومعارضوهــم الهائجون، إن هناك متســعاً لنا لأن نقرر أولوياتنا)[١].

لقد أسهب البعض سواء من الكتاب المحليين أو الباحثين المستشرقين في نسبة العنف إلى دور الدولة السلبي،والاستبدادي في نشر العنف ومن ثم في دورها المباشر وغير المباشر في التخريب الديني، والتخريب السياسي، والتخريب الاقتصادي، والتخريب الاجتماعي والثقافي في المجتمع، منذ المراحل الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية والمجتمع :

(ويبدو من استقراء التاريخ الاسلامي، أنه صراع بين فكرتين أساسيتين، فكرة التكافل الاجتماعي، وفكرة سيادة الفردية، وهو صراع تدخل فيه عدة عناصر مكملة، فهناك فكرة العصبية العربية، في مقابل فكرة تساوي المسلمين امام الله وامام الشريعة، وفكرة الديمقراطية أو الشورى، أمام الملك المتوارث، والحكم المطلق)[٢].

فيما أسهب أخرون في نسبة العنف إلى الموروث القبلي، والاجتماعي، والديني، والثقافي، والذي يشكل باستمرار، مخزوناً، وشاحناً، وحافزاً، للأفراد، و للجماعات، والحركات، والقوى الاجتماعية، تستمد منه روح

---

١ - أمارتيا سين، الهوية والعنف، ترجمة : حمزة بن قبلان المزيني، دار جداول، بيروت، ط١، ٢٠١٢، ص ٢٣ .

٢ - أحمد عباس صالح، اليمين واليسار في الاسلام، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط٢، ١٩٧٣ ،ص : ١٣٥ .

العنف والارهاب والكراهية، وكأنها من السنن والآداب التي لا ينبغي للمجتمع التخلي عنها، فهي تشكل الذاكرة، والهوية، والمحاكاة، والرمزية في هذا المجتمع، وهذه هي نظرية أكثر المؤلفين في علم الكلام، وشؤون الفرق الاسلامية وصراعاتها الدموية عبر التاريخ ، وكذلك المتطرفين من المستشرقين :

(انتفعت قوى العدوان الخارجي بهذا التصور الذي وضعناه لمسالة الغلو والعنف في الحركات الاسلامية، لأنه كان يفيد هذه القوى أن تنسب موقف الغلو وفعل العنف إلى الفكر الاسلامي، وليس إلى رؤية معينة للواقع الفعلي، وإن نسبة فعل الغلو إلى الفكر الاسلامي من شأنه أن يبري قوى العدوان الخارجي من تهمة أنهم معتدون، وهو يساعدهم في تصوير الأمر على أن هؤلاء الذين يتصدون للعدوان الأجنبي في بلادهم، لا يتصدون له دفاعاً عن أوطانهم، وإنما يفعلون ذلك لأن لديهم فكراً عقيدياً يدفعهم إلى الإمساك بالسلاح وقتل الآخرين)[١].

وفي ضوء، هذا الانقسام في النظريات الاجتماعية والنماذج المفسرة للعنف في تاريخ العالم الاسلامي، نستطيع أن نقرأ خطاب الامام علي عليه السلام، بشأن هذا العنف، كيف واجه الإمام عنف الدولة، من جهة، رغم

١ - معتز الخطيب، العنف المستباح، الشريعة في مواجهة الأمة والدولة، تقديم : طارق البشري، دار المشرق، القاهرة، ٢٠١٧، ص : ١٣ .

أنها لا تزال فتية، لكنها سرعان ما تدرعت بالتحالفات، واستثمرت العداء، السابق للرسالة في تدعيم مواقفها، وكيف واجه الإمام عنف الجماعات المسلحة، من جهة أخرى، وذلك اعتباراً من الجماعات التي ثارت على الخليفة الاول، أو ما يعرف بحروب الردة، ومن ثم حصول الثور المسلحة على الخليفة عثمان بن عفان، و الموقف المعلن من قبل الامام، منها، اثناء الثورة، أو بعد مقتل الخليفة، والذي أطلق العنان للعنف في داخل المجتمع الاسلامي بشكل غير مسبوق، وذلك من خلال استعادة القراءة في النصوص المروية عن الإمام عليه السلام ، التي تحكي لنا بطريق مباشر تارة ، غير مباشر تارة أخرى ، قصة مواجهة الإمام لهذين الصنفين من العنف منذ رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه واله وسلم .

المبحث الثاني

خطاب النقد الاجتماعي في مواجهة عنف الدولة

يرفض الإمام عليه السلام أن يكون التفكير بالعنف وسفك الدماء هو القاعدة أو الطريق إلى تثبيت السلطة أو تدعيم هيبة القانون في المجتمع، وفي الرسالة التي وجهها إلى مالك الاشتر كان واضحاً في رفض التفكير بالعنف وسفك الدماء إذ قال :

(إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِىءٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ)[1] .

---

١ - نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى ج٣،ص : ١٠٧ .

لكن الامام عليه السلام، نفسه لم يسلم من عنف الدولة، المدعوم بالتحالفات الكبيرة، والسعي الدؤوب من قبل القوى من أجل الحفاظ على مصالحا، لكنه واجه هذا العنف بالحكمة، والحوار، والقاء الحجة، ولجأ إلى خطاب النقد الاجتماعي في مواجهة الخصوم، وتفنيد الحجج التي قالوا بها سواء في عقد اجتماع السقيفة، من دون حضوره، من أجل استبعاده من السلطة، أو في معالجة مشكلة مصادرة أرض فدك، من السيدة الزهراء، أو في أخذ البيعة بالقوة فيما بعد، أو في غير ذلك من المواقف والمشكلات ولاسيما، وأن قوة الدولة لا تزال في بدايتها، مما يثير الشهية والطمع لدى الاعداء في التسريع بالقضاء عليها، وقع الإمام في حيرة من أمر السلطة والمجتمع منذ اليوم، عنف الدولة وخطابها الاستفزازي من جهة، وعنف المجتمع وخطابه الاستفزازي من جهة أخرى :

(فَإِنْ أَقُلْ، يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الـمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ المَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي! وَاللهِ لاَبْنُ أَبِي طَالِب آنَسُ بِالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ). [1]

[1] - نهج البلاغة : ج١، ص : ٤٠ .

لقد شكل اجتماع السقيفة أرضية كبيرة لبداية عنف الدولة، ولاندلاع الفتن الكبرى، والحروب في تاريخ المسلمين، ولم يستطع هذا الاجتماع كما هو واضح من مجمل تاريخ المسلمين، أن يوفر الضمانات المعرفية، أو الضمانات المعيارية، أو التنفيذية، المطلوب توافرها في المجتمع لمنع الاستبداد أو الظلم، ومصادرة الآخر، أو العمل الجدي من أجل الحفاظ على وحدة الاسلام والمسلمين، وصيانتهم من الوقوع في الفتن، كما زعم المعارضون لوصول الإمام علي عليه السلام لقمة هرم السلطة، إذ كانت حجتم أن في اختيار علي بن أبي طالب، حصول مشكلة قد تعم المسلمين، وهم في بداية الطريق بعد رحيل الرسول، وذلك بالنظر لكونه قاتلاً للكثير من رموز التيار المعادي للرسالة، وابتكروا من أجل ذلك رواية سياسية، واقصائية، مهمة جداً بالنسبة لجميع أفراد البيت الهاشمي، وكذلك بالنسبة للطلقاء في مكة، إذ ترضي توجهاتهم الخفية للثأر أو الانتقام من العترة، وهي رواية:(لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد)[1]، وكان من الصعب جداً مواجهة هذا التأسيس التعسفي بالعنف منذ اليوم الاول، لما في هذا السلوك من الخطر على مجمل الاوضاع الاجتماعية في المدينة:

(وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى

---

١ - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص : ١٨٩

هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الحَلْقِ شَجاً، أرى تُرَاثي نَهْباً .... .. نَظَرْتُ فَإِذَا لَيْس لِي مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ المَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى القَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الكَظَمِ، وَعَلى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ العَلْقَمِ)[1].

وقد ظهر موقف الإمام جلياً من العنف في الفتنة التي تفجرت في عهد الخليفة عثمان، إذ وجد أن السلطة قد تجاوزت على الحدود القانونية والدستورية المرسومة لها في الاسلام ، كما أن الجماعة المسلحة التي ثارت على الوضع الاجتماعي السيء، قد تخطت هي الأخرى هذه الحدود بالاعتداء على السلطة، وقتل الخليفة :

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ: إِنَّ النَّاس طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَه، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ)[2].

---

١ - نهج البلاغة : ج١، ص : ٦٧ .

٢ - نهج البلاغة : ج٣، ص : ٢ .

ومثلما وجه الإمام خطابه النقدي، الاجتماعي، للدولة المستبدة في حال حضورها، عمل على إزالة آثار هذا الاستبداد والحيف والفساد، بعد زوالها، فعمل الإمام على استرجاع الاموال التي وزعت في عهد عثمان بن عفان، في اطار خطاب نقدي واجتماعي واضح لهذه الجهات المستفيدة من النظام السابق :

(وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ فِي العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ!) [١] .

وهكذا تحولت بعض القيادات في القوى الاجتماعية، من ممارسة الفساد من موقع السلطة، أمثال مروان أبن الحكم إلى ممارسة الاجرام في داخل المجتمع وضمن الحركات المسلحة، بعد أن وصل الإمام إلى السلطة، واعادة بناء الحكومة في ضوء أنموذج يحقق للناس والعامة من المجتمع أسباب الكرامة الإنسانية، ولم يأبه الإمام بهذه النخب المزيفة في تحريك الواقع الاجتماعي كما قال في عهده للأشتر :

(وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ

---

١ - نهج البلاغة، الإمام علي (ع) ، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ج١ ، ص : ٤٦ .

بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْـمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْـمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.) [١].

ومن الجدير بالذكر، قبل ختام هذا البحث عن عنف الدولة وخطاب النقد الاجتماعي، أن يقال ، أن الأنموذج الإجرامي للدولة بعد رحيل حكومة الامام عليّ عليه السلام، والذي قام على أساس استجداء خطاب المديح، ودفع الأموال الطائلة من أجل صناعة هذه النصوص، صار يؤسس لقواعد النقد وقواعد التقويم، ففي المقابل الأجرة على المديح، كانت العقوبات تنتظر أي خطاب نقدي قد يصدر من كاتب أو أديب، أو شاعر هنا أو هناك، ومن ثم صار بعض النقاد للأدب عامة، والشعر خاصة، يضع القواعد النقدية في ضوء توجهات السلطة فقط، والحفاظ على صورة الخليفة وطبقته الاجتماعية، وصار :

١ - نهج البلاغة، الإمام علي (ع) ، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى،ص : ١٠٩ .

(الناقد حين يؤصل للقاعدة النقدية، فانه لم يأت بها من الفراغ، وانما أتى بها من خلال درايته بما تريده السلطة الحاكمة، ويجب على الشاعر أن يلتزم به، طابق ذلك شخصية الخليفة أو خالفها ..... وهكذا كان – مثلاً - الاهتمام بتماسك صورة الخليفة في الشعر، وتحديد الصفات اللائقة بمديح كل طبقة، وبهجائها، وتكريس التمايز الطبقي، والاهتمام بمفاهيم اللياقة، ومراعاة الاعراف الاجتماعية، كان لكل ذلك أثره الواضح في تأصيل القاعدة النقدية)[1] .

١ - أحمد حلمي عبد الحليم، علاقة الأفكار النقدية بالسلطة السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط١، ٢٠١٤، ص : ١٨٩ .

المبحث الثالث

من خطاب النقد للدولة إلى خطاب الحرب على التمرد

الإمام الذي عانى كثيراً من عنف الدولة، ولم يغادر مستوى الخطاب النقدي الاجتماعي في مواجهتها، إلى استعمال العنف المسلح ضدها، كما شاهدنا في المبحث السابق، هو نفسه عليه السلام، عاد ليعاني من عنف الجماعات المسلحة، وإرهابها، و هي جماعات لا تريد للدولة أن تكون قوية ، كما لا تريد التعايش بسلام مع المجتمع والأمة، وكأن هذه الجماعات ما هي إلا استمرار لوجود الدولة الغاشمة في المجتمع، وهنا يقع الشرفاء والمخلصون بين نمطين من العنف، عنف الدولة المستبدة في حال وجودها، وعنف الجماعات المجرمة في حال غياب الدولة :

(لكنّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الحَقّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامعِ الْمُطِيعِ العَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي ؛ فَوَ اللهِ مَا زِلتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم ، حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هذَا.) [١]

[١] - نهج البلاغة، الإمام علي (ع) ، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى،ص : ٤٢ .

هذه الثنائية في توجيه الخطاب عند الامام، تارة للدولة المستبدة في قراراتها، وتارة أخرى نحو الجماعات المسلحة والحركات الثائرة أو المتمردة في مواجهة الشرعية والقانون، يجعل من خطاب الإمام أنموذجاً، ارشادياً، وملهماً تاريخياً، في مجال سلوكيات النقد الاجتماعي في المرحلتين، في فهم ظاهرة العنف في العالم الاسلامي، الأولى : في فهم عنف الدولة وتحالفاتها، وكيفية التعامل معها ، والثانية : في فهم عنف الجماعات المسلحة والحركات المقاومة لبناء الدولة، وأسلوب التعامل مع هذه الجماعات، إذ وقع تحول جذري في سياسة الدولة على عهد الإمام، وأصبحنا أمام عنف الجماعات المسلحة وليس عنف الدولة :

(إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُوا حَيْفَ رُعَاتِهَا، وَإِنَّنِي الْيَوْمَ لأشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وَهُمُ الْقَادَةُ، أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمُ الْوَزَعَةُ!) [١].

وفي إطار بناء الدولة، والحفاظ على المجتمع من الحركات المتطرفة، يلتقي التفكير بالعنف مع التفكير بضرورات المجتمع، وكيفية الجمع بين التفكيرين ، مع أولوية الحوار، والحلول السلمية، كما يذكر الامام مبعوثه جرير إلى أهل الشام ، وتقديم محاولات الحل السلمي، أو عند ترسيم حدود العلاقات الاجتماعية، بالشكل الذي تنبثق منه عمليات التجييش والحرب والاعداد

١ - المصدر نفسه، ج٣، ص : ١٩٨ .

لها بشكل جيد ، أو في مرحلة السير نحو القتال، حيث يصبح لابد منه، لإعادة ترسيم العلاقات غير المنسجمة في الفضاء الاجتماعي، بين الخصوم، تأتي قصة الامام، واستشعار المسؤولية في التأني، عند التفكير بالحرب على أهل الشام الذين، وقفوا مع معاوية

فلم تكن الحرب، بين الشام والعراق، لتاتي دفعة واحدة، أو قراراً متعجلاً، بل كانت الطريق الوحيد، بعد استنفاد الوسائل الاجتماعية، والحلول الممكنة بعيداً عن التضحية بالمبادي الاسلامية، والتحولات المطلوبة، لبلوغ دولة العدل الالهي، وسيرها في مراحل كمالها المنشود من قبل المؤمنين ، وكذلك القواعد الجماهيرية المعدمة من كل امتيازات والفقيرة، و التي تضررت في المراحل السابقة بشكل كبير :

(إِنَّ اسْتَعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ، إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لاَِهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرادُوهُ، وَلكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِير وَقْتاً، لاَ يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلاَّ مَخْدُوعاً، أَوْ عَاصِياً، وَالرَّأْيُ مَعَ الأَنَاةِ، فَأَرْوِدُوا، وَلاَ أَكْرَهُ لَكُمُ الإعْدَادَ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هذَا الأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِي إِلاَّ الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ. إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الأُمَّةِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالا، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا) [1].

---

١ - نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام ، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى . ص:٩٣ .

ومن النص يتضح الترابط بين الارادة الاجتماعية للخير العام والمصير إلى الحرب، وإرادة هذا الخير من جهة، وبين والدخول في السلم من جهة أخرى، في مقابل من يرفض العمل بالخير العام، الذي يعني الكفر بمبادئ الاسلام الذي يرى : ضرورة إيجاد الفضاء الاجتماعي العام، والمؤلف من مؤسسات الدولة، والتجمعات أو والأفراد، والجميع يسهم في بناء الفرد الصالح، ويعطي الأسوة الحسنة في تكوين الشخصية، وبناء الأسرة، ونشاط المؤسسة، وصولاً إلى بناء المجتمع ككل، حتى ورد الحديث المشهور : خير الناس من نفع الناس، ومن المؤكد أن من ولد وعاش في مقر قيادة العمليات ضدّ الرسول الأعظم والوحي، وضدّ الخير الذي جاء به الاسلام، لا يمكن أن يكون من أهل ارادة الخير العام، ومن الخطأ الكبير أن يسمح لهذا الشخص بإدارة جزء كبير وحيوي من بلاد المسلمين، أو الاسهام في تشكيل هويته الثقافية غير السوية، ومنع تكامله الروحي :

(إن المجتمعات أساسية من أجل نمونا الكامل، يمكن أن نبقى أحياء بدونها، غير أننا لا نستطيع أن نصل إلى ما نسميه : إنسان يعمل بشكل كامل، أو نستمر في ذلك دون بعض الترابط مع المجتمع، المجتمعات الأكثف هي أيضاً تخدم تكويننا .... الهوية مرتبطة ارتباطاً عميقاً بالمجتمع)[1].

[1] - أميتاي إتزيوني، الخير العام، اشكاليات الفرد والمجتمع في العصر الحديث، ترجمة : ندى السيد، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٢ .

بدأت المشكلة مع القوى والجماعات المسلحة في الداخل، منذ طرح قضية محاكمة الذين قتلوا الخليفة، عثمان بن عفان، أتخذها كثيرون ذريعة لتوجيه خطاب الطعن بسياسات الإمام بعد الوصول إلى السلطة، فبعد ما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان! فقال :

يَا إخْوَتَاهُ! إنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْـمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا ولاَ نَمْلِكُهُمْ! وهَاهُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَة عَلَى شَيء تُرِيدُونَهُ! إنَّ هذَا الأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّة، وَإِنَّ لِهؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّةً. .. إنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الأَمْرِ ـ إذَا حُرِّكَ ـ عَلَى أُمُور: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَفِرقَةٌ لاَ تَرَى لا هذَا وَلاَ هذَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً ؛ فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً، وَسَأُمْسِكُ الأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ.) [١].

---

١ - نهج البلاغة ، ج٢، ص : ٨٠ .

وهكذا يتضح أن معالجة مشكلة العنف عند الجماعات المسلحة ليست بالأمر الهين، أو السهل، في جميع العصور، حتى أن أمير المؤمنين قال : (وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي) [١] وأن قمع الدولة أو قدرتها على صناعة العنف ليس مما يمكن توجيهه في أي وقت، أو في أي اتجاه، ولابد من قدر كبير من التوافقات، طالما أن هذه الجماعات قد جنحت نحو الاستقرار، والهدوء أو السلم والمصالحة :

(لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ، وَلكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَني بَالحِجَازِ وَأَنْكَرْتَني بِالعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا. .... وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي؛ فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ. وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ. يا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا! وَإِلاَمَ أُجِيبَ! وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ.) [٢].

من الطبيعي أن يهيأ النقد الاجتماعي، والنقد المضاد، والتراشق اللفظي، والعنف الكلامي، و توجيه الاتهامات، والتلويح بالتهديد أو العنف

---

١ - نهج البلاغة : ج ١، ص : ١٨٨ .

٢ - نهج البلاغة : ج١، ص: ٧٦ - ٦٠ .

الكامن، الأجواء أو الفضاء الاجتماعي للتمرد والحرب بين القوى الاجتماعية المتعايشة في أجواء الغضب والاحقاد، والنزاعات، وصراع المصالح، والأهواء، مما يشكل ارضية واسعة لاستقطاب الجموع، والتحضير للحرب واندلاع الفتن :

(إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتابُ اللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْـمُرْتَادِينَ؛ وَلَوْ أَنَّ الْحقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ البَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْـمُعَانِدِينَ؛ وَلكِن يُؤْخَذُ مِنْ هذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى).

ولعل جماعة الخوارج، هي المجموعة المسلحة الأكثر شهرة في تاريخ العنف الذي يبرز من داخل المجتمع على أسس غير وظيفية، ولا عقلانية، كما لا يعبر عن صراع طبقي محدد المعالم، وانما هو تعبير عن عبثية في التعامل مع الوجود، والدولة، والمجتمع، ولا ينتسب لأي طبقة اجتماعية ذات مصالح اقتصادية محددة في المجتمع ، فيكون هذا التحرك أقرب إلى الانتحار الوجودي، والذهاب بالمجتمع جميعاً نحو الهاوية، والذي قد يترفع عنه حتى القاتل المأجور، أو اللص المسعور .

(أَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هذَا النَّهَرِ، وَبِأَهْضَامِ هذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلاَ سُلْطَانٍ مُبِين مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هذهِ الْحُكُومَةِ ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْـمُخَالِفِينَ الْـمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، وَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً، وَلاَ أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرّاً.)[1] .

وهكذا كان عنف الخوارج ضد حكومة الإمام، من الصنف الأكثر خطورة في تاريخ المسلمين، وذلك لأنه عنف واحتراب لا يستفيد منه الا الأعداء من خارج الفضاء الاجتماعي للمجموعة الصالحة في القيادة، والاعداء التقليديون للمقاومة، انتحار ذاتي للخوارج ، قد افاد منه معاوية واتباعه واعداء التجربة العادلة التي جاء بها الامام في وصولهم إلى السلطة، بكل سهولة بعد أن تمكن هؤلاء العتاة من اغتيال الإمام عليه السلام .

والخلاصة في هذا المجال : إن الإمام لم يكن يخشّ مواجهة العنف بالعنف، على نفسه، بقدر ما كان يؤسس لمنطق المقاومة، والنفس الطويل في الحفاظ على مصالح الاسلام والمجتمع الكبرى :

---

١ - نهج البلاغة : ص : ٨٧ .

(وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ .... قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِب رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلْكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ. للهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وها أناذا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ! وَلكِنْ لا رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ! .... فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ البَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ، وَمِنَ العَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلادِ! هَبِلَتْهُمُ الهَبُولُ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالحَرْبِ، وَلاَ أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ؛ وَإِنِّي لَعَلَى يَقِين مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي) .

وفي النتيجة النهائية، ورث المسلمون أدبيات الدولة الاسلامية، في صيغتين، الاولى هي صيغة الخلافة، متمثلة في أنموذج الخلفاء الثلاثة، التي وقف الامام عليه السلام منها موقف المعارض، وكان معاوية وريث عثمان في أنموذج هذه الدولة، والطالب بثأره، نقدها الامام بشدة في أكثر من نص كما رأينا، والصيغة الثانية، هي صيغة الجماعات المسلحة، التي قاتلها الامام، رداً على عدوانها، وصلافتها، وإجراميها، ولم يرث المسلمون صيغة الدولة

الاسلامية كما أرادها الامام علي عليه السلام، دولة المساواة، والكرامة الانسانية، التي تم هدرها وسحقها في ظل النموذجين السابقين، وبذلك لم يعرف المسلمون – من غير شيعة الامام علي عليه السلام _ شكلاً سليماً للدولة الاسلامية:

(متى أمعنّا النظر في مدلولات التقابل بين الدولة الحديثة، وبين دولة الإسلام السياسي، أمكننا القول، في جملة واحدة، أن الدولة الأولى، تطمح أن تكون مجالاً رحباً للعيش المشترك بين جماعات، الأصل فيها التعدد والاختلاف، في حين أن دولة الإسلام السياسي لا ترغب في ذلك العيش، هي كذلك لأسباب موضوعية، نبذ التعدد، وإدانة الاختلاف، ورفض المساواة بين الناس)[1].

ومن الواضح أن سياسة الامام هي سياسة الاسلام، وسياسة النبي ﷺ، القائمة على أساس الابقاء على الاديان الأخرى، وليس القضاء عليها، وتشريد أهلها، كما فعل الاخوان، والدواعش في ما بعد الربيع العربي، في سوريا، والعراق، ولبنان، من قتل عامة الناس، بتهم مختلفة وواهية، وقتل العلماء المخالفين، لهم كما فعلوا ذلك مع الشهيد البوطي، وأمثاله، وهي أفعال سبق أن تم رصدها ، في الصدر الاول، من دولة الاسلام، مثل، قتل

١ – سعيد بن سعيد العلوي، دولة الاسلام السياسي، منشورات مؤمنون بلا حدود، بيروت ، ط١، ٢٠١٧، ص : ١٥٢ .

مالك نويرة، وتشريد أبي ذر الغفاري، واغتيال سعد بن عبادة، والتعرض بالضرب والاهانة، للعديد من الاصحاب، من أهل المكانة عند النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم . ثم جاءت بعدهم حكومة الأمويين، وأمثالهم من الجماعات أو الفرق، للحكم الاسلامي، لكي تكمل مشوار الهدر في الكرامة الإنسانية، من هنا جاء نقد الامام عليّ، لكي يثبت براءة الاسلام من سلوكيات هؤلاء، للأجيال القادمة .

الفصل الرابع

النقد الاجتماعي والمستقبل

تمهيد :

المبحث الاول : من التفكير النقدي إلى التفكير المستقبلي

المبحث الثاني : تأسيس الفعل التاريخي و النقد الاجتماعي

المبحث الثالث : نقد التحديات الداخلية والخارجية

النقد الاجتماعي والمستقبل

(إِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ؛ لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ) . الإمام علي عليه السلام .

تمهيد :

المستقبل هو الآتي من الزمان، وقد تحول فضاء المستقبل، أو الآتي من الزمان إلى ما يعرف اليوم بعلم المستقبليات **Futurology**، وهي الدراسات التي تعني قبل كل شيء بمحاولة استشراف الصور المختلفة للمستقبل، ووفقاً لفروض مختلفة فيما يتعلق بالمعرفة بالواقع وجذوره التاريخية، والامكانات المتاحة وأساليب استخدامها المتباينة، والعمليات الفعلية التي تغير المجتمع من دون وعي لدى جميع أفراد المجتمع بآثارها أو حدود مساهمتها في التغير[1]،

[1] - مجموعة من المؤلفين، صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، جامعة الأمم المتحدة، ط١، بيروت، ١٩٨٢، ص : ١٣ .

ويقدم العديد من الباحثين الاهتمام بالمستقبل على الانهمام بالماضي، مثلما يقترح نعوم شومسكي في كتابه عن: النظام الجديد ، والحروب : (إنه بدلاً من الانشغال بحروب ماضية، علينا الاهتمام بالحروب القادمة، لأنه من المفيد في بعض الأحيان أن يكون المرء مستعداً للأحداث، بدلاً من الانفعال عند حصولها)[١].

وبالعودة إلى نصوص النقد الاجتماعي المروية عن الإمام علي عليه السلام، ومقاربتها مع البحوث المستقبلية في الدراسات الاجتماعية وتوقعات الحرب، نجد أن الكثير من هذه النصوص ذات طبيعة مستقبلية، واستشرافية من حيث استحضار منهج التفكير المستقبلي، القائم على الاستشراف العلمي والمنطقي لمسار الأحداث في المستقبل، وامكانيات اندلاع الحروب، ومن حيث النظرة إلى الماضي والحاضر وربطهما بهذا المسار، في ضوء ملاحظة طبيعة التطلعات الإنسانية التي تأبى التغير بسهولة أو العدول عن الأنانية ، أو من خلال استشراف طبيعة التطلعات الاجتماعية، و التي تتحرك في ضوء الامكانات المتاحة والفرص والتحديات واجتماع نقاط القوة ، أو طبيعة حركة التاريخ وتذبذب الاحداث قوى الداخل والخارج من المجتمعات البعيدة، والمؤثرات التي يأتي بها تطور المجتمع ونموه الداخلي أو دخول الجماعات الأخرى في الفضاء الاجتماعي والمشاركة في الصراع أو البناء والمساهمة في التغير:

١ - نعوم شومسكي، النظام الجديد وحرب الخليج، ص : ١١٣ .

(وهنا يتجلى البعد السياسي الحصين عند الإمام، فهو يغوص إلى الأعماق، وهو يستقرئ الغيب المجهول، وهو يتوجس من الأحداث القادمة، ويستخرج دغلها وغشها ودناءتها، وهو ينفذ الى خفايا القلوب ويسبر أغوارها، فلم يكن ليعجبه الحكم وهو مجهول المعالم، ولم تكن تستهويه الخلافة وهي محفوفة بالتنازع، وما كان ليستسلم لأهواء الناس وهي مشبوهة العواطف)[1] .

ولا يخفى على أحد أن هذه النصوص ذاتها، التي أطلقها الإمام عليه السلام، شكلت بنفسها جزءاً من حركة التاريخ ومستقبل الأحداث في العالم الاسلامي، باعتبار أنها جزءٌ من ثقافة الكثيرين في هذه الأمة، وهي تصنع ذاكرتهم، واتجاهات الهوية لديهم، من خلال رمزية الإمام، والاتجاه الاصلاحي الذي أسس له في المجتمع الاسلامي، فهي تعيش حالة التفاعل، والجدل بين النص والواقع، ويتم استحضار هذه النصوص باستمرار، كأنموذج ارشادي في السلوك والعمل، هي جزءٌ من السنة، عند اتباع مدرسة أو منهج أهل البيت عليهم السلام، وهي :

[1] - محمد حسين علي الصغير، الامام علي، سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ص : ٢٣٥ .

أولاً : تارة أنموذج ارشادي في مجال الطبيعة الانسانية، وقراءة قانون الطبيعة الإنسانية وأثر متطلبات هذه الطبيعة الخالدة في حركة الانسان ودوره في صناعة المستقبل ، هو جزء استشراف المستقبل .

ثانياً : كما أن هذه النصوص تقدم قراءة لمتطلبات المجتمع كافة، ككيان أكبر من مجموع الأفراد ، له متطلبات كبرى في الحياة، وفي الحضور بين الحضارات والحفاظ على النوع والكرامة، ويدافع عن وجوده، والخصائص المعنوية لهذا الوجود :

(وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيهِ، وَلاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ)[1].

ومما لاشك فيه أن هذه المتطلبات الاجتماعية في المجد، والظهور، والمكانة بين المجتمعات، وتحقيقها، والدفاع عنها هي جزء كبير من مدخلات الدراسة المستقبلية، ومن مهمة الاستشراف المستقبلي.

ثالثاً : كما كان الإمام، ومن خلال النقد الاجتماعي للجماعات والافراد، وبيان تاريخها، وطبيعة مشاركتها السابقة، والسمات والخصائص التي تحملها، يستشرف طبيعة تطورها، والأدوار المرتقبة منها، ومن ثم يقدم لنا

---

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ٢٠٥ ..

نظرية علمية، ومدرسة تجريبية في قراءة المستقبل، تنبثق من ملاحظة للواقع وتحليله وفهمه، ومن ثم صياغة الرؤية الاستشرافية في ضوء ما تقدم من الملاحظات والفهم والرؤية في التصحيح .

في هذا، الفصل الأخير من دراستنا في النقد الاجتماعي، يتضمن علاقة النقد الاجتماعي في الواقع المعاش بالرؤية المستقبلية التي يتوخاها هذا النقد ومتطلبات التغير القادم ، والتطلعات لما سيكون عليه الحال الاجتماعي في المستقبل القريب أو البعيد ، في إطار من ثقافة المقاومة المستمرة لمواجهة الانحرافات ، و عنف المستكبرين وحروبهم، وتوطين النفس على الصمود في مواجهة التحديات، وسنرى كيف يتشكل المستقبل في جزء كبير منه في ضوء الثقافة النقدية السائدة في المجتمع المعاش، وتطلعات هذا المجتمع للعب الدور الحضاري، حيث أضحت بمرور الايام ثقافة مقاومة، ورفض دؤوب لأشكال الانحطاط التي يفرضها الجائرون على المجتمع ومن ثم تستفز الطبيعة الإنسانية الناقدة ، وفي هذا البحث يكتسب الموضوع أهمية خاصة، إذ المبحوث هو الخطاب النقدي عند الإمام علي عليه السلام والتشخيص المستقبلي للكثير من المجالات في هذا الخطاب، وكيف أسس هذا الخطاب للمراحل اللاحقة من حياة الأمة وبعد استشهاد الإمام، عندما تحول إلى ثقافة متجذرة .

وهنا ثلاثة مطالب أو محاور أساسية وهي مهمة في كفاية الدراسات المستقبلية عامة ، الاول : يتضمن العلاقة بين التفكير النقدي في المجال

الاجتماعي، وارتباط هذا النمط من التفكير بالرؤية المستقبلية لحركة وتطور الظواهر الاجتماعية وتداعيات هذا النمو على الثقافة والفكر، أي كيف أسست ثقافة النقد لثقافة مطلب التغير؟ .

والمبحث الثالث هو: لدراسة أثر النقد الاجتماعي لمظاهر الاحباط والتخاذل والتفكك والتباين والاختلاف في الارادات في الكشف عن أساب السقوط والانهيار في اداء الفعل التاريخي في المراحل المقبلة وتشخيص مبكر لأسباب عدم الانتصار، الأمر الذي يفتح باب العمل الاجتماعي على تجاوز ذلك الخلل في المراحل القادمة من حياة الأمة والمجتمع.

ومن هنا كان لابد أن يتضمن البحث نقد الفعل الاجتماعي التاريخي الذي يؤسس لحركة التاريخ، من خلال صناعة الفعل التاريخي ، وعلاقة هذا الخطاب النقدي للفعل التاريخي القائم في الزمن الحاضر في التأسيس لتجاوز الاحباط والهزيمة في الزمان القادم بفعل تاريخي جديد ، أي كيف أصبحت ثقافة نقد الاحباط، ضامن لحصول إلى ثقافة الفعل التاريخي والعمل الجماهيري ، وهذا هو محتوى المبحث الثاني .

يعرض البحث جملة من تشخيصات الإمام الجزئية أو الكلية، في مجال قراءة المستقبل من خلال العمل على إزالة التحديات الداخلية والخارجية، إذ يمثل تحديد هذه التحديات ونقاط الضعف في عديد المجالات

والموضوعات، والعمل على معالجتها أو ازالتها، وتشخيص مناهج التخلص منها، من أهم الجوانب في الدراسات المستقبلية .

بذلك يتضح أن هذا الفصل، يتضمن بحثاً، منهجياً، يشكل نموذجاً، ارشادياَ في قراءة المستقبل، وفي مستويات عميقة من الزمان القادم، وتشخيص حصول النتائج الممكنة في هذا المستقبل ، قراءة طالت الكثير من الموضوعات، الكلية والجزئية، كما هو واضح من النصوص، وتحولات الاشخاص، والجماعات، والظواهر، وقراءة عواقب الأمور، وهو منجز تأسيسي، كبير، تضمنه تراث الإمام علي عليه السلام، ورائد في مجال علم الدراسات المستقبلية، واكتشاف مناهجها، أو أطرها، التي لا يمكن تجاوزها في تراث هذا العلم .

المبحث الاول

من التفكير النقدي إلى التفكير المستقبلي

ما الذي يغري المفكر الاجتماعي، أكثر من غيره، بالتفكير بالمستقبل ؟ إنه الواقع الاجتماعي المتعثر الخطى والذي ينشد التصحيح ! ، ومن ثم تأتي مرتبة استعادة قراءة التفكير النقدي الاجتماعي، وخطاب النقد الاجتماعي، في ضوء الأهداف التي توخاها الناقد من كل هذا العناء، من هنا جاء التصدي النظري المعاصر في علم الاجتماع، لدراسة المستقبل الاجتماعي، كمجال عمل مشترك مع العديد من الاختصاصات، وهو الأمر الذي لم يكن موضع اهتمام، أو بهذا الوضوح في النظرية الاجتماعية ممثلة في الاتجاهات والتيارات الكلاسيكية، وخاصة تلك التي تشبه في منهجها الدراسات الطبيعية والبحث التجريبي، وكأنها نظريات في معرفة فيزياء المجتمع، أو الكيمياء في تفاعلات المجتمع، حيث كانت هذه الاتجاهات إما أنها لا تهتم بحركة المستقبل، أو هي عاجزة عن التنبؤ، مثلما حصل مع سقوط الكتلة الاشتراكية أو تفشي ظاهرة الصحوة الاسلامية، والارهاب، وتنامي المجازفة بالهجرة إلى الغرب:

(والأمر هنا يتعلق بالتفكير في علم الاجتماع باعتباره سعياً دؤوباً، لاستبصار الشأن الإنساني وتحريره، خاصة إذا كنا نغفل

أن حيثيته لا تقتصر على مرمى علمي، بل تلحقها بفاعلية اجتماعية، تطرح أمامها مهمة الاسهام في ترشيد حركة المجتمع، كي يضحى استمراراً فكرياً لأنشطتها)[1] .

من هنا قفز التفكير بالمستقبل الاجتماعي إلى الواجهة، فسحب معه التفكير النقدي، بالاجتماعي، كرديف في العمل والاشتغال على رفض الواقع الاجتماعي أولاً، ومن ثم التفكير بالتغير، وبوسائل التغير أو الحلول، أيضا، والتي في مقدمتها النقد للأوضاع السابقة والعمل على التغير ولو بالحرب والعنف المسلح، وبذلك تخطت النظرية الاجتماعية المعاصرة، الأطر التقليدية في البحث البنيوي أو الجدلي في المجتمع، إلى آفاق البحث المستقبلي من خلال التفكير النقدي والتقاء هذا التفكير بالاهتمام بالمستقبل، وكيفية تجاوز الفاعل الاجتماعي، مجموعة الامتحانات والتحديات التي يضج بها الفضاء الاجتماعي، من نقاط القوة الداخلية، واستثمار خلال الفرص المتاحة، وهذه كلها ترتبط بالفاعل الاجتماعي :

(وعليه لم يعد تفسير عالم الاجتماع وسلطته يحظى بالتفوق المسبق على سلطة الفاعل الاجتماعي العادي، التي طالما نادت بها السوسيولوجيا النقدية)[1].

---

[1] - جينيفر م .. ليمان، تفكيك دور كايم، نقد ما بعد ... بعد بنيوي، ترجمة : محمود احمد عبد الله، ومراجعة : محمود الكردي، وتقديم : محمد حافظ دياب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص ١١ .

ومع بروز أهمية الفاعل الاجتماعي، تبرز أيضا أهمية تحليل الطبيعة الإنسانية، في حركة المجتمع، والذي بدأنا به هذه الدراسة، فان التفكير النقدي الاجتماعي، هو نتاج طبيعة إنسانية أصيلة، رافضة للواقع الفاسد غير المنسجم مع الفطرة الطبيعية للإنسان ، وناقدة للانحرافات التي تجره بعيداً عن هذه الفطرة، ومن ثم فان طبيعة الانسانية تتطلع دوماً نحو القادم، وإلى التغير في المستقبل، في صور شتى، منها السلبي، ومنها الايجابي كما في كلام الإمام، والبحث في امكانية استبدال الواقع الاجتماعي بواقع أكثر عدلاً وحرية وجمالاً واسعاداً للجميع، وليس بنظام اجتماعي، عنصري، يختص بفئة اجتماعية من دون الفئات الأخرى، فيمنحها الهبات والعطايا، وضمانات الحاضر و المستقبل ، ويستثني الآخرين ممن لا يحصلون على هذه المكارم من السلطة :

(إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً، لاَ نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلاَ نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلاَ نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا. وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لاَ يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَهَانَةُ نَفْسِهِ، وَكَلاَلَةُ حَدِّهِ، وَنَضِيضُ وَفْرِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ

---

١ - محمد ناشي. مدخل إلى علم الاجتماع البراغماتي، تصدير: لوك بولطانسكي، ترجمة وتقديم: طواهري ميلود، دار روافد الثقافية في بيروت، وابن النديم للترجمة، الجزائر، ط١، عام ٢٠١٤م، ص : ٣٩ .

بِسَيْفِه، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّه، وَالْمجلِبُ بِخَيْلِه ورَجِله، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقْنَب يَقُودُه، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ . ولَبِئْسَ الْمَتجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، وَممَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً! وَمِنْهُمْ مَنْ يَطلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلاَ يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِه، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِه، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِه لِلأَمَانَة، وَاتَّخَذَ سِترَ اللهِ ذَرِيعَةً إِلَى المَعْصِيَةِ، وَمِنهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ، وَانقِطَاعُ سَبَبِه، فَقَصَرَتْهُ الحالُ عَلَى حَالِه، فَتَحَلَّى بِاسْمِ القَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْس مِنْ ذلِكَ في مَرَاح وَلاَ مَغْدًى، وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيد نَادٍّ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْعُوم، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَثَكْلاَنَ مُوجَعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ، وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَة، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا) [1].

كما ذكرنا في أول البحث، كيف أن الحافز الديني عامة، والقرآني خاصة، كان مصدراً كبيراً لتفتح التفكير النقدي الاجتماعي في المجتمع الاسلامي، و

[1] - نهج البلاغة، ج١، ص : ٧٧ .

في مجال فتح الآفاق للتفكير المستقبلي عند المسلمين، الذي يترتب على تغير الواقع نحو الأفضل، إذ تضمنت الآيات الشريفة، الوعد الالهي الصادق بالتغير، و بانتصار المسلمين على المشركين ، والفتح القريب، وظهور الاسلام على الدين كله، ولو كره الكافرون، وهو ذات الأمر الذي يبشر بمزيد من الحروب في المستقبل، إذ لا يمكن أن يمر هذا الانتصار الالهي الأخير على دروب مفروشة بالورد .

وهكذا ينطلق من داخل العقل الإنساني، و يكمن التفكير بالنقد لما هو مخالف للطبيعة الإنسانية أو الفطرة، كما يكمن التفكير بالمستقبل، والخوف من المجهول ، وكيف يمكن أن تتطور الأحداث، وتؤول المصائر في ضوء الصراعات التي يعج بها فضاء المجتمع، وعندما يجتمع النقد الاجتماعي والتفكير المستقبلي ، يظهر النقد الاجتماعي - المستقبلي ، والذي يستهدف الدفاع عن المجتمع وعن مستقبله ، وعن تطوره، وعن حريته، وعن كرامة الإنسان فيه ، وذلك في مواجهة ظاهرة تحالف القوى الطاغوتية، قوى السلطة والهيمنة بالقوة، وقوى المال الحرام واستغلال الناس والضعفاء، وقوى الثقافة والفكر الداعمة للطاغوت ، أي ذلك الاستقطاب الذي تقوده النخب الطامحة، الفرعونية، نحو استعادة الروح الوثنية، والتحالفات التي يبتني عليها استعباد الناس، واستغلال الجماهير .

جاء الإسلام، كنهضة وكثورة، لبناء الفضاء الاجتماعي من جديد، وفي المجالات كافة ، ألم تكن الأفكار والمعاني التي جاء بها الاسلام ثورة نقدية

كبرى للواقع الاجتماعي الذي عليه العالم والعرب في ذلك الوقت ؟، وألم تكن الناس على شفا حفرة من النار، بسبب المظالم ؟ فجاء الإسلام لتصحيح التصورات، وتقويم الممارسات، من أجل واقع ومستقبل أفضل للبشرية، وليس من أجل اشعال الحروب، لكن القبائل التي كانت تتغنى بالغزو لم تعرف إلا لغة القوة، والعنف، والحرب، فجاء سلوكها في ضوء هذا التراث الثقافي من التصادم والاقتتال .

كان التفكير النقدي الاجتماعي يتدفق في القرآن الكريم، ليشمل الجوانب الاجتماعية كافة، وليتدخل في أدق التفاصيل في الحياة الاجتماعية، من نقد وأد البنات، واشعال الحروب، واكل الربا، ومال اليتيم، واضطهاد العبيد، إلى جانب تشريعات في جوانب الطاعة، والولاية، وآداب الكلام، والنشوز في المجالس، وقضايا البيع، و النكاح، و الطلاق، والمواريث، وآداب الطعام والشراب، كل ذلك بعد النقد الاجتماعي لما هو موجود من التعاملات غير العادلة وغير الصحيحة، والتي تؤدي إلى الخراب الاجتماعي في المستقبل، والحرب .

ومنهج القرآن الكريم، في الربط بين التفكير النقدي، الاجتماعي، والتداعيات، أو المشكلات المترتبة على المخالفة، والآثار المستقبلية في المجالات كافة، والناجمة عن عمل الخطأ، أو الانحراف، أو الذنوب، هو من أكثر المناهج وضوحاً في القرآن الكريم، حين ربط المولى تعالى بين الفساد

والهلاك، وبين الاصلاح والنجاة : (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) ١.

و المنهج القرآني، في الربط بين النقد الاجتماعي والتنبيه على المشكلات والأخطاء ، وبين الآثار والتداعيات ووقوع الكوارث في المجتمع ، يشكل إطاراً أساسياً، في عديد النصوص النقدية في تراث مولانا الإمام علي عليه السلام ، فمن المعروف أن الخليفة الثالث، عثمان بن عفان، قد كثر عليه الاستنكار، والتوبيخ، والشجب نتيجة السياسات الخاطئة التي يرتكبها الأمويون، من حوله، وما يقومون به الهيمنة على المناصب، ومن مصادرة الأموال والممتلكات، والتنكيل بالصحابة، أو التشريد، وحياكة المؤامرات والاغتيالات .

ومن النصوص المهمة في الجمع بين التفكير النقدي الاجتماعي، والتفكير المستقبلي في تراث الإمام علي عليه السلام، هي النصوص التي انتقد فيها المواقف الاستبعادية، والاقصائية، للخليفة الثاني ، ولاسيما ذلك الكتاب الذي أصدره الخليفة الثاني ، والذي يقرر طريقة الشورى المحددة بأشخاص ، كمنهج جديد لانتخاب الخليفة ، الذي نص على إدخال الامام علي (عليه السلام) ، كعنصر سادس في جماعة الشورى، وقد جاء تسلسل الامام علي عليه السلام، في آخر القائمة، فيما عبد الرحمن بن عوف، الذي هو صهر

---

١ - سورة هود / الآية : ١١٧ .

عثمان، في مقدمة التسلسل ، وهو العضو في الشورى والمخول بالحكم على التنفيذ في آن واحد ، واختياره للخليفة هو المعيار النهائي في الاختيار، ولا يعرف من تاريخ الدعوة الاسلامية ، المكانة المميزة لعبد الرحمن بن عوف على غيره ، و ما هو نوع الافضلية أو الخصائص والسمات التي تتيح لعبد الرحمن جميع هذه الميزات في رسم مصير الأمة والمجتمع ؟!.

من هنا كان الأمر يشيّ بنوع من المؤامرة ضد الإمام علي ، وبإقصاء اجتماعي هائل للكفاءة، واعطاء درس مضلل للأمة في مشروعية هذا الاقصاء، قد سارت عليه حتى يوم الناس هذا، مع الأسف، وقد نبه الإمام علي عليه السلام، لمستقبل هذا الاقصاء، والتهميش، وهذا الاستبعاد الذي سيقوده عبد الرحمن بن عوف صهر عثمان بن عفان، حيث قال الإمام لعمه العباس، كما في رواية سهل بن سعد الأنصاري:

(ألا تسمعه يقول : كونوا في الجانب الذي فيه عبد الرحمن، لأنه ابن عمّه، وعبد الرحمن نظير عثمان وهو صهره، فإذا اجتمع هؤلاء فلو أن الرجلين الباقيين، كانا معي لم يغنيا عنيّ شيئاً، مع أني لست أرجو إلا أحدهما، ومع ذلك، فقد أحب عمر أن يعلمنا، أنّ لعبد الرحمن عنده فضلاً علينا، لعمر الله ما جعل الله ذلك، لهم علينا، كما لم يجعله لأولادهم على أولادنا، أما والله لئن عمر لم يمت، لأذكرنّه ما أتى إلينا قديماً، ولأعلمته سوء رأيه فينا، وما أتى إلينا حديثاً، ولئن مات –

وليموتن – ليجتمعن هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنّا، ولئن فعلوها – وليفعلن – ليروني حيث يكرهون، والله ما بي رغبة في السلطان، ولكن لإظهار العدل والقيام بالكتاب والسنة)[١].

ويتضح من النص،كيف وضع عمر مخطط مستقبل الخلافة، وهو مخطط ينطوي بوضوح على استبعاد الإمام من الوصول إلى السلطة، وكيف استشرف الإمام التحركات الاجتماعية المستقبلية في ضوء هذا المخطط الذي وضعه عمر ، والتي ستقود إلى وصول عثمان إلى خلافة الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله، وبطبيعة الحال كان ذلك بسبب الانتصار، عند الخليفة الثاني، لسيادة التحالفات الاجتماعية لدى القرشيين، على حساب الشرعية التي أوصى بها النبي، صلى الله عليه وآله، الأمر الذي أوصل الأمويين إلى السلطة كما توقع الإمام في نهاية المطاف .

وبعد وصول عثمان إلى السلطة، استشرف الإمام من خلال الجمع بين التفكير النقدي الاجتماعي، والتفكير المستقبلي، النهاية الكارثية للخليفة الذي تسلط عليه الأمويون ممن حوله، وصاروا هم من يدبر أمر الخلافة في العالم الاسلامي، لكن عثمان رفض نقد الناقدين، وأتهم الإمام أنه غير منصف في كشف مواطن الخلل في سياساته، التي يقودها ويدبرها مروان بن

[١] - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص : ٥٠ .

الحكم، وكان يرى في وجوده الاجتماعي في المدينة كاف في تأليب الناس عليه، فصار يطلب من الامام تارة الابتعاد عن المدينة وأخرى العودة اليها لإسكات الرأي العام الساخط، مما يدل على انعدام الرؤية الاستشرافية عند عثمان ومعرفة ردود الأفعال قبل حصولها :

(يَا بْنَ عَبَّاس، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ، بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَ الآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ! وَاللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً)[1] .

ومع نهاية الحقبة العثمانية، بمقتل الخليفة، توجهت الانظار الاجتماعية نحو الإمام علي عليه السلام للنهوض بأمر الخلافة :

(دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي؛ فإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ؛ لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً!) [2].

---

١ - نهج البلاغة ، ج٢، ص : ٢٣٣ .

٢ - نهج البلاغة، ج١، ص : ١٨١ .

كان المستقبل واضح عند الإمام عليه السلام، فهو ينذر بمشكلات لا تقوم لها القلوب، ولا تثبت عليها العقول، وقد جمعت هذه الكلمات بين الخطاب النقدي الاجتماعي، إلى جانب استشراف المستقبل الضبابي الذي عبرّ عنه الامام بالغائم .

وكثيرة هي الموارد التي جمع فيها الإمام بين التفكير النقدي، والرؤية المستقبلية، إذ توقع ظهور الحزب الأموي، وتراجع دور العراق وأثره في إدارة العالم الاسلامي فقال:

(وَإِنِّي وَاللهِ لأظُنُّ هؤُلاءِ القَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِماعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ في الحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ في البَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلاَحِهِمْ في بِلاَدِهِمْ وَفَسَادِكُمْ، فَلَو ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ( ) لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلاَقَتِهِ) [١].

وقد تحقق هذا الظهور المؤقت لأهل الشام على أهل العراق في الحرب، وذلك من خلال تأسيس الدولة الأموية في الشام، ونقل عاصمة الخلافة اليها، بعد أن كانت في الكوفة، كما توقع الإمام عليه السلام، وقد جاء هذا الظهور لمعاوية بسبب تماسك جبهة أهل الشام، في مقابل التشققات الاجتماعية في العراق وانعدام الشعور بالمسؤولية، لكن الامام استدرك هذا

[١] - نهج البلاغة : ج١، ص : ٦٥ .

التوقع، بتوقع آخر، أكثر عمقاً في رسم صورة المستقبل، وحركة التاريخ، و بتحولات المجتمعات، وكيف يعقب التماسك الاجتماعي، مرحلة التباين والانقسام الاجتماعي، وكأننا ازاء حركة بندولية ، يتردد فيها المجتمع بين التماسك والتباين، ومن هذا المنطلق بين الإمام مستقبل الشام، وهو زوال ملك الأمويين في نهاية المطاف، وذلك بسبب الثقافة النقدية الاجتماعية ، والتقليد النقدي الذي ينجب الثورات والعنف المستدام أو المقاومة ضد الانحراف ، الذي أسس له الامام في العراق، والذي يرصد اخطاء الحكام ، وانعدام العدالة والانصاف، ولا يسكت على الضيم والجور:

(حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلاَ يُرْفَعُ عَنْ هذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلاَ سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذلِكَ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً..... يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَب، لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْم لَهُمْ!) .

وعلى العكس من هذا الحال عند الشاميين، ما أكده الإمام (عليه السلام)، عندما اعتقد البعض بنهاية حركة الخوارج بعد واقعة النهروان، حيث هلك فيها المتمردوّن إلا قليلاً، فأكد الإمام أن هذه النوع من الحركة لا ينتهي بهذه السهولة، لأنها حركات مرتبطة بالطبيعة الإنسانية عندما تترعرع في المجتمعات المتخلفة، وعديمة المعنى، والتربية الأسرية الفاشلة، وتعاني من

الاستنزاف المعنوي اليومي، فإنها سرعان ما تسلك طريق العبث، والاحتيال، والتمرد، ومن ثم التورط في العنف، في طريق طلب السلطة والصراع مع الحكومات، فإذا تلمست بمرور الزمن قوة الردع في المجتمع، أو السلطة ، انكمشت هذه الحركات، أو اكتفت بالعبث الجزئي من مظاهر الانحطاط، أو الخلاعة والادمان أو اللصوصية، ومن الغريب أيضاً في هذا المجال ما ذكره الإمام : (لاَ تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ)، فهذا يؤكد مساهمة هذه الفئات بشكل أو أخر في بقاء جزء من ثقافة المقاومة، أو الرفض للحكام الجائرين، ومن ثم خلود مطلب التغير والاصلاح في المجتمع :

(كَلاَّ وَالله، إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ .... لاَ تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ.)[1] .

[1] - نهج البلاغة : ج١، ص : ١٠٧ .

المبحث الثاني

النقد الاجتماعي وتأسيس الفعل المستقبلي

ولكي يؤثر التفكير النقدي، والاستشراف المستقبلي، في حركة المجتمع وصناعة التاريخ والمستقبل في الفضاء الاجتماعي الممتد عبر الأجيال ، وتحولات الواقع، لابد أن يتحول إلى ثقافة اجتماعية راسخة، وقناعة متأصلة، وواضحة في توجيه المشاعر، ومن ثم في صناعة الفعل الاجتماعي والتاريخي ذي المحتوى الفعّال في توجيه الاجيال ، و الذي يستهدف التغير والاصلاح وادامة حس المقاومة للفاسدين .

من هنا كان خطاب الإمام عليه السلام، يستهدف صناعة التاريخ المستقبلي لهذه الأمة، من خلال رفع منسوب الوعي فيها، واطلاق قوى التفكير في ما حصل وما سيحصل من الاجراءات السابقة والتي جاءت متناقضة في الاهداف والوسائل، ومن شواهد ذلك ما ذكره الإمام في سبب قبوله الدخول في مجموعة الشورى، فمع أنه استشرف أن القوم قد بيتوا له الاقصاء والتهميش والاستبعاد، لكن الامام دخل عملياً في الترشيح للخلافة، لكي يبين أن ما ذكره عمر بن الخطاب، من الحديث عن النبي ﷺ : النبوة والخلافة لا تجتمع في بيت واحد، فقال الامام علي عليه السلام لعمه العباس عن هذا الأمر :

(لكني أدخل معهم في الشورى، لان عمر قد أهلني الآن للخلافة، وكان قبل ذلك يقول : إن رسول الله صلى الله عليه واله، قال : إن النبوة والامامة لا يجتمعان في بيت واحد، فانا أدخل في ذلك، لأظهر للناس مناقضة فعله لروايته)[١].

وهكذا يلتقي التفكير النقدي، الاجتماعي، مع متطلبات الفعل التاريخي الصانع لحركة التاريخ والمستقبل، من خلال الدخول في الشورى، وقبول الترشح، من أجل سلب الشرعية عن خطاب الخليفة الثالث في اقصاء الامام عن الخلافة للفترة السابقة، و كشف التناقض، بين القول والفعل، ذلك الحديث الموضوع والمنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وآله، ثم نسيان الحديث مع مرور الايام، وترشيح الامام في الفترة اللاحقة، خلافاً لما جاء في مضمون الحديث الموضوع : لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد !.

لقد حول الخطاب النقدي الاجتماعي، عند الإمام علي عليه السلام، الحياة إلى مدرسة ، هذا النهج المستمر في الدعوة ، و الممنهج في التفكير ، الكاشف عن التناقضات، والانحرافات، والشامل لجميع الموضوعات والقضايا ، التفكير النقدي وكذلك التفكير المستقبلي، من خلال هذه الكلمات، و الرسائل، والتوصيات ، و نصوص الخطب، التي يصرح بها عليه السلام في مختلف المواقف، إلى درس يومي، ومدرسة اجتماعية، قائمة

[١] - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص : ١٨٩

على التثقيف الواعي ، وإلى عملية تعليمية مستمرة ، وإلى ثقافة مجتمع راسخة ، ومن ثم صار التفكير النقدي والمستقبلي، يلتقيان في رؤية متلازمة سواء عند الأفراد، أم في الفضاء الاجتماعي العام، في صياغة الفعل الاجتماعي والتاريخي المقرر:

(فالنص هو الفكرة والأداة معاً، هو المضمون والشكل، في اتحادهما المتبادل الإغناء في اعطاء دلالات مؤكدة، كان الامام عليّ يظهر نفسه فيها من جانب ويحمّلها الطاقة التوصيلية، للوصول إلى الأخرين، من جانب آخر، ويتضافر الجانبان .... فالنص، في نهج البلاغة، ليس قطعة بلاغية ذات جمال مجرد، بل هو وظيفة متقنة، إنه ثمرة التزاوج الطبيعي بين البلاغة والأفكار، والذي ترتب عليه إنجاب أفكار جديدة، واستحداثات لغوية، وبيانات جديدة)[١].

لقد أجمع الباحثون على أهمية التفكير النقدي الاجتماعي، عندما يتحول إلى تربية، وإلى عملية تثقيفية، وتدريسية مستمرة في توجيه الواقع المستقبلي من خلال الفعل المستند اليها، وقادرة على صياغة المستقبل الاجتماعي ، لما تضمنته هذه الرؤية من محتوى ثقافي، وبنائي للفرد والمجتمع من خلال الشجب والاستنكار، لكل ما يخل بالمواطنة الصالحة، وخصائص الفضيلة من احترام العدالة والقانون، و استقلالية الفكر والحرية، والتحلي بالنزاهة والعفة ، أي من خلال التحرر الواعي من القيود والاكراهات الواقعية،

---

١ - عزيز السيد جاسم، علي بن أبي طالب، سلطة الحق، طبع : مشروع بغداد عاصمة الثقافة، ط٢، ٢٠١٢، ص : ٣٢٩ .

فمطالب انسانية كبرى مثل الحرية، والعدالة، والخلود المشرف في الآخرة، هو الوجه الآخر للنقد الاجتماعي الذي ينبغي أن يعلم للناس وهو من يمنحهم الاستقلالية في التفكير:

> (التعليم ذو الاتجاه المستقبلي، يجب أن يغير، لا أن يعيد الانتاج، .... أن يكون الفرد مفيداً وذا فضيلة هدف هام في حدّ ذاته، لكن الهدف الأهم بالنسبة إلى التعليم يجب أن يكون انتاج يتكون إلى أبعد حد ممكن من أفراد يتمتعون باستقلالية الفكر وبالحرية الأخلاقية، ذلك لأن صحة الدولة الديمقراطية وصونها على المدى الطويل يعتمد على مواطنيها)[١] .

عمل الامام من خلال خطاب النقد الاجتماعي على محاولة ازالة عوامل الاحباط والتقاعس والخمول والكسل والتناقضات في المجتمع من جانب ، فيما استهدف تحقيق الفعل التاريخي الواعي الذي يصنع الانتصارات، ويحقق العدالة، ويصدق الكتاب والسنة في بناء المجتمع وينشد النهوض المستقبلي من الجانب الآخر .

---

[١] - كارين . أم . إيفانس، تشكيل المستقبليات، التعلم من أجل الكفاية والمواطنة، ترجمة : خميس بن حميدة، مراجعة : فخر الدين القلا، المركز العربي للترجمة : دمشق، ط١، عام ٢٠٠٠، ص : ١٦٠- ١٦٧ .

(ألا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هؤُلاَءِ القَوْمِ لَيْلًا وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ؛ فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الغَارَاتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطَانُ.) .

لقد انتقد الامام بشدة حالة التقاعس عند أهل العراق عامة وأهل الكوفة خاصة، والتخاذل في التصدي لانتهاكات جيش معاوية، والغارات التي كان يقوم بها هذا الجيش على أطراف العراق، من دون أن يواجه برد قاس من قبل جيش العراق، المفكك، بسبب حالة ، الاختراقات ، و نقص الوعي، وضعف الارادة، في مواجهة الاخطار والتحديات .

(أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ! المَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بَالسَّهْمِ الأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ، أَصْبَحْتُ وَاللهِ لا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلاَ أُوعِدُ العَدُوَّ بِكُم. مَا بَالُكُم؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ القَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقَوْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ! وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ! وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ!) [١].

---

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ٧٤ .

المبحث الثالث

نقد التحديات الداخلية والخارجية

لاريب أن الفعل الاجتماعي والتاريخي، الذي يدخل في حركة التاريخ وصناعة المستقبل، أو يستهدف الانجازات الكبرى، لابد أن يعمل أولاً، على إزاحة التحديات الخارجية، وكذلك التخلص من نقاط الضعف الداخلية أو التحديات الداخلية، والكشف عن هذه التحديات وتشخيصها في الفضاء الاجتماعي، هو الذي يتطلب تقنية النقد الاجتماعي الذي يعمل على رفع هذه الموانع من امام المقتضيات، وتوفير الشروط لصناعة الفعل التاريخي المحرك للتاريخ واستمرارية وجود الجماعة .

من هنا، كان الامام عليه السلام، يواجه هذه التحديات الداخلية، والخارجية، للتجربة الإسلامية، وتحولاتها بالنقد الاجتماعي والردع ، في إطار الكشف، والتشخيص، وفي إطار المعالجة، من خلال بيان جوانبها غير الاخلاقية، والمنافية للروح الإنسانية، فهي مثال للخور، والتخاذل، والانكسار، أو من خلال بيان آثرها، وما يترتب عليها من العار والشنار والقتل والإذلال، أو من خلال تأكيد طريقة إزالتها بالوحدة، والجهاد، والعمل الدؤوب، والايثار، والالتزام الأخلاقي، والطاعة لولي الأمر عندما يكون مطيعاً لله، تعالى، وعامل بالكتاب والسنة، ولعل هذا ما قصده

الرسول الأعظم عندما أخبر أن علياً سيقاتل في المستقبل على التأويل كما قاتل على التنزيل، كما في رواية النسائي :

(عن أبي سعد الخدري، قال : كنا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه واله، فخرج إلينا قد أنقطع شسع نعله، فرمى به إلى علي، فقال : إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فقال : أبو بكر : أنا ؟ قال لا، قال عمر : أنا ؟، قال : لا، ولكن خاصف النعل)[1].

كان لابد من تأمين المستقبل للنظام الاسلامي الجديد ، ونظامه الاجتماعي، من خلال التعلم والتعليم، ومن خلال التدريب، ومن خلال العمل، وصناعة المواقف التي من شأنها التمهيد لإزالة التحديات القادمة، والاستعداد للمشكلات، وهذا يفسر لنا قيمة قول الإمام بضرورة اعداد الاولاد لمستقبل جديد، وزمان مغاير :

(علموا أولادكم على غير عاداتكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم)[2].

---

١ - أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥- ٣٠٣)، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق : محمد كاظم، مجمع أحياء الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص : ٢١٧ .

٢ – كتاب : (تربية الابناء في منظور أهل البيت (ع)، www . sunnti . com.

كانت تحديات كبرى، تواجه تجربة الإمام في الحكم، مثل التحدي الداخلي الكبير الذي مثله وصول الامويين إلى السلطة في عهد عثمان بن عفان، وفي طليعتهم مروان بن الحكم في المدينة ، أو، معاوية، وهو سندهم الكبير في بلاد الشام، من حيث العدة، والعدد، وسعة الاهداف التي يريد الوصول اليها ، وما ترتب على هذا الحضور في موقع القيادة من الانتهاكات، وكانت هذه التحديات تتطلب النقد الاجتماعي الصريح مع أعلى المستويات في الفضاء الاجتماعي الإسلامي .

ومما يرد في هذا المجال من الشواهد النقدية الاجتماعية، هو كلام الامام علي عليه السلام لعثمان بن عفان، في حديث صريح ، قد جمع فيه الامام عليه السلام، بين النقد الاجتماعي المقارن، وبين التخويف من المستقبل في الدنيا والآخرة ، لما في هذه السياسات الجائرة من صناعة التحديات التي تعصف بمستقبل البلاد والعباد :

(إِنَّ النَّاسَ وَرَائي، وَقَدِ اسْتَسْفَرُوني بَيْنَكَ وَبيْنَهُمْ، وَ وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ الله (صلّى الله عليه وآله) كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ(صلّى الله عليه وآله) وَشِيجَةَ رَحِمٍ

مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ. اَللهَ، اللهَ، فِي نَفْسِكَ!، فَإِنَّكَ ، وَاللهِ ، مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الْطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ، لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلاَ عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا . وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هذِهِ الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هذِهِ الأُمَّةِ إِمَامٌ، يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً، فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً، يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ[١] .

---

[١] - نهج البلاغة، ج٢، ص : ٦٩ .

في بداية النص أعلاه، يبرز ما يعرف اليوم بالنقد الاجتماعي المقارن، إذ يذكر الإمام عليه السلام، عثمان بموقعه الاجتماعي من الرسول الأعظم ، بالمقارنة مع غيره من الاصحاب ، وما يترتب على هذا الموقع الاجتماعي، من استحقاقات، وضرورات الالتزام بما جاء به الرسول الاكرم، من العمل الدقيق بكتاب الله تعالى وسنة الرسول في ادارة الدولة، سواء في مجال توزيع المناصب، أم الإفادة من الارضي في الرعي، وهي مشاع للجميع ، أم في مجال توزيع المال العام ، الذي هو مال الله تعالى ، وينبغي اتباع المساواة بين المسلمين في نظام التوزيع .

لم تكن أفكار الامام في مجال النقد الاجتماعي، وربطه بالمستقبل تأتي كشكل من أشكال التكهن الغيبي والتخمين ، في رصد التحولات المصيرية ، أو من باب ضرب الاحتمالات، بل هي، معبرة عن نفاذ البصيرة، تؤمن بالمستقبل البعيد الأفضل، لوجود ثقافة اسلامية أصيلة، لا تسمح الا بهذا الأمل والانتصار ، وذلك من خلال الايمان بوجود المقاومة، المستمرة، والعمل الدؤوب في الفضاء الاجتماعي على تحقيق ذلك، من خلال التفكير النقدي، والتفكير بالمستقبل، والعمل المؤسس للفعل التاريخي، وهذا غير التكهن، أو الرجم بالغيب، أو حساب الاحتمالات:

(إن التفكير في المستقبل مختلف عن التكهن به، ويبدو أقل جرأة، وأكثر تحريراً، بحيث إنه يحرر المفكر من مشاكل التكهّن، ويؤمّن نفاذ البصيرة، مما قد يعطي الأفكار حيال، كيفية التوصل إلى مستقبل أفضل)[1] .

وهكذا، يقع النقد الاجتماعي ، يبدأ بالتشخيص ، ومن ثم المعالجة، الأمر الذي نلتمسه بوضوح في معالجة الإمام ، لذلك التحدي الخارجي الكبير للإسلام، ولكل المجتمع الصالح، و الذي مثله وجود معاوية في موقع القيادة في الشام، نرى بوضوح كيف نقل الامام التحديات من مستوى الصراع الشخصي، أو الصراع الفئوي ، إلى مستوى الصراع الكتلوي بين العراق والشام في إطار من لغة النقد الاجتماعي، وتحريك القوى والفضاءات الجماهيرية، والكتلوية، والحضارية، الواسعة والمختلفة في المصالح والجغرافيا ، من أجل ديمومة التصحيح في مسارات الأمة المستقبلية وعدم الاستسلام للقدر الغاشم .

كانت أدبيات النقد الاجتماعي، وهذه الروح البلاغية، في تقديم النقد، وشفافية اللغة، التي واكبت مسيرة المقاومة المستدامة التي أسس لها الامام في مواجهة الانحرافات الاجتماعية قد من ألهمت الاجيال تلو الاجيال روح

---

[1] - جون فوران، مستقبل الثورات، ترجمة : تانيا بشارة، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص : ١١.

الخطاب المقاوم، والرفض الجذري للظلم والعدوان والاستغلال للدين والمنصب الاداري، والمال الشرعي:

(كان عليّ بن ابي طالب، بآرائه ومبادئه وأقواله وأعماله وحياته، وما خلفه من ترغيب الناس في العدالة الاجتماعية، وبحكم الظروف القاسية التي عاشها المتشيعون له، الينبوع العميق الذي جرت منه هذه الثورة وهذا التمرد)[١] .

لقد شهد العالم الإسلامي العديد من التحديات، منذ فجر الدعوة الاسلامية وحالة الثورة والنهضة التي اطلقها في الفضاء الاجتماعي آنذاك، كان الرسول الأعظم في البداية ، هو من عمل على تفكيك هذه التحديات، وبعد رحيل الرسول عليه السلام، كان لابد من العمل على مواصلة التغير و المقاومة، التحدي الآتي من الشام هو من أكبر التحديات، حيث تمكنت قوى الجاهلية من اعادة التموضع وانتاج نفسها في ظل تخاذل واضح من قبل القوى الاجتماعية السائدة التي استفادة من التغير والاصلاح، ولكن من دون العمل على المحافظة عليه أو الدفاع :

[١] - جورج جرداق ، موسوعة الإمام علي صوت العدالة الانسانية ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ج٥، ص : ٢١٠

((وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ))[1].

فبعد تمكن معاوية بن ابي سفيان من التأثير بأهل الشام، كأمة مسيحية سابقاً ، وكارهة للاحتلال الجديد، بشكل غير معلن، قد تم استقطابهم ضد الولايات الاسلامية الأخرى، تمكن معاوية وأنصاره في ضوء ذلك، من جر القوى الأخرى بفعل سياسات الترهيب والترغيب والتضليل والتعتيم، و تمكن من وقف تطور التجربة الاسلامية، وتجميد انجازاتها في المدن الاسلامية الاولى، المدينة المنورة أو مكة المكرمة، ومن ثم اعادة الحكم الاسلامي إلى الملك العضوض، والتوريث غير الشرعي، على وفق الاسلوب القيصري، وكان هذا أحد أكبر التحديات في تاريخ العالم الاسلامي والنظام الاجتماعي ، وهذا يكشف عن أهمية النصوص النقدية التي تحفل بها رسائل الإمام إلى معاوية في ترسيم معالم التاريخ الاسلامي ، وصورة المجتمع آنذاك .

---

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ٢٠٥ .

كما كان هنالك العديد من التحديات الداخلية، الأخرى، مثل : مشكلة القوانين المستحدثة في الاسلام، كقانون التدرج الاجتماعي الذي ساد في المجتمع الاسلامي مع الخليفة الثالث، وتحول إلى ثقافة عنصرية، ونخبوية، لما عمله من التفاوت في العطاء من بيت المال، فإزالة جميع هذه المظاهر ، كانت تتطلب اضافة معرفية و قيادة تاريخية فاعلة في الفضاء الاجتماعي من أجل صناعة وعي مجتمعي عام، وهذا الأمر لا يتأسس على حالة التخاذل والانهيار الاجتماعي .

ومن المؤكد، إن التفكير المستقبلي بالتغير يتطلب صناعة الفعل التاريخي القادر على احداث التغيرات والتحولات، كما أن الفعل التاريخي يتطلب القضاء على التحديات، سواء في البيئة الخارجية، مثل تحدي معاوية في الشام، أم في البيت الداخلي، مثل : ظاهرة تمليك الاراضي، وجميع التحديات العقدية، والاخلاقية، والتطبيقية في السياسات، التي من شأنها أن توقف الزحف، وتدمر الاهداف الساعية للتغير، ولعل أبرز التحديات الداخلية، أو ما تعرف بنقاط الضعف الداخلية، التي تواجه الفاعل التاريخي، هي حالة التفكك في المجتمع الاسلامي والاحباط واليأس من نجاح التغير، فقد وصفها الامام في أكثر من نص:

(أَيُّهَا النَّاسُ المجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، المخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلامُكُم يُوهِي الصُّمَّ الصِّلابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ. تَقُولُونَ فِي المَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ ! مَا

عَزّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلاَ اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ؛ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ المَطُولِ . لاَ يَمنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ، وَلاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلاَ بِالْجِدّ)[١].

هكذا، كان على الإمام عليّ عليه السلام، أن يواجه في ذلك الزمان، وفي ذلك المجتمع، قدراً غاشماً، قوامه جملة من عناصر الانحراف الاجتماعي، ونسبة عالية، من الفشل عند المكونات الاجتماعية، في تحصيل السمات والخصائص ذات القيمة المضافة أو التي تقدر ذلك ، في المجالين : الثقافي والحضاري، و التي من شأنها أن تحصن هذه الحواضن الاجتماعية لمواجهة كل هذا القدر من الانحلال والفساد والانحراف وانعدام الرؤية إذ يمثل هذا الوضع الاجتماعي المفكك، في الأمة، كارثة اجتماعية وسياسية وثقافية وفكرية بكل المقاييس، فهو مجتمع غير قادر بالنهوض وإداء الدور التاريخي له، أو صناعة الفعل التاريخي، القادر على التأثير في المستقبل لمجمل المجتمع، ولذا يبين الامام في اكثر من نص، غياب الفعل التاريخي في الامة انما هو بسبب التحدي الداخلي الكبير والمتمثل بالانحطاط الاجتماعي والشعور بالهزيمة من الداخل :

---

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ٧٤ .

(اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، شُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ، أَتْلُوا عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا، تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ، عَجَزَ الْمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ. أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ!)[1].

أمّا على مستوى البيئة الخارجية وتحدياتها ،فهي تتمثل بمعاوية وأمثاله من الاعداء، والتحديات التي فرضها أهل الشام على دولة الإمام من خلال التمرد على الخلافة الشرعية، والطاعة العمياء لمعاوية، فقد وجه الإمام عليه السلام نقده الاجتماعي لهذه البيئة بالوصف :

١ - نهج البلاغة، ج١، ص : ١٨٧ .

(جُفَاةٌ طَغَامٌ، عَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْب، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَلاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ) ١.

كان الإمام يحاول إزالة هذا الاحباط الداخلي من خلال التحفيز الفكري ورفع منسوب الأيمان، من خلال اللجوء إلى الله تعالى والدين الصادق ، والتصدي للثقافة الشيطانية السائدة في الاوساط الاجتماعية، المحركة للفتن، والتفرقة، وعدم الثقة، أو عدم الاصغاء للنصيحة :

(إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً، عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بَالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ ؛ فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) ٢.

وفي إطار قراءة المستقبل، والتحديات التي تواجه المجتمع ولا يسعى الجميع للوقوف بوجهها، يذكر الامام عليه السلام، الاخطار، والتداعيات التي تترتب على هذا التفكك والانحلال الاجتماعي وعدم استشعار المسؤولية ، وذلك

---

١ - نهج البلاغة، ج٢، ص : ٢٣٠

٢ - نهج البلاغة، ج١،ص : ٢٣٥ .

ببيان الاثار والكوارث، التي تترتب على انتصار الاعداء، من تعرض المجتمع والافراد للقتل والاذلال، وذهاب العز، والمال :

(أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيف الذَّيَّالُ الْـمَيَّالُ، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ، إِيه أَبَا وَذَحَةَ !)[1].

---

١ - نهج البلاغة، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، بلا تاريخ، ج٢، ص ١٣٠.

الخاتمة

لقد جمع هذا العمل البحثي، بين نصوص النقد الاجتماعي، ذات السمات والخصائص البلاغية، والأدبية، والروح الدينية السامية، وبين معطيات النظرية الاجتماعية المعاصرة، فعمل بذلك على إضفاء ميزات العلم، وتنميتها في فهم خطاب النقد الاجتماعي، كما هو عند الإمام علي عليه السلام، الذي يمثل الضمانات كبرى للمتلقي، في الجانب المعرفي، وفي الجانب المعياري، والتبصر بالأولويات، وفي الجانب التنفيذي، جاد به العقل العملاق للإمام علي عليه السلام، في زمن النكوص نحو الجاهلية، بعد رحيل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، واراد به تفكيك الواقع الثقافي والفكري المتحجر لهذا المجتمع، والمتخلف، والغارق في الظلامية والعنف إلى حدّ بعيد في التعاطي مع شؤون الحياة، ومن خلال هذا الجمع، بين خطاب التجربة التاريخية، ونصوصها الغزيرة، وبين النظرية الاجتماعية المعاصرة، حاولنا صناعة أنموذج للنقد الاجتماعي، إرشادي، يساعد على الانضباط الفكري، و الضبط السلوكي، في زمن الجفاف الأخلاقي، والطوفان النقدي

بلا جدوى ، بل صرنا في زمن، موت الناقد كما عبر بعضهم في كتاب بعنوان : موت الناقد [١]، في الاتجاهات كافة .

ومن المؤكد أن هذا العمل، لم يستطع الوصول أو الوقوف على جميع نصوص النقد الاجتماعي في التراث الفكري للإمام عليّ عليه السلام، ولا الالمام بجميع التفصيلات التي تضمنتها النظرية الاجتماعية المعاصرة، أو أفكار ما بعد الحداثة التي هي نقد جذري لمعطيات الحداثة، ومنها خطاب النقد الاجتماعي والثقافي لمظاهر اللاعقلانية في الغرب والعنصرية والاغتراب، ولاسيما أعمال المدرسة الالمانية في هذا المجال، لكن المأمول أن تتاح الفرصة للشباب الجامعي أو في الحوزات العلمية، في استكمال هذا الجهد، وبناء أنموذج أكثر وضوحاً في هذا الشأن التاريخي والاجتماعي، حيث ينبغي، وفي جميع الازمان أن لا يبقى كرسي النقد الاجتماعي، شاغراً، ومنبره فارغاً من الشخصيات الناقدة .

فما أحوج المجتمع إلى النقد، والأنموذج الارشادي في مجال صناعة الخطاب النقدي، وتشكيل النصوص الادبية الناقدة، في زمن صار المتلقي هو من يتحكم بالناقد ويوجهه، إنه زمن التفكك الاجتماعي، وسيادة روح الحزب، أو الأسرة، أو الجماعة الوظيفية، وتفاقم سلوك الاتجار بالدين في تحصيل المنافع السياسية، كما وتفاقم دور التحالفات العشائرية في اختراق

١ - رونالد ماكدونالد، موت الناقد، ترجمة : فخري صالح، المكتبة الاسرية، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص : ١٥ .

صناديق الانتخابات بالحمقى، فتراجعت أولويات كثيرة، كانت توجه السلوكيات إلى حدٍّ بعيد في مرحلة النهضة والاصلاح، مثل : الأدب، والعلم، والفكر، واتشار التسليع، حتى صار يقال، لكل إنسان ثمن، وكأنه سلعة يباع من في الاسواق الحزبية ويشترى، وعلى أكثر من صعيد : في الموقف، وفي الخدمة وفي الولاء، ومع نهاية هذا الفصل، يتم به الكتاب بعون من الله تبارك وتعالى و ما توفيقي إلا بالله العلي العظيم ، وبه أستعين على جميع ما أهمني من أمور الدنيا والآخرة [1].

١ - كان الابتداء الجدي بتدوين هذا الكتاب : خطاب النّقد الاجتماعي، بين الإمام عليّ عليه السلام والنظرية الاجتماعية المعاصرة ، مع بداية شهر ذي الحجة من عام ١٤٣٨ هجري، الموافق ليوم الخميس : ٢٤ / ٨/ ٢٠١٧ م، إذ كنت سابقاً ، قدمت جانباً من هذا البحث في محاضرة ، موجزة، وعامة في احدى المؤسسات التابعة للعتبة العلوية المقدسة، بدعوة كريمة من الأخوة في مركز دراسات الكوفة، وكان الانتهاء منه في يوم الجمعة : ١٥ من شهر صفر عام ١٤٣٩ هجري، الموافق ليوم السبت : ٤/ ١١ / ٢٠١٧ م، وقد كانت بداية العمل في صيف شديد الحرارة ، لم يسبق له مثيل في تاريخ العراق، اما الانتهاء منه، فتزامن مع توافد الزوار من كل حدب وصوب، لزيارة كعبة الأحرار، في كربلاء، وفي ظل تتابع الأخبار عن الفتنة في كركوك، وأرض الشمال، وشكري وتقديري ودعائي للأخوة الذين ساعدوا في مراجعة النص ، فضاء ذياب ، ثائر الساعدي ، وقد تم هذا الإنجاز بتوفيق من المولى سبحانه وتعالى، فهو الحنان المنان، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر

القرآن الكريم .

نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام ، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، بلا تاريخ .

- ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، الغارات تحقيق : عبد الزهرة الحسيني، دار الضواء، بيروت، ط١، ١٩٨٧ .
- أبن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة .
- أحمد حلمي عبد الحليم، علاقة الأفكار النقدية بالسلطة السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط١، ٢٠١٤.
- أمارتيا سين، الهوية والعنف، ترجمة : حمزة بن قبلان المزيني، دار جداول، بيروت، ط١، ٢٠١٢ .
- ا محمد جبرون، مفهوم الدولة الاسلامية، أزمة الاسس وحتمية الحداثة، المركز العربي للأبحاث والسياسات، بيروت، ط٢، ٢٠١٥.
- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة : فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥ .
- أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥- ٣٠٣)، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق : محمد كاظم، مجمع أحياء الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- أحمد عباس صالح، اليمين واليسار في الاسلام، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط٢، ١٩٧٣ .
- أميتاي إتزيوني، الخير العام، اشكاليات الفرد والمجتمع في العصر الحديث، ترجمة : ندى السيد، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

- إيزابيلا فيركلاو، نورمان فيركلاو، تحليل الخطاب السياسي، ترجمة : عبد الفتاح عمورة، دار فرقد، دمشق، ط١، ٢٠١٦.
- بارينجون مور ، الأصول الاجتماعية للدكتاتورية والديمقراطية ، ترجمة : أحمد محمود ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨.
- برتي السوتاري، النظرية الاجتماعية والواقع الانساني، ترجمة : علي فرغلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥.
- تريسي بويل، وجاري كمب، التفكير النقدي، دليل مختصر، ترجمة : عصام زكريا جميل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص : ٢٢ .
- جوادي آملي، الحكمة النظرية والعملية في نهج البلاغة، ترجمة : باسم محمدي، مكتبة ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٣١.
- جون فوران، مستقبل الثورات، ترجمة : تانيا بشارة، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
- جون هيلز، وجوليان لوغران، الاستبعاد الاجتماعي، ترجمة : محمد الجوهري، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ٢٠٠٧.
- جورج جرداق ، موسوعة الإمام علي صوت العدالة الانسانية ، خمسة أجزاء، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ .
- جينيفر م .. ليمان، تفكيك دور كايم، نقد ما بعد ... بعد بنيوي، ترجمة : محمود احمد عبد الله، ومراجعة : محمود الكردي، وتقديم : محمد حافظ دياب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣.
- حسين علي الاعرجي، ثقافة النزاهة في نهج البلاغة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١.
- حياة عمامو، الصراع على السلطة، وهاجس الشرعية في الاسلام المبكر، دار ومكتبة بيبليون ، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

- ختام راهي مزهر، الإمام علي عليه السلام، وآفاق المعارضة، دار البصائر، بيروت، ط١، ٢٠١٣.
- زين العابدين قرباني، ميثاق إدارة الدولة في عهد أمير المؤمنين (ع)، تعريب : قاسم البيضاني، اصدارات مركز الهدف، العراق، ط١، ٢٠١٢ .
- سعيد بن سعيد العلوي، دولة الاسلام السياسي، منشورات مؤمنون بلا حدود، بيروت ، ط١، ٢٠١٧.
- سي، رايت، ميلز، الخيال السوسيولوجي، ترجمة : صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٧.
- عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧١ .
- عبد الباسط عبدالمعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، دار رؤية، القاهرة، ٢٠٠٩ .
- عبير عبد المنعم فيصل، علم الاجتماع، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، المكتبة العصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.
- عزيز السيد جاسم، علي بن أبي طالب، سلطة الحق، طبع : مشروع بغداد عاصمة الثقافة، ط٢، ٢٠١٢ .
- على ليلة، النظرية الاجتماعية، وقضايا المجتمع، الكتاب الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠١٥.
- عياد بلال، أنثروبولوجيا الأدب، دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي، دار روافد للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.
- فاضل الصفار، الديمقراطية في أصولها ومناهجها، دار العلوم، بيروت، ط٢، ٢٠١٧ .

- فايد العليوي، القبيلة، التكوين في سياق سياسي، المركز الثقافي للكتاب، بيروت، ط١، ٢٠١٨ .
- فؤاد خليل، المجتمع، النظام، البنية، في موضوع علم الاجتماع وإشكاليته، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- فيليب كابان ، وجان فرانسوا، علم الاجتماع ، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية ، ترجمة : اياس حسن ، دار فرقد ، ط٢ ، ٢٠١٣ .
- كريس هورنر، إمريس ويستاكوت، التفكير فلسفياً، ترجمة : ليلى الطويل، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١١.
- كارين . أم . إيفانس، تشكيل المستقبليات، التعلم من أجل الكفاية والمواطنة، ترجمة : خميس بن حميدة، مراجعة : فخر الدين القلا، المركز العربي للترجمة : دمشق، ط١، عام ٢٠٠٠.
- كوثر شاهين، الإمام علي والقيم الإنسانية، دار التبليغ الاسلامي، ودار التعرف للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- مايكل جونستون، متلازمات الفساد، ترجمة : نايف الياسين، العبيكان ، الرياض، ط١، ٢٠٠٨ .
- مايكل كوك، الأمر بالمعروف النهي عن المنكر في الفكر الاسلامي، ترجمة : رضوان السيد، عبد الرحمن السالمي، عمار الجلاصي ، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ط٢، ٢٠١٣ .
- محمد أنور ابراهيم، التفكير الناقد، وقضايا المجتمع، المكتبة الانكلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦ .
- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف، بيروت، ط٢، ١٩٩٨، ص : ٦.
- محمد حسين علي الصغير، الامام علي، سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي، مؤسسة العارف للمطبوعات،بيروت، ط١ ، ٢٠٠٢ .

- محمد نور الدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر، مصادره الغربية وتجلياته العربية، مركز دراسات الوحدة ، بيروت، ط١، ٢٠١٤م .
- مجموعة من المؤلفين العرب ، صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بالتعاون مع جامعة الأمم المتحدة، ط١، بيروت، ١٩٨٢.
- مليكة بن دودة، فلسفة السياسة عند حنة آرنت، منشورات الاختلاف، لبنان، ط١، ٢٠١٥.
- محمود محمد جاد، النظرية الاجتماعية، الاتجاهات والتيارات الكلاسيكية، دار الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٢ .
- نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠ .
- نورمان فيركلف، الخطاب والتغير الاجتماعي، ترجمة : محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥.

التصميم والإخراج الفني
مكتب محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠
العراق – النجف الأشرف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٠١٠) لسنة ٢٠١٧م

العراق – النجف الأشرف